

مجلة

الشؤون الاجتماعية

تصدرها شهرتاً وزارة الشؤون الاجتماعية

كل ما يتعلق بالنشر والاشتراك يرسل باسم مدير التحرير مباشرة
قيمة الاشتراك في اثني عشر عدداً ١٥ قرشاً

ليس للمجلة وكلاء ولا محصلون

مدير التحرير : حسن الشريف

إدارة المجلة : ديوان وزارة الشؤون الاجتماعية ، تليفون ٨٥٣١٢

فهرس مواد العدد

الموضوع

صفحة	
٣	من جيل الى جيل عبد الحبيد ابراهيم صالح بك
٨	مهمة المنصلح الاجتماعى أحمد لطفى السيد باشا
١٢	حال تدعوار القلق محمد على علوبه باشا
١٥	الاملاص الصحى فى الرف الدكتور عبد الواحد الرزىل بك
٢٥	القرية المصرية الدكتور منصور نهى بك
٣٣	نماون الأهالى والحكومة محمد السيد شاهين بك
٣٧	زوت الخلقبة الأستاذ محمد توفيق دياب
٤٢	المرأة المتعلمة السيدة هدى شعراوى
٥١	هدلم بطل الأستاذ مؤاد بلبل
٥٥	الخدمات الاجتماعية فى أمريكا الدكتور شارلس واطسن
٥٩	تنذية الملاح الدكتور محمد خليل عبد اتانلى بك
٦٤	بعض عيوبنا الاجتماعية محمد البابل بك
٦٨	الحرب وصناعاا الوطنية
٧١	فرس الاخلاق بالمرأة الأستاذ سلامة موسى
٧٥	فية المشورة الفنية
٧٨	نشاط المرأة فى الخدمة الاجتماعية السيدة زاهية مرزوق
٨١	فى مدينة لأزهر الأستاذ م . محمد عبد الكريم
٨٧	الحرافات الشائمة
٩١	التوجه الثقافى فى الجامعة الأستاذ صلاح الدين الشريف
٩٩	أحلاقا العامة
١٠٢	المليات فى حياة الشباب الأستاذ س . م .
١٠٥	الصداقة والنفاقة
١٠٨	فى بيوتنا
١١١	الأمراض الوبائية وزارة الصحة
١١٥	متعرفات اجتماعية

من حبلى الى حبلى

تقاليد وعادات صالحة بحسب اصيائها

لحضرة صاحب المعالي عبد المجيد ابراهيم صالح بك

وزير المواصلات والتأمين

اعتاد شباب هذا العصر أن ينفروا من كلمة "التقاليد" حتى أصبحوا لا يذكرونها الا في مواضع للسخرية والاستخفاف . واعتادوا أن يستنكروا القدم ويتبرموا به حتى لا يهتموا بالرجعة في زمن التحرر والتجديد .

ولست أدري ما قد تمدنه كلمتي هذه من الأثر في نفوس شبانتنا ، ولكنى أرجو على أى حال ألا يروا فيها نزوعا إلى القديم بخيره وشره ، ولا إنكارا للتهذيب الذى أحدثه الزمن في كثير من عاداتنا وتقاليدنا ، فصيورها أقرب إلى مقتضيات العصر وأكثر انطباقا على ما استحدثته المدنية في حياتنا الاجتماعية .

ومهما يكن من الأمر فالتقاليد والعادات خاضعة لمؤثرات خارجة عن إرادتنا وآرائنا . وهى كالمعالم يستبقى الزمن ما طاب منها ويحمله من جيل إلى جيل ، أما الحديث فيتخلف عن موكب الزمن ولا تبقى منه إلا الذكرى يتندر بها الشيوخ والمعمرون .

على أننا تشبعنا بروح عصرنا وسلكتنا في الحياة مسلكتنا عليه علينا طبيعة هذا العصر ، لانستطيع أن ننكر ماضينا ولا أن نقطع ما بيننا وبينه من الصلات .

فالأمم تحيا بماضيها كما تحيا بحاضرها وتستمد من ذاك الماضى مقومات لهذا الحاضر . وبعد فهل حاضرا إلا الماضى تناوله يد الزمن بالتعديل أو بالتهديب ؟

وإذا ذكرنا الماضى انبعثت الى أذهاننا سلسلة من العادات والتقاليد منها الرث الذى لا تسمع بعودته طبيعة المدنية الحاضرة ، ومنها المضحك الذى أسدلت عليه الستار النسيان ، ومنها الطيب الذى يحسن أن نبعثه وأن نجدد فيه بما لا يتناقى مع جوهره ولا مع مقتضيات هذه الأيام .

وهذا النوع من تقليدنا وعاداتنا القديمة الصالحة التى يحسن أن نحاول إحيائها هو الذى أريد أن أتحدث عنه الآن ، ويزيدنى رغبة فى التحدث عنه وحث المواطنين على إحيائه أن آثارا كثيرة منه لا تزال باقية ، وأن بعض الأسر العريقة فى القدم لا تزال ترعى شيئا منه وتحرص عليه .

خذ مثلا زعامة الأسرة ووحدها .

كان للأسرة ، لما كانت لنا تقاليد ، وحدة تقيها شر التفكك والتفرقة ، وكان لها كبير يضاع . ولا يخفى ما في هذا المنصب من صيانة هيبة العائلة . فقدم ، مثل أعرابي : ” بماذا سادت قبيلتكم وأتم أقل من غيركم عددا “ فقال : ” لأن لنا حاكما نطيعه فبقيا بعدد أفرادنا حكاما . أما تلك القبائل فليس فيها من يسمع له رأى ، فهم ناس من غير آراء “ .

وتذكرنى وحدة الأسرة بنظام ” لدور “ فى الريف . ويؤلمنى أن أرى هذا النظام سائرا فى طريق الروال .

فى الدوار تجتمع الأسرة تحت زعامة عميدها والكبار الموقرين من رجالها ، يتشاورون فى أمورهم ويتدبرون مشاكلهم ومشروعات مصاهرتهم ويتحسون حال من نزلت به منهم نارلة ، وحقت به ضائقة فيدبرون الخطة ويتغيرون الوسيلة لإيقاظه ، ويقومون للضيف بواجب القرى والحفاوة ، أما كان الزائر والمزور ، لأن المفروض أن ضيف الواحد منهم هو ضيف الجميع . وفى الدوار تقام أفراح الأسرة ومآتمها فلا يحارب صاحب العرس أو المآتم فى اختيار المكان الذى يقيم فيه سراحه أو يؤوى فيه القادمين اليه من المدن أو من القرى النائية .

أما الآن فقد تغيرت الأحوال وهجر الأعيان قرىهم واستنعموا سكنى المدن ونقلوا إليها أنفسهم مقتنياتهم وأحرف فرشهم وأنظف خدمهم ، وبقي الدور مهملا مهجورا يعيش فيه اليوم وترتع الفيران ويكاد يحدك عن العز السائف والمجد القديم ويشكوك كيف انحلت الروابط وتفككت الأواصر وزالت الوحدة وتفرقت الكلمة واختلفت المشارب وتبددت العائلات .

نعم إن مقتضيات الحياة الحديثة يفرض على البعض منا أن يقيم فى المدن التى تتوافر فيها ما لا يتوافر فى القرى من كليات الجامعة والمدارس الثانوية والمستشفيات ودار الأطباء . ولكن ما ضر هذا البعض لو أنهم يعملون لمسقط رأسهم نصيبا من عنايتهم ومن أيامهم فيقضوا بها أسبوعا من الشهر أو ما تسمح به أعمالهم من أيام الشهر ؟ اليسوا ، إن فعلوا ، يستبقون شوكة الأسرة بين العشائر ويستديمون صلة مودتهم بالأهل والجيران ويجدون من حفاوة الناس بهم ولجوتهم إليهم ولما كآهم شأنهم ما لا يجدون بعضه فى المدن ؟

ويوحى إلى ذهنى ذكر المآتم والأفراح تقليدا طيبا عصفت به ريح الفرنجة التى طغت على عاداتنا الكريمة فلا نكاد نسمع به أو نراه إلا قليلا . ذلك التقليد الطيب هو تلك المعاونة التى كان صاحب المآتم يلقاها من وجهاء قريته إذ كانوا ينصون مواعيدهم فى دار المتوفى ويدعون إليها المعزين الوافدين من البلاد البعيدة ثم يهشون حجرات النوم فى بيوتهم حتى إذا أقبل الليل دعوا أولئك المعزين الغرباء إليها . وهكذا يجد صاحب المآتم من أصدقائه وجيرانه فى البلدة

معاونة كريمة تخفف عنه كثيرا من الأعباء وغير قليل من النفقات . فأين هذا مما نراه اليوم إذ أصبح المأتم موتا وحراب ديار لا يتأق فيحيا المحزون سوى كلمات تعزية مبهوطة وعبارات مجاملة مأوفا وكلها لا تنفع ، لا تعيد^٥

حقا . من الأمر من لا يزال يحتفظ بنظام الإقرار ، ولكن وحاشته وصيفته وزعامته لأسرة فيه وسمة التعاون في لأفراح وفي المأتم وفي لذيون والازمات . كل هذا لم يبق منه لا آثار وذكريات . وتلك الفصائل كلها تسير اليوم في طريق الانقراض . فصار كبير لأسرة غير مطاع ولا مستشار . وظفى زهو الشباب على ما كان سائدا من ته قير اشيوخ ، ولم يبق من الضيافة ومظاهر الكرم القديم إلا موائد يتورط العين أو العمد في ، قائمتها للحكام ، وأصبح المدين من أفراد الأسرة لا يجد العن ولا الفرض الحسن من عشرته ولا من جبرته بل يهرول إلى البنوك والمرابين ، ويصبح يحمل وحده أعباء عرسه ومأتمه وضيوفه . بل كثير ما سمعت من موظفين كبار يدبوا أعضاء لجون الانتخاب التي كان مقرها مدرسة إلزامية أو محكمة أو أي مكان غير بيت العمد أنهم لم يجدوا مكانا يبيتون فيه ولم يدعهم أحد إلى طعام فاضطروا إلى شراء ما يسر من طعام السوق وإلى الذهاب إلى أقرب مدينة ليجدوا مكانا لذلك ثم عادوا آسفين على ما أصاب اسكرم الرضي وتقاييد الأسر الكريمة من وهن بل من زوال .

ولعل من أحب تقاليدنا القديمة إلى نفسي ما كان متبعا في الأمر الكبيرة بالنسبة للمرأة . وموضوع المرأة موضوع شائك يجب أن نمر عليه حذرين محترسين حتى لا تدمى أقدامنا الأشواك . ولكني أزعج إن الأسرة كانت تنظر إلى المرأة فيما مضى نظرة أسمى وأعظم من نظرت إليها الآن .

ولقد شاع ظلما إننا كنا نحبس المرأة في سجن البيت ونحرمها الضوء والحياة ، وأنا كنا نبعتها عن متع العيش التي أحباها الله ونعانيها كما لو كانت متاعا من أمتعة البيت . وهذا التصوير ظالم كل الظلم . لأن محاب المرأة إنما جاء نتيجة لتدليسا إياها ورعبتنا في تيسير أسباب الرعية والعيمها . لقد أردناها لتكون ملكة وجعلنا قلوبنا مقرا لعرشها ، فكانت ترعى هذه القلوب بمحناتها كما كانت ترعى البيت بعقلها وذوقها . وهذه المعاملة لم تكن شائعة إلا في البيوتات الموقورة الغنى أو في البيئات الوسطى على حين لم يكن الفلاح البسيط يجد حرجا في أن يعمل امرأته وابنته في الحقل معه ، فكانت كلناهما تخرج سافرة إذ لم يتوافرها ولا لهما منها من أسباب الغنى ما يسمح لها بالاحتجاب والاقطاع لخدمة البيت والأولاد . وأيس من شك في أن معاملة المرأة على هذا النحو أسمى وأعظم من معاملة لها اليوم : لقد كانت ملكة فأرلناها عن عرشها وصارت من الرعية .

ولكن هل من المستطاع أن يعود اليوم بالمرأة إلى ما كانت عليه ؟ كلا ! وعلى ذلك فإن هذا التقليد القديم لا نستطيع إحياءه إلا إذ عدلناه وجماعناه ملاما لتطورات الأحوال .

فلتكن المرأة للبيت تديره وتسكب عليه قبضا من وقتها وحنانها ، وليكن لها من السفور ما لا يتنافى مع الخلق والدين بحيث يمكنها من أن تتمتع بكل ما أحله لها الله . والمرأة تستطيع أن تتمتع بكل حلال دون أن تنساق من جراء الاختلاط الى مواطن الشبه ومخاطر الزلل والرجل يستطيع أن يوفر لزوجه كل المتع دون أن يشركها معه في الجلوس الى مواثد الخمر والميسر ودون أن يعرضها للفاسد والمفريات ومتى تحقق هذا عادت الأمرة الى ما كانت عليه في الماضي من توثق الروابط والثقة المتبادلة والتفرض عن التبرج المحقوت .

وكان من تقاليد الأمر تبكير الشبان بالزواج إذ لم يكن المجال منفسحا أمامهم للتعزى عن الزواج بغيره ، ولم يكن من الصعب عليهم وجود الزوجة الصالحة في أوساطهم . وهنا أدع للفكر أن يوازن بين هذه الحالة وبين حالة شباننا في هذه الأيام . وما أظن أن أحدا يشك في أن التبكير بالزواج يستتبع حتما خلق نسل قوى . والنسل في أمتنا ضعيف وقد جاء هذا الضعف نتيجة لتردد الشاب في الزواج وانتهائه من هذا التردد بعد أن يكون قد جاز مرحلة الفتوة الى سن الكهولة . وما تردده إلا لأنه يرى من عيوب المجتمع ما يحمله على الإرجاء والتسويق .

ومن تقاليدنا التي نسبناها اتباع الفرد حرفة أبيه فلقد كان الرجل فيما مضى يحرص على أن يكون له من أبنائه من يخلفه في حرفته . فكان التاجر يمتنى أن يعيش حتى يرى ابنه يحتل مكانه في الدكان ، والصانع يود لو يمتد به الأجل ليدرّب ابنه على صناعته حتى يحذقها كما حذقها هو ، والزارع يرجو أن يحد من أولاده من يبنى بعده بشؤون الحقل والعزبة ، والعالم يجهّد في أن يربي ابنه تربية أزهريّة حتى يظل بيت العلم مفتوحا من بعده .

ولمذا لم يكن ثمة تهاوت على الوظائف الحكومية ، بل إن بعض الأسر كان يرى في توظيف أبنائه جرّحا للكرامة . وهذه مغالاة بلا شك ولكنها مغالاة ما أحوجنا الى شيء منها اليوم .

ويقضى أن الأخذ بهذا التقليد فيه ضمان لإحياء صناعات واستبقاء متاجر وازدهار حرف وفتح بيوت وتنويع زراعات واستثمار أرض وإنماء ثروات ، وفيه الى جانب كل ذلك إثمار من الأيدي العاملة المتحررة من قيود الوظيفة وتنمية للملكات الابتكار وفضيلة الاعتماد على النفس والاعتزاز بما ترك الآباء والأجداد .

أجل . فلأني أعرف كثيرا من الشبان خائف لهم آباؤهم ثروات ضخمة ، وكان هؤلاء الآباء يحترفون حرفا محليّة تدر عليهم أرباحا وافرة كالجزارة والتجارة وأعمال المقاولات ، فلم يكف التراب يوارىهم حتى تمرد أبنائهم على حرفهم وتهاوتوا على وظائف لا تكاد تقوم بأوادم

فدفعوا ثمن هذا التمدد ظالماً إذ باعوا ما خلفت لهم الجيزة أو النجارة أو الصياغة أو المقاولات في سبيل التظاهر بالأناقة والرشاقة ثم لم يجدوا في الوظيفة ما يحقق أطماعهم فباعوا بخسران مبین .

ولقد كان من أظهر مزايا الجيل الماضي ، وبخاصة في لريف ، صدق عاطفة البر في قلوب الناس أو حرص الناس على الأهورى ومظهر البررة المتقين ، فكان إكدام الوفادة وإكرام المنوى سنة لا يحد عنها أصحاب البيوتات ولا متوسطو الحال . وكان الغريب والفقير وعابر السبيل يجدون المأوى والطعام يوم أو لأيام فلا يصيق بهم صاحب الدار ولا يتبرم بهم أحد . أما الآن وقد حلت المقاهى والمشارب محل "السلامك" "التقديم" فإن يجد الغريب كفأ أو ملاذاً ؟ وكان التماثل عن إيتاء أركاة وبذل الصدقات و للعید عاراً أى طار يتعاشاه الأغنياء خشية من الله أو خشية من السنة الناس ، وما قد غفل الناس عن الاحتفاظ بتلك المظاهر التى كانوا يتفنون بها وجه الله أو وجه العباد فكادت فريضة الزكاة أن تخفى دون أن يحظى اختفاؤها حتى بعبارات تم على الأسف ويتبادلها الناس في مجالسهم .

ولم يكن رافعى مقصوداً على الإحسان وتوزيع الصدقات في المواسم والأعياد بل تعدها الى دائرة أوسع فكان إحساناً بالأعمال والمنشآت . وليس أبل على ذلك من هذه المساجد الكثيرة المبنية في القرى والكفور بناها أصحابها حباً للزير وزلى الى الله . ولست أدعو قوماً الى الاستراة ن المساجد والزوايا الا فيما تدعو الضرورة اليه ، فلقد وجدنا للإحسان صور أخرى تنطوى تحت تعبير "الخدمات الاجتماعية" وترمى الى معاونة الطبقات الفقيرة وتحسين حال الشعب ورفع مستواه جملة بدلاً من معالجة بعض الحالات الفردية .

وبعد فهذه أمثلة من تفلدنا وعاداتنا أدعو الى إحسانها وإدخال ما نراه ضرورياً عليها مما يقتضيه تطور العصر . ولا يطيب لى أن أردد في هذا المقام ما قاله أحد المفكرين الفرنسيين وهو "إن في التمسك بالتقاليد ضرراً يساوى الصرر الذى نشأ عن إهمالها" ومعنى ذلك أن يذكر الشعب تنبيهه لياخذ منها ما ينفع ويدع ما لا ينفع . فتقابل الأثم هى كرمها ، هى كبريؤها . هى تاريخها الذى يجب أن تحرص عليه لأنه جوار مرورها الى التقدم ، ونحن نريد لأمتنا أن تتقدم .

عبد الحميد ابراهيم صالح

مُهَمَّةُ الْمَصْلَحِ الْاجْتِمَاعِيِّ

لحضرة صاحب السعادة العالم الجليل أحمد لطفي السيد باشا

مدير جامعة فؤاد الأول ، والعضو بمجمع فؤاد الأول لآلة العربية

٢ - اللغة :

ذكرت في حديثي الماضي أن مهمة المصلح الاجتماعي تنحصر في مساعدة الظواهر الاجتماعية على تطورها إلى أصلح وجه يقع عليه . واللغة من أهم الظواهر الاجتماعية ، لذلك كانت بعض موضوعنا ، ويسرني أن أتحدث في شأنها .

يتكلم الناس عندنا ، خواصهم وعوامهم على سواء ، بلغة عربية في مادتها ، نابية عن العربية في صورتها ، أهمل فيها ضبط الحركات في بناء الكلمات ونفيت منها بئانا قواعد الإعراب . كذلك يتفق الخواص والعوام في القراءة : هم يقرأون الكتب والصحف فلا يرعون ضوابط بناء الكلمات ، ينفون على كل كلمة على حدتها ، فينفون الإعراب من قراءتهم كما نفوه من أحاديثهم العادية . ثم يختلف هؤلاء وهؤلاء عندما يكتبون . فالعوام ، وهم السواد الأعظم وسوف يظلون كذلك أبداً ، يكتبون في غالب الأمر كما يتكلمون ، وقد يشذ بعضهم أحيانا فيكتب لغة ليست بعربية فصيحة ولا دامية صريحة . وأما الخواص فأنهم يكتبون عربية صحيحة ، يكتبها أقلهم بسهولة جريا على عادة ألفوها ، وأكثرهم يجدون مشقة في كتابتها مع أنهم قد تعلموها ولكنهم لم يستعملوها كما يستعمل أهل كل لغة لغتهم في حاجاتهم اليومية .

إذا كانت اللغة ، كما نزع ، من أهم المقومات لشخصية الأمة ، وكانت لغتنا على ما وصفت متعددة الأشكال عند أهلها ، متفاوتة في القوة والضعف في مواطن استعمالها ، شأنها حينئذى شأنها إلى حد أنه إذا اتفق أن راعى أحدهم قواعدنا في حديثه سخر منه سامعوه — على أن المعروف في البلاد المتعددة أن يسخر من المخطئ في قواعد لغته لامن المصيب — إذا كان الأمر كذلك فماذا تكون حال هذه الشخصية القومية التي تدخل بنصيب كبير في مقوماتها لغة تلك حالها ؟ وهل نرضى أن نرى صورة شخصيتنا في مرآة لغتنا هي هذا النحو من اللون الباهت ومن التغافل إلى حد أنه يصعب الحكم عليها بأنها شخصية محترمة لأمة كأمتنا رفيعة الجلس لها في تاريخ الإنسانية مقام محمود ؟

لغتنا من حيث هي ظاهرة اجتماعية، محل للتطور. فعل أي وضع سيتم هذا التطور؟ الحق أنا إذا تركنا التطور وشأنه من غير أن نسعى إلى تحديد مجراه فلا شك في أنه سيقصر أمره على اللغة العامية، ويكون حظ اللغة العربية الفصحى حظ مثيلاتها من اللغات القديمة. لغتنا الفصحى، لغة القرآن، ما الت هي اللغة المعترف بها والتي ما فتئنا منذ نهضتنا الحاضرة نساعد في تطورها وتوسيع ميادين استعمالها. ولكن هل وصلنا من أمرها بتلك الجهود إلى شيء كبير؟ هل تطورت فأومت بم حاجتنا منها سواء أكانت حاجة علمية أم أدبية أم فنية، أو هي تدهورت عما كانت في قديم الزمان حتى يضطر أهل البيان عندنا إلى أن يتخذوا مقياسا لنصاحة اللفظ ومقياسا لبلاغة العبارة ما كتبه الأدباء منذ أكثر من ألف عام؟ وهل أضحت تعلمها يسيرا على أبنائنا كما يكون علم كل لغة يسيرا على أبنائها، أو أن أبناءنا يحدون في تعلم لغتنا من المشقة ما يربى على ما يجدونه في تعلم اللغات الأجنبية التي لا تمت إلى لغتنا بصلة ما، مع أنهم يقضون نهارهم وليهم في بيئات لا تتكلم إلا العربية؟ وهل يقرأ أبناءنا، بعد أن تعلموا لغتنا، ما تقع عليه أبصارهم من الكتب قراءة صحيحة سواء أفهموا معانيها أم لم يفهموا، أو نحن، كما قال قاسم، نفهم أولا من أجل أن نقرأ؟ وهل الواقع أن جمهور الشعب ومعه طبقة المتعلمين والمتعلمات يفضلون أن يشهدوا قطعة مسرحية باللغة الفصحى على مشهود قطعة مسرحية باللغة العامية؟ وهل جمهور المستمعين للغناء يحب أن يسمع قطعة من الشعر الجيد أو هو يضجر منها ويؤثر عليها الأعاني العامية؟ وبالجمله هل نحن يجمعوننا نحب حقنا لغتنا كما يجب غيرنا لغته ويعتر بها كما يتر بجله ووطنه، أم هل نحن جهلناها فعديناها، ومن جهل شيئا عاداه؟

تلقاء هذه المسائل ليس لدينا إلا إحدى اثنتين: إما أن نترك اللغة وشأنها لأحكام التطور الاجتماعي فيحل لغة أخرى بالزمان محل لغة القرآن كما جرى ذلك على سائر اللغات القديمة، وإما أن نرد اللغة العامية إلى اللغة الفصحى فنستعيد بذلك شبابها وتصير أهلا للبقاء. وذلك بأن نهني لتطور اللغة مجرى مجرى فيه بحيث لا يضر اللغة في جوهرها، وعنى بذلك المساعدة على شيوعها وجعلها لغة الحديث اليومي كما هي لغة الكتابة ولغة جميع الطبقات، لا لغة كتابة وخطابة نخسب؟ إن لم يفعل ذلك الحريصون على بقاء اللغة العربية وسلامتها قبل قوات الوقت خرج من أيديهم هد' لإمكان، وتطورت اللغة إلى ما لا يعلم مصيره إلا الله. مهمة المصالح الاجتماعي أن يساعد تطور اللغة في ميدانين: ميدان اللغة الفصحى في داتها وميدان تسهيل تعليمها.

أما في شأن اللغة الفصحى فإنها على ثروتها الواسعة كل أسعة لم تف بعد بم حاجتنا، لأنها ليس بها من الأسماء ما نسمى به المسميات العلمية في نهضتنا هذه، وليس فيها من الأسماء ما نسمى به المسميات الجارية الواقعة تحت حواسا في هذا العصر. فلا بد من وضع

ذلك كله ، ولا بد من اتخاذ الوسيلة لضبط معاني الألفاظ الموجودة الآن في اللغة والتي جمعها جامعو اللغة العربية أو اللهجات العربية للقائل المتعددة على أنها لغة واحدة فكثرت فيها المشترك الذي يدل على عدة معان لا قرابة بينها ، وكثرت فيها ما يسمونه المترادف تدل به عدة ألفاظ على معنى واحد . وكل ذلك إذا جاز في زمن ١٠ فإنه لا يجوز في زماننا هذا ، ولا بد إذن من تقييد كل لفظ بمعنى خاص به . وإننا نكرر أن المشترك والمترادف لا محل لهما الآن عندنا إلا عن قلة وعن طريق الشذوذ .

أما في شأن اللغة العامية فلا بد من إحلال اللغة العربية محلها بالزمان ، وذلك بتسهيل تعليم اللغة الفصحى وإشاعتها إشاعة تقضى بعد قليل أو كثير من الأجيال على اللغة العامية . لقد فكرت في هذا الموضوع منذ اثنين وأربعين عاما فلم أجد لذلك إلا وسيلة واحدة وهي إلقاء الناس إلى أن يقرأوا ما يقرون من الصحف قراءة صحيحة في بناء الكلمات وفي إعرابها ، فنشرت رأبي هذا في مجلة الموسوعات سنة ١٨٩٨ ، وهو يتلخص في إدخال الشكل في بنية الكلمة حتى لا يتعطل نهر القارئ . فتنى قرا الناس صحيحا عشرات من السنين اعتادوا نطق اللغة كما كان ينطقها أهلها الأولون ، فيسهل بذلك تعلمها ويتم بذلك وحدتها . لم أك مبتدعا رأبي هذا ابتداء . ولكنه هو الطريقة الطيبة لرسم أصوات الحروف كما ينطق بها . فقد روى سيويه عن الخليل أنه يرى أن الفتحة من الألف والكسرة من الياء ، والضممة من الواو ، وعلى هذا وضع الخليل الشكل على هذه الطريقة فوسم للفتحة ألفا وللکسرة ياء راجعة وللضممة واوا . ولقد اتبعت في رأبي طريقة الخليل ولكن بإدخال هذه الحروف اللينة في بنية الكلمة .

أثار هذا الرأي وقتئذ جدالا بين بعض الكتاب توصلت إلى صرفهم عنه ، لأنني آست أن الوقت لم يحين بعد للإصلاح في اللغة بل ولا في غيرها إصلاحا يرضى به الناس . فقبل ذلك بقليل احتج بعض الصحف على الحكومة لأنها شرعت في إنشاء السكك الزراعية ، وبعد ذلك بقليل احتجت تلك الصحف على الحكومة لأنها فكرت في إقامة خزان أسوان .

فلما وليت وزارة المعارف سنة ١٩٢٨ عرضت هذا الرأي على مفتشى اللغة العربية فقالوا بعدم صلاحيته ولم يعرضوا رأيا آخر يجعل من رسم الحروف وسيلة ملزمة للناس أن يقرأوا المكتوب صحيحا فهموا منه أم لم يفهموه ، كما هو الشأن في جميع لغات العالم .

فلما ولي صديق الدكتور بهي الدين بركات باشا وزارة المعارف سنة ١٩٣٨ قام بحركة من هذا النوع لم يمهله وقت ولايته تلك الوزارة لاستيعابها واستخراج نتيجتها .
والآن لابد للصالح الاجتماعي من عمل شيء في هذا السبيل .

لست متمسكا بالطريقة التي اقترحتها منذ زمان بعيد . ولكنني راض بأية طريقة أخرى تؤدي الى الغاية التي ننشدها من توحيد لغة الكتابة ولغة الكلام في الجملة ليسهل تعليمها من ناحية وليوجد حد مشترك من اللغة بين المتعلمين وبين غير المتعلمين .

كان بعض أصحابنا يرى رأيا آخر يزكرونه في المجالس الخاصة بشيء من التردد ، وعلى استحياء يقيمون الأدلة على صلاحه . ذلك الرأي هو إلغاء الإعراب دفعة واحدة وإلزام السكون أو انحر الكلمات جميعا على سواء . وهذا الرأي مطعون فيه من وجهين :

أما الأول فإنه لا يخل من المسألة إلا بعضها دون البعض الآخر . لأن ضبط حركات الحروف ليس ضروريا في الأعراب فحسب ، بل هو أشد ضرورة في بنية الكلمة . وهذا الضبط من جوهر اللغة ، فإذا أهملنا الإعراب وأهملنا الشكل ولم نأت بطريقة تقوم مقامه ظل الناس يلفظون الكلمات على غير وجهها الصحيح كما هم الآن يفعلون .

وأما الوجه الثاني فإن في هذا الرأي إهدارا لصورة اللغة العربية وقضاء على أهم مميزاتها . وذلك ما لا نظن أحدا يرضاه ، خصوصا متى أمكن تسهيل تعليم اللغة وشيوعها من غير الالتجاء إلى البعث بسلامتها ومميزاتها .

هذان الاعتباران أراهما من الجلة بمكان . ولكنني مع ذلك أنوم أن عقليات الأجيال المستقبلية لا تكاد تبالي بمثل هذه الاعتبارات . فإن اللغة ، في نهاية الأمر ، ليست إلا أداة للتفاهم وواسطة للتعليم . ومن شأن الأداة أن تكون ميسورة الحياة للكافة . فإذا كانت هذه الأداة من المسر بحيث يفنى المرء شبابه في تحصيلها فتي يحصل ما يؤدي اليه ؟

من أجل الاعتبارات التي ذكرتها أرى واجبا على المصلح الاجتماعي أن يجعل بتدبير الوسائل لتسهيل تعليم اللغة الفصحى ، وإلماعتها في جميع طبقات القارئ ، ولجعلها وافية بحاجات الحياة ، وإلا يكون قد ألقي بسلامتها في تطورها إلى أيدي المصادفات ، يجرى عليها التطور كما جرى على مثيلاتها من اللغات القديمة .

أحمد لطفى السيد

حال عسكرو الى القاس

الحضرة صاحب السعادة محمد على علوبة باشا

ذكرت الصحف أن حاكم القاهرة العسكري قرر فصل ثلاثة آلاف من الشبان المتطوعين للرفقة أثناء الغارات الجوية ، لأنه ثبت لديه أن بعضهم لا يقدرسون سمو المسؤولية التي تطوعوا لحملها وأن البعض الآخر يهملون أداء واجبهم وينصرفون إلى مشاكسة الأهلين استنادا إلى سلطة وظائفهم .

ولا بد أن الذين قرأوا هذا الخبر قد عراهم الأسى وتولاهم الأسف لهذه الحال التي تلجج الحاكم العسكري إلى الاستغناء عن ثلاثة آلاف شاب لأنهم " لا يقدرسون المسؤولية " أو " يهملون أداء واجباتهم وينصرفون إلى مشاكسة الأهلين " .

والمشاكسة هنا تعني أشياء كثيرة . فمن هؤلاء المراقبين إنما يحتكون بالجمهور في الليل أي في الظلام ويتحدثون بلهجة الأمر إلى أعضاء البيت من الجلسين ، فالمشاكسة هنا تبعث إلى الذهن أسوأ الظنون ، وأقل ما تدل عليه أن الشاب المشاكس قد صدم الشهامة والمروءة . الوقت ليل والكوت مظلم والمصابيح مطفأة والقلق مخيم على النفوس ، وهناك نساء وفتيات ليس لهن جلد الزحال قد استولت عليهن رعدة وهن ينتظرن من وقت لآخر سقوط قبلة وانهار البيت ، فإذا طارق يطرق الباب . ويحس سكان البيت أنه قد جاء لكي يطمئن ويشجع ويهدئ . ولكنهم بدلا من ذلك يحدون الشاب المغازل المتمحك الثقيل . وأين الشهامة وأين المروءة وأين الشرف ؟

لقد ألفت محافظة القاهرة نفسها عقب دخول إيطاليا الحرب في حاجة إلى ثمانية آلاف مراقب يعاونون الناس على تحاشي المخاطر ويسعفونهم عند وقوع الكوارث ويطوفون في الليل وقت الغارات ليمنعوا تسرب الأنوار إلى خارج المنازل ولم تأنس في شرطتها التي تحمل أعباء أخرى لصيانة الأمن العام سعة الوقت أو كفاية العدد لهذه المهمة الانسانية السامية ، فكلفت الشبان المتطوعين القيام بها وانتظرت منهم الرجولة والشهامة فلم تجدهما ، بل وجدت ذلك الشاب الذي يشتكى من خصمه بآتهامه بإضاعة منزله . ووجدت ذلك الآخر الذي ينتطح ويزعم أن النور ظاهر من إحدى النوافذ لكي يدخل ويحسك بسكانه ، ووجدت ذلك الثالث الذي يلتقي بسيدة في الطريق فبدلا من أن يرشدها وينجدها في الظلام يتعمد إيذاءها في حياتها .

الحكومة تثق بالشباب وتكل النهم مهمة كلها رجولة وشهامة ، فلا تجرد من الشباب غير هذا التنكس في الأخلاق والاصغار في السلوك والانتهاز للفرص بعبء تحقيق ذوات خسيسة ، ثم تلتهم بعد التجربة بالاستغناء عن ثلاثة آلاف من ثمانية آلاف أي ما يقرب من نصف .

وهذا السقوط الخلقى لم يذكر عن عشرات أو مئات وإنما ذكر عن آلاف . والحق أن مثل هذه الحال تدعو إلى انقلاق العظم . فإن شبابنا هم عدة مستقبلنا . فإذا كانت هذه العدة مختلة من الآن فكيف نتمتع عليها في السنين القادمة حين تنشأ الأمة رجاءها لكي يحملوا أعباءها ويؤدوا واجباتها ؟

كانت الشكوى من أخلاق الشباب تبدو من وقت لآخر على صفحات الجرائد ، ولكنا لم نكن نحسب أن مثل هذه الظروف — ظروف الظلام والحواف — يمكن أن تستغل لأعراض دينية . والحق أنه قد آن الأوان لأن نصارح بل نصرخ حتى يتنبه الغافلون ويعملوا للإصلاح حتى ولو تطلب الأمر من تشريعات جديدة وتشديد العقوبات القائمة .

وقيل الحرب حين كان الاصطياف عاما على الشواطئ كما نسمع عن الاستهتار المنفشى ، وكان بعض شبوخا ممن يغارون على الفضيلة يلحون في الفصل بين الجنسين على الشواطئ ، وكنا نظن فيهم المغالاة ونعتقد أن الحال لا تدعو إلى كل هذا القلق . ولكن من منا الآن يظن أن الصبيحات الماضية كان يحاط بها أدنى غلو ؟ السنا نرى في هذا الخبر الذى روته الصحف ضوءا جديدا يصب على هذا التعفن الأخلاقى بين شبابنا ويوضح لنا الخطر الذى يستهدف له مجتمعنا إذا تركنا الحبل على الغارب ولم نضع الشكيمة والنجار فى موضعيهما .

هناك على الشواطئ تنشأ المائلات الصحة فى هواء البحر وأشعة الشمس ، بعضهم فى الماء وبعض آخر على الرمال ، فإذا شاب يحاول التقرب من الفتيات ولا يبالي بالحياء ولا يكثر لنظرات الأم أو الأب . وكثيرا ما تستحيل هذه النظرات العاطفا عنيفة من التوبيخ والتبكيت . والبحر مع سفته يضيق ببعض الشبان حتى ليركوا مكانهم منه ويقتربوا إلى حيث تستحم الفتيات ثم يكون الإغراء والإغواء اللذان لا يتقطعان إلا بعد تدخل أحد الوالدين . وهكذا تمرى المفاسد ويتوالى البعث ويشهر بالفتيات دون رحمة من هؤلاء الشباب الذين "لا يقدر على المسئولية الملقاة على عواتقهم" والذين "ينصرفون إلى مشاكسة الأهلان" على حد قول محافظ العاصمة .

ثم نكون فى القاهرة أو فى الإسكندرية ونصعد إلى ركوب الترام أو الأتوبيس فنجد الشبان يفتنمون فرصة الزحام ويحسبون بالسيدات أو الفتيات . وهؤلاء المسكينات عاجزات عن ردنهم إذ يجدن أنفسهن بين عامل الخجل الذى يحملهن على إثارة الصمت وعامل الشرف الذى يبعثن على صد هؤلاء الشبان باليد أو اللسان . وكان يجب على الجمهور أن يستشعر ضعف نسائنا وأن يبينهم بقمع هؤلاء الشبان كلما وجد منهم حقنة أو عدوانا . ولو أن شابا وجد من الجمهور تأديبا مرة أو مرتين لاتعظ واصلح وكف عن مشاكساته سارحياته .

ونحن الذين جاوزنا من الشباب نساءل : لماذا كنا أيام شبابنا على حياء عظيم لا نكاد نجرؤ على أن نتطلع إلى سيدة أو آنسة فى حين لا يبالي شباب هذا العصر أن يجابهوا النساء بالكلام الفظ والإيذاء الوحشة والعبث المتهين ؟

ويقال لنا في الرد على هذا السؤال إن العالم قد تغير بعد الحرب وإن الأقيسة الأخلاقية القديمة قد تزعزعت وإن الحرية الجديدة قد جرأت الشبان على ما كنا نقف إزاءه متحفظين خاشعين . فإذا صح هذا التعليل وجب أن نندب هذا الحظ الذي وقع فيه شباننا وإن نعمد في سرعة عاجلة إلى إصلاحهم فنردهم إلى حظيرة الفضيلة التي نزعوا عنها مغترين بحماية قد جنت على نفسها بالمبالغة والإسراف حتى صارت إباحية ضارة .

وليس من شك في أن هذا التعليل يتضمن بعض الحق . فإن الاستقرار الذي سبق الحرب الكبرى قد تزعزع عقبها . والعلاقات بين الجنسين قد طرأ عليها تغيير كان بعضه حسنا ولكن بعضه أيضا كان ضارا . والاحترام بل الوفاق الذي كنا ننظر به إلى المرأة قد خف وزنه ونقصت قيمته . وعلينا جميعا أن نصالح هذه الحال وأن نتعقب أعراض الفساد لكي نتعرف بها إلى عناصره ونعالجها .

فعدنا مثلا بعض المسرحيات التي يتفرج برؤيتها جمهور الشباب فيسمع فيها الأقوال والآراء الناعمة كما يرى الإيماءات والحركات التي تجمل عواطفه نوعا من العريضة لا يطاق، فلم لا نصالح هذه المسرحيات ؟

وعندنا أغاني وقصص وأناشيد ترسلها محطة الاذاعة على أمواج الفضاء ، وهي ليست بريئة مما يفسد العقول بالنكات الفجة والألفاظ الفظة ولا مما يبيج العواطف بالإحساسات الفاجرة . فلم لا نقضى على هذه الأغاني والقصص والأناشيد ؟

وعندنا أيضا مجلات أسبوعية ما كان أسعدنا حين كنا نجعلها قبل الحرب الماضية ! ولكن هذه المجلات تفشت في جونا الصحفي كأها طفع الحمى على جسم المريض ، تسود صفحاتها بطائفة من الصور والأخبار التي تثير في النفس التفانات واحساسات غير بريئة . والشباب يتألمها ويخيلها كأنها بمص حياتنا المألوفة فلا يبالى بعد ذلك أن يرسم هذا الخيال في حياته الواقعية . وخاصة لأنه يرى الكبر يقرأون هذه المجلات التي لا يصح لشخص مهذب أن يقرأها . فلم لا نعمل بكل الوسائل على الحيلولة دون نشر هذه المجلات في الجمهور ؟

ثم عندنا بعد ذلك القصص التي تصدر بمعدل اثنين أو ثلاث كل أسبوع وهي دعاة قلمية تفسد الأذواق ولأخلاق . فلم لا نطلب الحكومة بمكافئتها كما تكافئ سائر الموبقات ؟

أجل كل هذا يستحق الإصلاح . وإذا كانت الحرب الكبرى قد أحدثت بعض التفكك الأخلاقي فليس في هذا ما يمنع الإصلاح أو يدعو إلى السكوت والرضى . فانه يجب على محرري صحفنا وعلى واضعي مؤلفي مسرحياتنا وعلى محطة الإذاعة وعلى الآباء وعلى الحكومة أن يتعاونوا جميعا على صحت الروحنة والشهامة بن شابا وعلى إشعارهم بأنهم رجال المستقبل إذا أردنا أن يكون لهذه الأمة مستقبل وأن يكون لهذا المستقبل رجال .

محمد علي علوبه

الإصلاح الصحي في الريف

لحضرة صاحب العزة الدكتور عبد الواحد الوكيل بك

أستاذ علم الصحة والطب الوثنائ بكلية الطب

مشكلة الإصلاح في المناطق الريفية ومكانها القرويين ، حتى في الممالك الأوروبية والأمريكية الراقية ، تعتبر المحك الحقيقي لليقظة الاجتماعية والانسانية بين الطبقات المتعاملة في تلك الشعوب ، كما أنها تعتبر ميزان الجدارة الإدارية للحكومات .

فالطبقات المتعاملة ، أو أغلبية أفرادها على الأقل في الوقت الحاضر ، تتكون من أبناء الريف . وهم بذلك يحملون في أعناقهم ديناً كبيراً للطبقة التي منها برزوا وعلى أكتافها ارتفعوا ذلك الدين أن يكونوا لسانها الناطق وعقلها الباحث ، وأن يظلوا طويلاً حياتهم دعاة إصلاح وطلاب رقي وإنهاض .

أما الحكومات فإن جدارتها لا يمكن أن يكتفى في قياسها بما تقوم به من مشروعات سهلة نسبياً ، كخدمة جزء راق من الشعب مثل مكان امدين ، أو شق ترعة ، أو إقامة قناطر أو تجنيد جيش فحسب ، بل إن جدارتها العظمى يجب أن تتبدى في رفع مستوى الحياة العائلية والشخصية بين أغلبية السكان ، وهم أهل الريف .

ومع ذلك فيجب أن نعترف أن مشكلة الإصلاح لريفي سواء من الوجهة الصحية أو سواها ليست مشكلة هيئة التناول ، ولا هي سريعة الحل . وذلك لعدة اسباب ، لعل أهمها أن ذلك الإصلاح هو من النوع المركب لا البسيط ، اذ يجب أن يتناول رفع المستوى الرضي من عدة جوانب ، أعني رفع المستوى الاقتصادي والمستوى الثقافي والمستوى الصحي في وقت واحد ، لارتباط كل منها بالآخر ارتباطاً وثيقاً ، وتفاعل بعضها في البعض تفاعلاً مستمراً يجعل منها تسعة مشاكل لا ثلاثاً فقط . بل إذا زدنا عليها ضرورة تعاون الفلاح مع سواه صارت المشاكل ستة مشرلاً أربعاً فحسب .

وقد ساعد على تأخر ذلك الإصلاح بختلف نواحيه ، أن السكان الزراعيين يعيشون متناثرين في زهاء أربعة آلاف قرية وعشرين ألف عزبة ، أي لا تضمهم بقعة واحدة يسهل فيها الإصلاح دون تكرار الجهود في تلك الألوف من الأمكنة . وأنهم أنفسهم لا يكادون يشرون في فقرهم وجهالتهم بغضاضة كبيرة في أحوالهم المديشية والصحية ، ولا يلحون في طلب إصلاحها كما فعل مثلاً المشتغلون في مهنة الصناعة تلك المهنة التي هي أحدث في حياة الانسان .

من مهنة الزراعة ، ومع ذلك فقد نجح أبناؤها حتى بمصر في الحصول على حقوقهم المالية والاجتماعية والصحية ، مدعمة بالقوانين واللوائح ، قبل أن يحصل على مثلها أو أقل منها أقاربهم الفلاحون ، مستفيدين في ذلك بوجودهم -تجمعين في المدن وعلى مقربة من السلطات الحاكمة وتحت أنظارها .

وإذا اعتبرنا أن العمال جديرون بنيل تلك العناية الخاصة بحكم تعرض صحتهم وحياتهم في المصانع لأمراض وأخطار كبرى ، من إصابات وعاهات وأذى بالغبار والغارات والسموم وبحكم ميل أرباب الصناعة الى استغلال قواهم وجهودهم الى أقصى حد ، فإنه يجب ألا تظني أن الزراعة في بلادنا الحارة بصفة خاصة ، يجب اعتبارها كذلك صناعة مؤذية ، إذ أن لها نوما خطيرا من أمراض المهنة كالبلهارسيا ، والانكلستوما ، والملاريا ، والتعرض للعوامل الجوية الشديدة من البرد في الشتاء ، الى ضربة الحر والشمس في الصيف ، فضلا عن مشاكل الآليات والأجود وغير ذلك مما يحتاج الى وقاية صحية وحماية اجتماعية .

أما تأخر الإصلاح الصحي بصفة خاصة في الريف فيجب لمعرفة سببه الأساسي أن نحدد أولا موقف ذلك الجانب بالنسبة لسواه من عوامل المشكلة الريفية . ذلك أننا إذا أمعنا النظر لوجدنا أن أسوأ تلك العوامل وأكثرها إثرا في الحالة الصحية هو عامل الفقر . بحيث لا ينتظر بلوغ درجة كبيرة من النجاح الصحي مع بقاء أغلبية الفلاحين في مستواهم الاقتصادي الحالي . أي مجرد إجراء يشغلون للحصول على الكفاف من القوت .

ويكفي لإثبات ذلك ما نراه من أن امتلاك أي فلاح لشيء من الأرض ولو كان فداناً واحداً يرفع في الحال مستواه الصحي ومستوى زوجته وأولاده درجات فوق مستوى حيوانه ، وذلك لتمكّنه من الحصول على مقدار أكبر من تلك الضروريات الأساسية للصحة الشخصية وأهمها ثلاثة أشياء هي الغذاء الصالح ، والملبس الكافي ، والمسكن المناسب .

فالفقير ، مهما كان جاهلاً ، سواء في الريف أو الحضر ، ميال بطبيعته وغير رزته لتحسين حالته الجسمية والمعيشية ، تواق لرفع مستواه بذاته إذا تيسر له قليل المال . أما إذا بلغ من المترتبة القدر الذي عليه فلاحنا اليوم فلن ينتظر لحالته الصحية تحسن ولو كان فلاحاً انكليزياً أو أمريكياً ، أي في تلك الأقطار الممتعة بأرق نظام صحي وأكمله .

وإذا كنا في بلد لا يستطيع أغلب أهله شراء نعل بقرمش ونصف أو قرشين يقيهم صدوى الانكلستوما ويرفعهم عن طبقة السائمة ، بحيث يقترح البعض شراء تلك النعال وإهدائها إليهم ، ويخشى آخرون أن يبيعوا تلك النعال بعد توزيعها عليهم كما فعلوا في الصابون الذي منح لهم في بعض الجهات لفصل أبدانهم ، فلا يجب أن نتمتع كثيراً في وضع أصبعنا على مصدر الضرر وعلة العلل . وهو الفقر .

وإذا كانت الحكومة ومجالس المديريات والمجالس القروية تستطيع توفير مبل الملاج والوقاية الطبية لتلك الملايين ، فإن هذه الخدمات مع ضرورتها لا يمكن وحدها أن تصل الى الهدف المنشود كالألا ، إذ أن خزانة هذه الهيئات لا تستطيع أن توفر لهم جميعا تلك الضروريات الأساسية وهي الغذاء الكافي والملبس والمساكن الماسين التي بدونها لا يمكن في النهاية منع المرض أو العيش في حياة صحية أو شبه صحية .

فإذا أمكننا تخفيف أثر الفقر في الريف بالعمل على حسن توزيع الثروة الزراعية في المستقبل وحماية ملكية الفلاح لها بتحديد أقصى حد لما يمكن أن يملكه منها الأغنياء ولو في قابل الأيام فيضطرون بذلك الى استغلال أموالهم في الشركات والمصانع والمباني وما أشبه ذلك ، بدل استثمارها في شراء الأراضي الزراعية ، وإذا عملنا على سرعة إصلاح الأراضي البور ، وري مناطق أخرى من الصحراء لتوزيع تلك الأراضي على فلاحي المناطق المزدهرة ، وإذا عملنا على تحسين غلة الأرض ، وسمرة إدخال زراعات وصناعات زراعية جديدة ، وتصميم الجمعيات التعاونية وما إلى ذلك مما أتركه الى من هم أفضل مني بين الباحثين ، لو فعلنا ذلك لأمكننا السير حثيثا في النهضة الصحية بأسرع مما كان وما ينتظر .

وهكذا إذا شئنا توزيع المسؤولية الأساسية في تأخر الأحوال الصحية في ريف هذه البلاد وجب ألا نضعها كلها على باب وزارة الصحة ، كلا ولا كلها على باب الفلاح ذاته ، بل وبما كان الواجب وضع شطرها الأكبر على أبواب أخرى ، أو على باب وزرائنا ونوابنا الذين يصطبّهون ، بطريقة حاسمة أو تدريجية ، تغيير نظامنا الاقتصادي وجعله أجدى على الفلاحين الفقراء عما هو الآن . وهو تغيير يتم في ممالك عديدة أخرى . معتبرين إياه أساسا للنهضة الصحية الريفية وسواها من النهضات . أو بتعبير آخر معتبرين إياه قتلا للافئ بدق رأسها حيث تلك الرأس هي الفقر بينما جسم الأفئ هو الجهل وذنبها المرض .

ومع ذلك فإننا يجب ألا نجلس صامتين عن تحسين الشؤون الصحية الريفية ، متظرين تحسين دخل الفلاح ، أو شموله بمثل تلك الرعاية القانونية التي يتمتع بها العمال الصناعيون ، فإنه من جهة يظهر أننا سنتظر طويلا الى أن يمن الله علينا بمصالح جرى . يؤدي هذه الخدمات المبني للبلاد ، ومن جهة أخرى فإن سوء الحالة الصحية القروية ، وإن رجع أغلبه الى الفقر فإن هناك عوامل أخرى مسببة له ، كإهمال السلطات لشؤون الريف مدة طويلة ، وكتفشي الجهل والعادات السيئة بين سكانه ، ونخطأ سياسة الري والصرف القديمة ، وما أشبه ذلك مما يمكن ملاحظته سريعا أو تدريجيا لرفع المستوى الصحي درجة عما هو الآن .

ولتحسين الحالة الصحية في الريف يجب أن يكون أول ما نضعه نصب أعيننا أن الفلاح في حالته الراهنة هو شخص مثقل بأمراض عديدة ، كالبهاارصيا المصاب بها ٧٥ ٪ من

السكان ، والانكسوتوما المصاب بها ٥٠٪ ، والديدان المعوية الأخرى المصاب بها ٥٠٪ .
أيضا ، والملاريا المصاب بها ١٥٪ من سكان الدلتا ، والربد المصاب به ٩٠٪ ، واللاغرا
المصاب بها ٧٪ . ومرص الزهري المصاب به ٧٪ . تضاف الى ذلك أمراض الأطفال
خاصة كالإسهال وغيره . مما تسبب أكثر من نصف الوفيات العمومية .

ومثل هذا المجتمع المنقل بالأزمات يحتاج منا الى نوعين من الخدمة ، أولها إسعافه
سريعا من الوجهة الطبية بتوفير سبل العلاج له من تلك الأمراض ، وثانيها العمل على
وقايته من تلك الأمراض .

أما النوع الأول من الخدمة الصحية الريفية ، وهو توفير سبل العلاج لهذا الفلاح المريض
فهو نوع أسهل مثلا من الآخر ، ومع ذلك فلا يمكننا القول إننا بلغنا فيه درجة تذكر من
النجاح . فقد سارت خطة العمل مدة طويلة ، أى منذ عهد الحكم البريطانى ، على إنشاء
مستشفيات عمومية فى بنادر المديرية والمراكز لخدمة سكانها وسكان الدري التابعة لها ،
فلما وجد أن الفلاح لا يلجأ الى تلك المستشفيات لبعدها عن مقر عمله ، هذا ما لم يبلغ درجة
اليأس فى مرضه ، صار تعديل تلك الخطة بإبتداع مستشفيات متنقلة تختلف الأمراض
كالربد والأمراض المتوطنة ، تضع خيامها فى جهة ما شهرا أو اثنين أو أكثر ثم ترحل الى
سواها ليعم خيرها المزعوم مختلف الواحى وأجهات .

ويكفى دليلا على عدم نجاح هذه السياسة العلاجية الريفية النجاح الوافى ، وعلى ضرورة
العمل على تغييرها حتى تماشى حاجة البلاد ، وزيادة السكان والأمراض فيها . أن نسبة الوفيات
فى الريف لم تنخفض شيئا فى غضون هذه السنين الطويلة ، بل تلك النسبة قد ارتفعت
من متوسط ٢٤ فى الألف فى الخمس السنوات (١٩٢١ - ١٩٢٥) الى ٢٤,٣ فى الفترة
التالية (١٩٢٦ - ١٩٣٠) ثم الى ٢٥,١ فى الألف فى المدة (١٩٣١ - ١٩٣٥) ، أى إن
الحالة قد زادت سوءا فى الريف بمقدار ٥٪ على الأقل فى تلك الخمس عشرة سنة ، بينما أن
سكان الحضر المصرى هبطت وفياتهم فى تلك الفترة ذاتها بمقدار نحو ١٠٪ ، كما لا يستطيع
أحد القول بأن عدد المصابين بالأمراض الهامة من متوطنة ومساوفا قد انخفض فى تلك
الفترة الانخفاض اللائق بطب القرن العشرين .

كما أن وفيات الأطفال الرضع فى الريف قد ارتفعت كذلك فى تلك المدة نفسها من
١٢٩ الى ١٣٨ الى ١٥١ لكل ألف مولود أى زادت بمقدار ١٧٪ ، بينما أن المدن المصرية
سجلت فى تلك المدة انخفاضا بمقدار ٧,٥٪ .

ولعل فى هذه الأرقام برهانا مقنعا على عدم سداد الخطة العلاجية التى لا تزال متبعة الى
اليوم كتراث من الماضى . فإنه يجب ألا ينظر من الفلاح ، وهو فى جهله الخالى ،

وانكاله على القضاء والقدر ، مع كثرة أعماله الزراعية ، أن يرحد كلو مقرات عديدة للوصول الى الطيب في المستشفيات المركزية . كما يجب ألا ننظر إلا أقل فائدة من ذلك النوع الآخر من تلك المستشفيات أى المتنقلة ، التى هى مع ذلك قليلة العدد ، والتى قد تحسن الحال بها ما أقامت فاذا رحلت عاد المرض فاحتل الأبدان والأجسام .

ومن عجب أنه مع ظهور هذه الحقائق ، ولمس السلطات المسؤولة لها من سنوات عديدة ، لم تحدث الا محاولات طفيفة لاتباع أو تجربة خطط أخرى . ذلك ما جرب من انشاء مستشفيات قروية رفضها البراءان فيما بعد لكثرة نفقات انشائها ، وعدم استكمال فائدتها . ومثل انشاء وحدات صحية شاملة ، لها برنامج جميل على الورق ولكنه غير منفذ فعلا . كما أنه يقصد بها خدمة ٣٠ ألف من السكان وهو أكثر مما يطيقه طبيب لكثرة المرضى فيهم .

كما أن السلطات لم تتعب نفسها قليلا كي تعرف ما هو متبع في الممالك الزراعية الأجنبية الشبيهة بمصر والتى نجحت نجاحا بارزا في رفع المستوى الصحى بين فلاحيهما في بضعة سنين . يقال في الأمثال إنه اذا لم يتحرك الجبل الى محمد فان محمد يتحرك إليه . وعلى هدى هذه الحكمة يجب أن تكون سياستنا العلاجية الريفية .

فالريف المصرى ، أو أغليته على الأقل ، لا يمكن لسكانه الاستفادة من المنشآت أو الخدمات الموجودة في عواصم المديرىات وبنادر المراكز . ولذا يجب تقسيمه الى وحدات أو مجموعات أو مراكز جديدة تختلف كثيرا عن نظام المديرىات والمراكز الكبيرة الحالى الذى ورثناه من القرن الماضى . مراكز صغيرة لا يتعدى سكانها عشرة آلاف نسمة ، ولا يزيد قطرها عن الخمسة عشر كيلو مترا ، تشبه بتلك المراكز التى انشأها الممالك الزراعية الأخرى والتى لا يزيد سكانها عن خمسة أو ستة آلاف وقطرها عن بضعة كيلو مترات قليلة .

هذه المراكز أو الوحدات أو المجموعات القروية الصغيرة الجديدة ، يجب اعتبارها بمثابة الخلية من جسم الأمة ، وفي هذه الخلية ومنها يجب أن يبدأ الإصلاح الحقيقى لهذه البلاد ، إصلاح لا يتناول الفلاحين والفلاحات الحالين فحسب ، بل يتناول كذلك أطفال الفلاحين أى الجيل الجديد الذى هو أمة الغد المرجو المأمول .

فاذا ما اقتنعت السلطات بضرورة هذا التقسيم الجديد للإصلاح الصحى والاجتماعى في الريف ، متشجعة في ذلك بنجاحه في كثير من الأمم الزراعية الأخرى ، أمكن تدير شؤون العلاج للفلاحين رويدا بطريقة ناجحة ومناسبة لهم . بل كذلك أمكن في بضع عشرات من السنين ، تدير شؤون الوقاية الصحية وكذلك ادخال الخدمات الاجتماعية والاقتصادية في الريف عامة بطريقة أنجح وأجمع ، لا إرهاق فيها للموظفين الفنيين ، ولا لجمهور الفلاحين .

وفي كل من تلك المراكز أو المجموعات الصغيرة، يجب أن تتمثل الخدمات الفنية اللازمة للفلاح. فمن الوجهة الطبية يثنأ مركز صحي دائم يتكون من طبيب مقيم متمرن عن أمراض الفلاحين الهامة، وهي لا تزيد عن عشرة أمراض، وعن شؤون الوقاية الطبية من الأمراض المعدية، وشؤون التغذية الصحية، تساعد زائرة صحية لتوليد النساء. ورعاية الأطفال. يجاورهم حمام صغير بسيط به خمسة أو ست فوهات رشاشة لنقاوة الرجال والنساء والأطفال. وبضع أسرة لإقامة العائلات.

ولا أقصد بالإشياء، أن نقيم بناء فخا لتلك المراكز الصحية يتكلف الكثير من المال. وإنما يكفي تأجير أية دار في القرية، كما فعلت الجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية في قرى المنايل وشطانوف، يمكن بقليل من المال ولو على نفقة السكان تهيتها لتكون مركزا صحيا مناسباً للريف.

ويمهل بعد ذلك ربط هذه الوحدات الصحية بسيارات نقالة في المستشفيات، لنقل المحتاجين الى عمليات جراحية، أو فحص طبي خاص بالأشعة أو سواها، أو عناية خاصة في العيادات الداخلية. كما يمكن الاكتفاء بذلك الطبيب عن إنشاء مستشفيات متنقلة لعلاج الأمراض المتوطنة وكذلك الرمد مع امداده بأخصائي في العيون مرة في الأسبوع أو الشهر لمساعدته وإرشاده.

وإذا كنت أذكر لحضراتكم هذه الخطة اللازمة بصفة أساسية للمقدمة العلاجية في الريف فليس ذلك نتيجة التخيل أو التوهم، بل لقد كان لي الحظ في مشاهدة عشرات منها بنفسي في ممالك مختلفة، بل لقد كان لي الحظ في مشاركة بعض أطبائها العمل، وكذلك المبيت في بعضها أثناء تجوالي.

ولا بد لي هنا من أن ألم المسامة ولو موجزة بذلك الجانب الآخر العويص من المشكلة الصحية الريفية وهو مشكلة الوقاية العامة. وصعوبة الأمر في هذا الجانب أنه يتطلب مالا وجهدا غير قليلين. فإذا كانت الوحدات أو المراكز الصحية التي سبق ذكرها تحتاج الى مال غير قليل بحيث لا يمكن تعميمها الا في مدى عشرة وخمسة عشر سنة، فإن التحسين الصحي العام في الريف، سيحتاج في اتساعه كاملا أو شبه كامل الى مدة أطول ومال أكثر. كما أنه يحتاج الى تعديل بعض المشروعات المتبعة لتحقيقه في الوقت الحاضر وهي المشروعات التي دلت الدلائل على عقمها أو بطئها أو عدم ملائمتها لأحوال الفلاح وعاداته.

ولنأخذ مثلا في ذلك تلك المنشأة الرئيسية وهي إمداد الفلاحين بمياه الشرب النقية. وردم البرك والمستنقعات ومشكلة إنشاء المساكن الصحية.

أما مياه الشرب فاننا اذا استبعدنا مديرية القوم ، وكذلك الخمسين كيلومترا الشمالية من الدلتا ، وهى المناطق التى لا يمكن فيها استعمال الآبار لمحوحة امياه الخوفية ، والتى يصعب فى بعض جهاتها الشمالية ايجاد كمية كافية من مياه النيل أياما عديدة لوجودها على أطراف الترع ، فاننا نجد فى الإمكان حل هذه المشكلة بصفة مؤقتة على الأقل ، بل ربما كذلك بصفة دائمة ، بامداد الجهات الباقية من القنطرة وهى ثلاثة ارباع القرى واعزب كافة أى ما لا يقل عن ثلاثة آلاف قرية و ١٥ ألف عربة بمياه جيدة نقية على أهون سبيل ، وذلك بواسطة فرس آبار عميقة تتراوح نفقة كل منها ما بين ٣٠ — ٣٠٠ جسيما .

وهذه الآبار لن تكلف الدولة فى الغالب أكثر من مليون من الجنيهات ، يمكن صرفها فى غضون أربعة أو خمس سنوات ، بدلا من الانتظار سنوات لانتهاء لها حتى تتمكن الخزانة العامة من تدبير خمسة وعشرين مليونا لإنشاء تلك العمليات الكبرى المزمع تميمها فى كافة أنحاء القنطرة ، والتى تتكلف كل منها ثلاثة أرباع مليون من الجنيهات ، وتحتوى على معدات فائقة من أوروبا أو أمريكا لتنقية مياه النيل ، وما لا يقل عن خمسمائة كيلومتر من المواسير ، وعشرات الخزانات الكبرى والصغرى فوق الأرض وتحتها . بخلاف نفقات الادارة والصيانة الطائلة .

نعم ان كل مصرى فلاحا كان أو متحضرا يفضل مياه النيل لشربه كما يفضلها لرى أرضه وحيوانه . ولكنه ما دامت تلك المياه هى لسوء الحظ فى غالب الأحيان ، مياهها ملوثة ، كريهة المنظر ، مليئة بالمواد المعلقة والميكروبات ، وتحتاج فى تنقيتها الى عمليات كيميائية وميكانيكية غالية الثمن والتكاليف ، فان إنشاء الآبار يجب أن يكون كما ذكرت الحل المؤقت بل ربما الدائم لهذه المشكلة الوقائية الأساسية ، كما هو متبع فعلا فى مدن كثيرة فى الوجه القبلى وكذلك فى النصف الجنوبى من الوجه البحرى ، بل كما هو متبع فى عشرات من الممالك الأخرى . ضاربين صفحا عن صر تلك المياه أحيانا أى زيادة استهلاكها للصابون عن المياه النقية ، وهو ما لا يقاس من ضرره بتاتا بفائدة كونها مياه نقية من الوجهة للبكتريولوجية وورخيصة فى الوقت ذاته .

أما مشكلة ردم البرك والمستنقعات — ويوجد منها ما مساحته زهاء عشرة آلاف فدان ملكا للحكومة ذاتها بخلاف ما يملكه الأهالى — فقد طال الزمن ، وسيطول كذلك ، فى التخلص منها وعن رداءة منظرها ، وما تؤدى إليه من توالد البعوض والعدوى بالمalaria وأمراض أخرى ، طالما أننا نظل على طريقتنا الحثاية ، أى ردم ما يملكه الحكومة على نفقتها ، والاعتماد على قانون معقد ضعيف لردم ما يملكه الأهالى بمقرقهم . فيها قد مضت خمسة عشر سنة منذ زيادة الاهتمام بالبرك والمستنقعات دون فائدة تذكر . بل إن تلك المياه الآسنة

قد زادت في تلك المدة بين القرى وحولها بفضل التلکؤ في تعميم مشروطات الصرف الزراعية .

ولعل أسهل السبل لحل هذه المشكلة في سنوات قليلة هو أن توهب برك الحكومة على الأقل إلى القرى أو مجالسها القروية ، مع التزام السكان أنفسهم بردمها في سنتين أو ثلاث مستعملين في ذلك الردم المرتفعات الكثيرة التي يراها الإنسان في شوارع القرى ، وكذلك أراضي الجبانات القديمة الكثيرة بعد جمع المظام منها ، وكذلك مستعملين التربة التي تنتج سنوياً من تطهير الترع والمصارف ، والتربة التي يمكن قشطها من سطح الحقول العالية ، وغير ذلك من مواد الردم الأخرى .

إن الإلزام في ملافاة مثل هذه العيوب الصحية الكثيرة الضرر ، لا يحمل في الحقيقة معنى التحكم والظلم والجبروت إذ أنه من جهة إلزام مؤقت غير دائم ، كما أنه إلزام له أجرته المالية . إذ ستتفزع القرى بما يجيء من بيع البرك بعد ردمها بصفتها أرضاً قريبة من المساكن صالحة للبناء ، أو ما يحصل من إيجارها كأرض زراعية . فيمكن للقرى إدخال خدمات طامة أو إقامة منشآت صحية أو تعليمية أو اجتماعية . أي أنه إلزام كله خير وبركة .

وإن لنا فيما كان متبعاً من إلزام القرويين بحراسة جسور النيل أثناء فيضاناته العالية لعبء وعظلة فإن تلك الطريقة ، مع مساوئها ، كانت الطريقة الوحيدة لانقاذ البلاد عشرات أو مئات السنين من ذلك الخطر ، حتى أمكن رويداً الانفاق على رفع مستوى الجسور فأمكن من بضع سنين تحرير القرويين من تلك الخدمة الوطنية الشاقة التي لا يقاس بها تكليفهم بردم برك قراهم في فترات فراغهم من الأعمال الزراعية ، ذلك الردم المفيد لهم أنفسهم من الوجهتين الصحية والمالية .

فالاصلاح الصحي ، وكذلك غيره من شؤون الاصلاح ، هو في الحقيقة سلعة تشتري بالمال . ولا يمكن للصالحين أن يصلوا إلى أهدافهم بقوة الحكومة أو أموالها وحدها ، بل يجب أن يتعاون معها الأهالي وخاصة أولئك الذين يراد لهم النفع والخير .

ويكفي دليلاً على ذلك ما نراه في الممالك الأوروبية التي بلغت الدرجة العظمى من التمدن والرقى ، إذ تكلف كل شخص في الدولة أن يقوم بخدمة مجانية لوطنه في أوقات فراغه ، فتستخدمه أحياناً في الإجازات بعيداً عن بلده ، في إنشاء طرق أو مبان أو خدمة مرضى أو غير ذلك من الخدمات التي تعود على المجتمع عامة بالفائدة .

أما مشكلة إنشاء المساكن القروية ، فيجب أن نطرح من أذهاننا إسكان حلها في الوقت الحاضر ، وأن نروض أنفسنا على الانتظار عشرين أو ثلاثين سنة أخرى للبدء في معالجتها

بصفة جدية ، أى انتظار ذلك الجبل الحديد من القرويين الذى سيرتفع اقتصاديا وثقافيا وصحيا فى لك لمدة بمضل ما نأمل من ولاد الأمور ادخاله من اصلاح فى غضون ذلك الزمن .

فإن الدار بالسكان ، قبل أن تكون بالحيطان . ومسئولية إقامتها موزعة إلى قسمين : قسم ارشاد ومعونة يسيره تقدمها الحكومة ، وقسم مقدرة مالية للإنشاء يقع على طاق صاحب الدار ، فإذا كان الأول ممكنا الآن فإن الآخر يكاد يكون فى حيز المستحيل .

وليس فى مقدورنا اليوم إلا الصبر على قرانا 'المذرة' الرديئة المظهر ، المزدهمة بسكانها وعبوبها الصحية ، فهى ظاهرة من نتائج الفقر ، وصورة من صوره العديدة ، مكثفين فى العشرين أو الثلاثين سنة القادمة بإدخال ما يمكن من عادات النظافة المنزلية أو أى إصلاح آخر لا يكلف نفقة ينوء بها حمل ذلك الساكن الفقير .

وإنه ليحضرنى فى هذا انصدد مثل مفيد لما يمكن أن يجول فى ذهن المصلحين من الأمور التى تتميز ببساطة فى ظاهرها ، ولكنها توجد معقدة متعبة فى حلها . ففلاحنا المصرى مشهور ببيله فى منزله إلى سد 'لنوافذ' ، بل تلك النكوات للصغيرة العالية المسماة نوافذ ، كما أنه مشهور ببيله إلى إنشاء فراشه وإيواء حيواناته داخل العرفة التى فيها يقيم وينام .

وقد يظن البعض أن منشأ هذه العادات الصحية السيئة هو مجرد الجهل وظلام التفكير بينما أنها فى الحقيقة ترجع إلى الفقر 'كثير مما ترجع إلى الجهل' . ترجع إلى حاجة الفلاح إلى الملابس والغذاء اللذين يفتأ به ويحفظاه شتاء ، كما ترجع إلى حرصه على بقاء بهيمته تحت نظاره ، وحشيتته من النوافذ الكبيرة التى تحمى حرمة منزله . وتعرضه لأذى أعدائه . وهكذا إذا أردنا أن ننشئ اليوم قرى جديدة للفلاحين ، فيجب إذن ألا ننسى تموينهم معها بالملابس والبطاطين .

إن مجال الإصلاح الصحى الوقائى فى الريف لا يشمل هذه المنشأ كل الرئيسية وحدها أى مياه الشرب ودرم البرك وإنشاء المساكن الصحية . بل يشمل كذلك أمورا عديدة أخرى أقل مشعة وكلفة عنها .

ولما كان الوقت غير مؤات للتوسع فى وصفها فأتى أجترئ فى ختام كلمتى بذكر ما أراه منها أكثر أهمية وأولى بفرض الإصلاح .

فالريف المصرى محتاج بصفة دائمة إلى هياكل محلية تعنى بالشؤون الصحية البسيطة ، كنظافة المنازل والقرى وتجهيزها ، ودرم البرك ، وإبعاد أكوام القمامة ، ومكافحة الحرائق ، وما إلى ذلك . أى أنه محتاج إلى تعميم المبادئ القروية ، على أن تعطى تلك المبادئ حتى تحصل نسبة معينة من الضرائب للصرف على أغراضها البسيطة ، تحت إشراف وإرشاد

الأطباء والمعدونين الصحيين ، الذين يجب الاكثار منهم للتعاضد بصفة هائية على ذلك النظام الفاسد نظام 'الحلاقين' الصحيين كما ستقضى المراتب الصحية على نظام المدايات البجاعات المؤذيات .

وهو محتاج لتجارب عديدة يشترك فيها الأطباء والمهندسون الصحيون ، لا ابتداء أنواع صحية رخيصة من المراحض القروية ، تمنع أخطار التبرز في الخلاء ، ولا تحرم الفلاح في الوقت نفسه تلك المواد الانسانية التي يعتبرها ثروة سمادية عظيمة لأرضه .

والريف محتاج كذلك الى سرعة تنفيذ مشروعات الصرف ، ليس لفائدة الزراعة فحسب ، بل كذلك لمنع نشوء برك جديدة ، ولتقليل تصاعد الرطوبة في جدران المباني مما يدعو لأمراض عديدة . كما أنه محتاج الى مراجعة مشروعات الري ، لمنع شق الترع داخل القرى أو مجوارها لمنع البرك كذلك ، ولتقليل تلوث مجارى المياه بالبول والبراز مما يدعو لانتشار اليلهارسيا وسواها من الأمراض .

وهو محتاج لمراجعة السياسة الزراعية لحصر زراعة الارز في المناطق الشمالية الباردة أى منعها في المناطق الدافئة الوسطى والجنوبية ، التي يزداد فيها توالد البعوض وبالتالي انتشار الملاريا الى درجة كبيرة .

وسكان الريف محتاجون في النهاية الى دعاية صحية رشيدة مستديمة ، مدعمة بالآيات والأحاديث والحكم والأمثال التي هي لحسن الحظ مليئة بالحض على منع تلوث المياه والظافة وبناء الخزيعلات والتقاليد الضارة .

دكتور

عبد الواحد الوكيل

القرية المصرية

بقلم الدكتور منصور فهمى بك

مدير دار الكتب والمخطوطات بمصر

ما من أحد نال حظا من الذوق السليم ، وأتيح له أن يعيش في ريف مصر وقراها
إلا شعر بحاجة هذا الريف وتلك القرى الى الإصلاح .

فقد تمثل القرية — حين ترى من بعيد — كأنها ركام من النقع والعفر ينمقد على بساط
محدود من السندس ليعطل نسق هذا الجمال الممدود . وكأنى بالقرية المصرية — وهى تبدو
كرقعة سوداء قائمة في وجه هذا الفضاء الريفى الذى يسطع ضياؤه وتصفو سماؤه — كأنى
بها فرضت لتسؤه ما ينبغى أن يكون إنعاشا للتواطر وإمتاعا للنواظر .

أما في داخل القرية فطرقات ملتوية متربة ، لا استواء فيها ولا تعبيد ، وأخرى على
جوانبها أكوام من الأسمدة ولأقذار ، تطوف حولها أبابيل الذباب — ويثار في مفسود
جوها الغبار .

وإذا ألقيت ببصرك على ما يندو في هذه السبل ويروح ، فكثيرا ما يقع البصر على انسان
رث الثياب أغبر ألوجه تصفر اللون أرمد العين أو على حيوان مستأنس يتمرغ على كومة
كأنه يشاطر القرية أو تساطره بعض ما يلازمها من السوء أو على أطفال يلعبون في القفر
ويعبثون في الأقدار .

وإذا أشعت النظر في جوانب هذه الطرقات فثم بيوت من اللبن الأخضر أو الأحمر متطمئة
ضيقة الموافذ ، مكفهرة اللون ، خالية من المتاع إلا من بعض جرار الماء العكر ، وأدوات أولية
للمعجن والحبز والطبخ ، وأردية لميئ القطاء وسيئ الوطاء ، وهماك يحوم بعض الدواجن حول
الآدميين القابعين في أعقار هذه أندور المشككة في أحط الأوضاع وأبشع الصور .

وإذا أردت أن تبين ما قد يتأخم هذه القرية ، فثم البرك والمستنقعات ، أو المقابر عنى
على بعضها الزمن فانفطرت رموسها ، وربما تبعثرت منها بقية من عظام . وقد تمر على
دهن الماء — وهو في قرية من قرى مصر — ذكريات الماضين وخيان الأولين ، فيلوح
له أنه في عالم تولى من آلاف السنين . لأن القرية المصرية ظلت الى اليوم كأنها هي قرية

الغابرين ، لا تتغير ولا تبدل إلا إلى الأسوأ ، والا في القليل الذي لا ترتفع به سمعتها ، ولا تهذب به صورتها .

ثم قد تطوف بذاكرة المرء صورة لبعض قدى البلاد القمبية التي عرفت فيها نظافة المباني ، وبشاشة الوجوه ، وسر الأهلين ، وتذليل أسباب العيش لهنى ، فتأخذ الرعدة شفقة وجزعا ، ويسمى بالله من وهذه تنردى فيأقرى مصر ، ويكاد يستولى اليأس على نفسه عند ما تتجسم له كثرة النواحي النقيرة إلى الإصلاح ، ويصبح من وطء اليأس قائلاً يا لحوّل طريق هذا الإصلاح ، يا لوعورته وعسره !

حقاً قد يتعذر على المرء أن يتصور استحالة القذارة الضاربة المضرة إلى زخافة تنشهاها النفس ورضاها الذوق السليم ، وأن يأمل في تحول هذا الركام المتلاحق من المساكن الخائقة ، لينتشر بيوتاً منتظمة ، يطيب للآدمى فيها الثواء ، وأن يرجو ضرورة هذه الوجوه القاتمة المفيرة المكفهرة ، وتلك الجسوم الهزيلة المتراخية ، إلى وجوه ضرة مستبشرة ، وأعواد صلبة زاهية ، وأن يرى تطور هذه الطرقات المعوجة إلى طرقات لا يتعثر فيها السائرون ، ولا يرتطم فيها العابرون . وأن يجد التواصل والتناسق بين صفاء تلك السماء ، ونضرة تلك الخضراء ، ووداعة تلك النفوس المؤمنة القانعة ، وبين هذه القرى التي تضم في جنباتها الحزينة من يستمتعون بهذا الصفاء ويسرحون في هذه الخضراء ويتنسمون أجواء هذا الوادى السخى الجميل .

وإنه لمن المؤلم المض أن يعيش المرء تحت سماء مصر الخالدة ، وفي عصر يزهو بمدنيته وحضارته ، ويشمر أن نحو أربعة آلاف قرية ونحو ثلاثة أضعاف هذا العدد من الدساكر والمحلات وكلها ينتظمها وادى النيل المبارك الميعون على نحو ما قدمت ووصفت .

لقد افتت القرية المصرية وشأن الفلاح نظر الكثيرين من العلماء والكتاب من أجنب ومصريين . فوجهوا البحوث في شتى النواحي من تاريخية ، وحرفية ، وهندسية ، وعمارية ، وأدبية ، واقتصادية ، وأخلاقية ، وما إلى ذلك ، نذكر من هؤلاء الباحثين على سبيل المثال ماريت ، وراشجلاند ، وآرتس ، والأمير طوسون ، وبرهن ، وديمنجون ، والأب عيروط ، وويلكوكس ، وموسرى ، وكريم ، وهيكل ، وحسن الملباوى ، ورشاد ، وغلاب ، وغيرهم .

ومع ذلك فإنه بالرغم مما جهر به الكاتبون لإيقاظ هذه القرية من سباتها فإنها مازالت على حافتها من البؤس والبلاء .

قد يعتبط المصريون للوصول طلائع الإصلاح والقدم التي بدأت سيرها قبل بداية هذا القرن إلى شتى نواحي البلاد من سياسية ، وعلمية ، واقتصادية ، وصناعية ، وصحية ،

وقضائية، وزراعية، وتعاونية، ورياضية. وكل أولئك متصل بخير الفلاح من قريب أو بعيد.

لكن القرية نفسها — التي هي مثنى هذا الفلاح المثل لكثرة المصريين — مازالت حار بم الشكوى مما هي عليه من سوء حظها رغم ما سن من القواعد لمجالس بلدية ومجالس قروية من سنة ١٩٠٩ أو سنة ١٩١٨ ورغم ما أنشئ من العزب والقرى النموذجية التي كأنها قطرة عذبة في بحر أجاج.

وقد يعجب الباحث فيسائل نفسه : لم تقدمت في مصر شتى النواحي الاجتماعية وخلفت وراءها القرية ممعنة في هذا التأخر الملموس؟ وعندئذ يأنس المرء لاستعراض الأسباب الملية والجغرافية والاقتصادية التي أثرت في تصوير القرية وعملت على تأخرها. وقد يلوح له أن بفسر تجمع البيوت وتكدسها في القرى بأنه كان نتيجة لمقاومة المعتدين حين كان الأمن مختلا والسلام مضطربا. وربما يجد أن "علة" في ذلك ترجع لتأثير الرى حين كان يعم الأرض في مسافات شاسعة ويسقيها الماء زما طويلا، وربما أتى على البناء. وربما يبدو للباحث أن انحطاط القرية كان نتيجة طبيعية لضعف ثقافة الناس وانحطاط مستوى ذوقهم العام.

على أنه إذا كان من أسباب انحطاط القرية المصرية هذه العوامل شتى أو جميعا فمضى أن أكر العوامل أثرا وأبغها خطرا هو ضعف الإرادة الإصلاحية واسترخاء عزيمته من يعينهم هذا الإصلاح.

من الحق أن العوامل المحيطة وشؤون المحيط، لها أثرها الفعال في حال القرية، لكن ليس من الحق أن يتخذ من أثر الطبيعة تكأة لتخدير انهم الإصلاحية حين يزعم الزاعمون أن القرية المصرية ظاهرة اجتماعية لا بد أن تخضع حتما في صورتها لعناصر المحيط الطبيعي وسلطان البيئة، فهي ولده من تراب مصر ومائها وجهل الفلاح وفقره وقنوه وماداته. فقصي عليها أن تتأثر بما نشأت عنه من تراب وجهل وفقر وقنوع، لكن قد تنامي هؤلاء الزاعمون أنه متى كانت عزيمته الإنسان كبيرة ونزعاته سامية وعقله المدبر قويا فإن عوامل الطبيعة لا تلبث أن تخضع ويضعف أثرها أمام مضاعفة العزم وقوة الفهم وعظمة الهمة والتزوع إلى المثل الأعلى.

لقد كان "محمد علي الكبير" من ذوى الفرائم الإصلاحية القوية، لكن عزيمته كانت مطبوعة بطابع "البندية"، فكانت المصانع والمنشآت والمدارس والمعاهد العلمية التي أنشأها وأرسى قواعدها ودعم بناءها، تتناسق وتتعاون جميعا لخدمة القوى الخربية. فلو أن حركة إصلاحية ابغثت من عزيمته مشبوبة كعزيمة محمد علي واتجهت نحو القرية المصرية في صدق وثبات لخصص أضخم رصيد في ميزانية الدولة لإصلاح القرية والفلاح، ولوجه أظهر تشريع

لما فيه خير الفلاح وسلامه ، ولجأت بحوث العلماء وإلهامات الأدباء في سبيل القرية ، ولجرت أنواع لقون سخيرا . لما فيه نفعها وترقيتها . وعلى الجملة لتضافرت جميع القوى لتتجمل قوة متحدة مائة في إحراج الفلاح من الظلمات إلى النور ولتصح كلها في لحن واحد متأسق . . "ريف مصر وقرية مصر وفلاح مصر" .

وضعف التعزيم الإصلاحية إذن هو السبب الأول في وحدة القرية المصرية . أما السبب الثاني فهو الخطأ في التسميات التي رسمت لإصلاح القرى . ومن مظهر هذا الخطأ أن الذين رسموا السبل لهذا الإصلاح لم يصيبوا توفيق المرتجى رغم غيرتهم المشكورة . فلذين نشأوا 'المستشفيات' المتسعة لعلاج بعض الأمراض المتوطنة قد برؤن بعض المرضى نوقت قصير ثم لا يلبث المرض أن يعاود الفلاح أو دته أي أسلوب الحياة الذي جرائه مرضه وسقامه . فكان 'صالحين يقدمون' العلاج ويعفلون الوقاية .

وكذلك سنت قواعد وقوانين لردم البرك والمستنقعات ، على أنه أغفل في الحساب تيسير الوسائل لردم هذه البرك والمستنقعات ، لما رالت أكثر القرى تحيط بها برك بل وتخلق فيها خفا وظلت القوازين واللوائح المسنونة معطلة لعسر التطبيق وإهمال الوقاية .

شهدت في يوم من الأيام طبيبا من أطباء وزارة الصحة يقد بموكبه وعربته المتسلسلة وأشرطته المتحركة فيعظ أهل القرية ويبرض عندهم في ساحة من ساحاتها بعض ما تمثله الصور من انتحال الأمراض وتطورها . فكانت مظاهرة لطيفة تسلي فيها النساء والأطفال ، وتدوق منها الشيوخ الكلام المسؤول ، وبعدئذ انطلق كل من السامعين إلى شأنه ومضى لسبيله ليمود في حياته الصحية سيرته الأولى .

كان لم يكن بين المحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سمر

وحضرت في ذات يوم من الأيام مجلسا ضم سراه القرية وأخذ أحد الأطباء يقيم لهم الحجمة بعد الحجمة ، ويدللهم على فصل جعل الأسمدة والاختصمات المتزلية والأحطاب بماى عن البيوت . وكان جميع السامعين يظهرون استحسانهم لقوله ويؤمنون عليه كأنهم قد استجابوا من فورهم لدعوته ، لكن لم تنقل الأقدار من مكائها ولم تتغير مواضع الأحطاب .

فلوسائل التي جادت بها قرائح الفيورين على الإصلاح غير موصلة إذن للغاية المنشودة فلا نصح لاصحون ، ولا وعظ الوعظين ، ولا مكافأة الأمراض المتوطنة على نحو ما تكافئ به ، بميلنا ما نرجو لريف مصر من سمو الحكمة .

وعندى أن العلاج الاسم إنما يكون مرحمه السلطان والقهر ولتضحية ، ولو كان هد لصيب الذى جمع شيوخ القرية ليكمل لهم النصح بملك أن يحكمهم بسلطانه على ما يريد

لهم من خير وكان ورءه من النظم التشريعية والتنفيذية ما يجعل رادته ماضية ومشيئته نافذة لاختصر الزمن ووصل الى نتائج المرجوة من 'قرب السل' ودائها الى العية .

ولو كان هذا الطبيب الذى استقل الملاح فى المستشفى المنتقل نخسه من مرضه حيناً من الدهر يملك لأسباب ليضرب الخرائب ويفرض الفيروس لتوقاية من عودة لمرض الى الملاح لما رأينا المنصايين بالبله رسيا يشهون منها مدة لا تتجاوز مدة تمريرهم إلا قليلا .

وإنها لكثيرة تلك القائص وتلك الأمور التى يصح أن تضرب انضرائب من أجل عهده أو تحسنيها ، وإياها لعديدة تلك الحفلات الحقة التى يزور أن تفرض على سواد الناس لياولوها أو يتجنبوها . فأفقر الملاحين قد يتفق من ماله فى المكيفات والتدخين مالموا اشترى بتمنه حذاء من المطاط أو الجلد الأصم لوقى نفسه شر كثير من الأمراض . وقد يتفق بعض الملاك من ماهم فى مظاهر الرفه والابهة ما لو أنفقوه فى أدوية الحياة الضرورية لعانهم الفلاح لأفادوا واستفادوا . ولكن لا وازع اليوم من النفوس والصماير ولا وازع من القوانين والشرائع ولا سلطان للحاكمين .

ولو أن الحكومة تسخر الناس وتشغل المتعطلين فى فترة من فترات العام التى يسكن فيها نشاط الأعمال الزراعية لتصلح القرى بشق المنافذ وتعيد الطرق وردم المستنقعات ونزع الملكيات العائنة المعطلة للإصلاح وغرس الأشجار وتهذيب الشكل لما اشتكى حارس خزانة الدولة من ضخامة تكاليف الإصلاح حين يقدرها المقدرون بما يذيف على الثلاثين مليوناً من الجنيحات .

قد يقولون : " إنه قد فات زمن مثل هذه السياسة الإصلاحية القاهرة التى تحد من الحريات ولا تتمشى مع الديمقراطية . لكن ما العمل اذا كانت الحريات تستخدم استخداما خاطئاً لا يرضاه الله ولا يقره الذوق السليم ولا يساير حاجة الحياة من التحسين والتجويد والكمال ؟

إن القوانين الخازمة المريعة من أنجع الوسائل التى تربي الشعوب فى أخلاقها وذوقها . وفى الحديث " إن الله ليزع بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن " أياح أن تحب الحريات الباطلة ويموت للذوق السليم ؟ أياح أن يحس العدل فى الحياة ويقبر الحسن والجمال ؟ كلا فما كان ذلك من الخير وما كان ذلك من الحق والانصاف .

إن الشعوب كثيراً ما تربي كما يربي الطفل حين يستخدم فى تربيته وتنشئته كلا الترغيب والترهيب . والمزج والتأديب .

ولقد روى أنه شكى إلى أبى بكر بعض عماله ليقترض منه فلم يقبل أن يؤخذ عامله ،
وقال رضى الله عنه مستنكرا : "أنا أقيد من وزعة الله ؟"

وبينما كان أبو بكر يبيع لوكل الحاكم أن يأخذ الناس بالسلطان فى سبيل الخير ، نجد
أن حكامنا الإداريين يخرجون أن يستخدموا الحزم فى هذا السبيل خشية أن يتعرضوا
للؤاخذة والجزاء وبطش القانون والقضاء ، مع إيمان هؤلاء الحكام بأن فى الريف نواحى
شتى يتيسر لهم إصلاحها لو منحهم القانون شيئا من حق الزجر والإرهاب والحد من طغيان
الحريات الآثمة .

لقد نرى مع الأسف أن رجال القضاء لا يحسبون الظن بعدالة الحكام الإداريين ،
ونراهم يضجون إذا هم ظفروا بالسعة فى النفوذ والسلطان . وأن الحكام لا يحسبون الظن بالقوانين
والنظم المقلدة كأداة للإصلاح فى القرى ، وأننا حين نشهد تجاذب الطرفين نميل إلى أن نقرر
أن فى كل من القانون والحاكمين نقصا ينبغى أن يكمل . ولعل نقص القانون كان من أن
أكثر مواده مستنبطة من روح الحياة الغربية وتقاليدها وثقافتها مع ما بيننا وبين الغربيين من
فوارق ذاتية ومعبشة . أما نقص الهيئة الحاكمة فربما كان مرده إلى عدم العناية والاحتياط
فى اختيار بعض الحاكمين .

ونظرا إلى ضعف الأداة الحاكمة والقانون ، يرجح بعض المفكرين جانب المدرسة والتعليم
كوسيلة أساسية يجب تقديمها على غيرها من وسائل الإصلاح المنشود . وليس من ينكر قيمة
المدرسة فى ذلك الإصلاح لولا أن التعليم وحده لا يحدث إلا أثرا بطيئا قد يظل به الريف
طويلا على ما هو فيه من تماسه وانحطاط . فطالب أدرك الفلاح عن سبيل العلم وتلقن
عن طريق الدين أن النظافة من الإيمان ، وأن الباقيات الصالحات خير ، وأن الله جميل
يحب الجمال . ومع ذلك ظل يتردى فى مهاوى القذارة ، وظلت القرية بمعزل عن الحسن
نامرة من معانى الجمال . ذلك بأن الناس ، مذ كانوا ، يعلمون الخير ويعملون الشر ، وقد يعرفون
طريق الجنة لكنهم يسرون فى طريق أهل الجحيم . فلا سبيل للخير إلا بممارسة الخير واعتياده .
ولا سبيل لدفع الشعوب المتأخرة إلى الخير إلا عن طريق التنظيم القاهر المسيطر المتشكل
فى صور القوانين والقواعد النافذة .

ومن المفكرين من يرجح عندهم أثر الحياة الاقتصادية على كل أثر ، فيجدون أن الإصلاح
المرتبى لريف مصر وقرائها قد لا يتألى إلا إذا حسنت أحوال الفلاح الاقتصادية فزاد كسبه
وكثر دخله . وإن لا أنكر قيمة الثروة وزيادة الكسب كعامل من أهم عوامل الترقى والتقدم
لكننى لا أقدر على الحق شيئا حين أزم أن قرى كثيرة لا ينقصها الرخاء ولا يعوز أهلها

الآراء ومع ذلك ظلت في كبوتها وانحطاطها . ذلك بأن الثروة والرخاء لا يستلزمان حتما سمو الذوق وسلامة الطبع . وليس الفقر والمترية بمبشرين صاحبهما لزما عن حسن الذوق وتوحي الجمال ، فقد ذكر لنا التاريخ وانبأنا المشاهدة أن شعوبا أعوزها المال والرخاء دون أن يعوزها ذوق الجمال . فما كان الفلاح في اليونان القديمة ثريا ولكنه كان غنيا في تذوق الجمال .

وليس بعار أن يضيق غنى الغنى ولكن عار أن يضع التجميل ، وكم من زهرة باسمه نبئت عفوا ولكنها تعين على تذوق الجمال من يهه تذوق الجمال . وكم من مجرى ماء يعين على الطهر والنظافة من عينه أن يتطهر ويتنظف .

وإني حين استعيد تاريخ الصبا وذكريات الماضي قد أجد فيها ما يقوى عقيدتي في أن الفقر لا يحول بين الإنسان وبين العيش المبرأ من مظاهر القبح والاضعة ، فقد نشأت للشاه الأولى في قرية صغيرة على فرع من فرعى الليل ، وليس حظها من الانحطاط ونصيبها من القذارة وسهمها من الحاجة إلى التنسيق دون شبيهاتها من قرى مصر . لكن شاء القضاء من نحو أربعين عاما أن يرسل إلى هذه الناحية قرويا لبنانيا وزوجته فاستأجرا على مقربة من القرية مساحة تبلغ خمسة أفدنة كانت لبعض أهلى على الشاطئ ، وأقاما في جزء منها كوخا من اللبن والغاب والطين ، وقسماه غرفتين لتأعهما القليل من مراتب وذرايى وأعطية ، ونصبا عند مدخله بعض فروع الشجر وشكلاها لتصير مقيفة تسلفت عليها كروم تظل مصطبة من الآجر . وعند هذه السقيفة وعلى مسافة أذرع منه قد عثر الورد والريحان ، ووراء هذا الكوخ سيج من العباب والحطب وحواجز أخرى أعدت لقررة حلوب ولبمص الدواجن ولأدوات الخبز والطبخ ومكان الغسل والتطهير ، وكان أغنيا . ثقرية وسراتها يجدون لبيونهم ولصدورهم عند هذا الكوخ التظليل المنظم ومتعة وانسراحا فيذهبون من وقت لآخر ليرىخوا النفس من غمة قريتهم ومساكنهم المتطفلة في محيط من لأفدار .

ولقد عاد رب الكوخ وربته لبلادهم في شيخوختهم المباركة وعفت السون غير الأيام على آثار هذا الكوخ . ولكنى كلما ذهبت إلى القرية وسرت هناك على شاطئ النيل نظرت إلى حيث كان كوخ الشيخة وردة وزوجها الشيخ أنطون . وعاءدتنى بعض ذكريات الصبا وخيال الأسضى ، وتنبئت لفلاحاتنا وفلاحينا لو هياوا كواخهم ونظروا كما فعل الشحان "وردة وأنطون" فلقد كانا دون أكثر الفلاحين ثروة ، لكهما كانا من الذوق أغنى وأرقى من الكثيرين من أعيان الثرى .

إذن ، ليس للفقر وحده هو الذى ربب يؤس الثرية وهبوطها فيما تتردى فيه ، فإذا أراد المصلح الاجتماعى أن يمثل عناصر المرض التى هيأت اضعة الثرية المصرية فليعلم أنها مزيج

من ضعف العزيمة العامة في الإصلاح وعدم تناسق المشروعات، والبطء المزمّن في إجراءات الأداة الحكومية، ومحاكاة القوانين التي لا تلائمتها، وفي اعتلال ذوق الفلاح وانحلال صحته، وانحطاط ثقافته. وفي فقر الحياة الاقتصادية للتنظيم وفيما هو متصل بكل أولئك.

وإذا أراد ذلك المصلح الاجتماعي أن يشير بالعلاج في حالة القرية فلن يبدو له العلاج إلا مزيجاً أهم عناصره الفوازين الزاجرة، والنظم القاهرة، والإجراءات السريعة الشبيهة بإجراءات الأحكام العرفية، وفرض الضرائب وتسخير كل القوى التي يجب تسخيرها لإقناذ القرية وتقديم ذلك على كل ما سواه.

فلو أن وزارة الشؤون الاجتماعية أتيح لها أن تقوم بتشريعات جريئة القاهرة مريعة التنفيذ وتسن تنظيمات مسيطرة تتأكد بها معاني السلطان لأدركنا ثمرات من جهودها في بعض السنين.

ولست أرى من وراء ذلك إلى أن أغشط الوزارة بمجهودها في نشر الدعاية وإعداد المحاضرات وتهئية وسائل الإرشاد. إنما مازالت أعتقد "أن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن".

في مصر الحديثة من يؤمنون أن كل جهد صالح في سبيلها مهما كانت وجهته ومهما تنوعت صبغته لا يبوءها المكان الجدير بها بين الأمم ما لم ينصلح حال قواها وفلاحها وهم يبلغون ثلاثة عشر مليوناً.

ونحن الآن نعيش في عصر السرعة والسير الحديث الماثل لصالح الجماعات. وهل لأبناء مصر وقد منجهم الله ذلك الرادى الجميل المزود بكل الخيرات أن يشكروا ربهم على ما آتاهم، وأن تكون آية شكرهم العمل على تهجيل بلائهم وصيانة هذه الزوجة الخضراء من وصمات القبح والتشويه.

هل لقوانين مصر، وأموال مصر، وجهود المصريين، وقلوب المصريين، أن تنصرف متعاونة لإصلاح القرى لتجعل حياة مصر الاجتماعية الواسعة فوق كل حياة، ومجدها قبل كل مجد سواه؟!

هيات، هيات أن يدركنا النصب فيما نؤمن به وندعو إليه!

منصور فهمي

تعاون الأهالي والحكومة

في تخفيف وطأة الضرورات الحاضرة

لحضرة صاحب العزة محمد السيد شاهين بك

محافظ مدينة القاهرة

“في الخامس والعشرين من شهر ديسمبر الماضي ، وبدعوة من
وزارة الشؤون الاجتماعية ، تفصل حضرة صاحب العزة السيد شاهين بك محافظ
مدينة القاهرة وحكمتها العسكرية ، فالتى هذه المحاضرة القيمة من خطة
الإذاعة اللاسلكية ، ونحن ننشرها بنصها راجين أن يتفع الجمهور بما
تضمنته من النصائح والإرشادات“
المحرر

مواطني الأعزاء :

أتحدث اليوم الى حضراتكم في أحد الشؤون اعمامة المرتبطة بالمصلحة العليا للبلاد . وأى
حديث أخرى بالعناية وأولى بالأهتمام من استعراض موجز لما تشهده مصر من أبنائها في لحظة
عالمية شقيت فيها الانسانية وأصاب العالم من البلاء ما أهلك الحرث والنسل وعرق المحرموهاض
العظم .

في هذه الأزمة العصيبة تعتمد الدول على سواعد رجالها ومؤازرة نساءها وتضامن بنينا .
عندئذ تتحلل الشعوب من آفاتها وتسودها مثل عليا من الوحدة والإخلاص والبذل والتضحية .
إن جهود الحكومات محدودة الأثر ولا بد أن يعتمدها انقصور كلما نزلت بها الكوارث
وتوالى عليها المحن . إنما نجاه الوطن منوطة بأهله . فبين صفوف الشعوب حوافز دافعة
تصد الفوائل ، وعزيمة وافية تصمد للويلات وتعاون صادق يخطو في الظفر ويقفز إلى الجراح
وفي هذه الظروف المكفهرة تتطلع مصر إلى أبنائها حكومة وشعبا . ولقد أدركت الحكومة
واجباتها منذ الساعة الأولى فاستعدت لخطوات ما وسعها الجهد وباتت تذاخر معوية الأفراد .
لقد تطورت سياسة الحروب ، فحذلت من النصال بين الجيوش إلى الهجوم على المدن
والسكان الآمنين ، ولم يعد الكفاح مقصورا على الرجال ، بل تعداه إلى النساء والأطفال ، وإذا
بالدولة أفنت سلاحا وخور الهزائم مدعاة لانهايار الشعوب .

أمام هذه التطورات ، تتضاعف واجبات الأفراد ، وتنوع تكاليفهم ، وتتعدد وجوه
معاونتهم للدولة .

و في ساعة الخرج يتجرد الفرد من أنانيته ، ويحد من حريته ، وينسى نفسه ليدكر وطنه .

انشروا هذه المبادئ بين جموعكم ، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته .

لقد رأيت كيف واجه الشعب الاسكائيزى ساعة الحرج نقول الحكومة سنطقات واسعة نزل فيها عن ثرويه وحريته ، وكتب لنفسه مجدا حالدا سوف يبقى على الدهر ما في الدهر .

فانصروا على هذا المنوال الكريم ، وبادروا الى تزويد الوطن بحوائجه ، وصارعوا الى سد كل نقص فيه ، واذكروا أن لمصر تراثا أقدس من أن يفرط فيه .

ما زالت مصر بعيدة عن ويلات الحرب وإن استهدفت لغارات جوية قليلة أصابت مع الأسف بعض الأهداف المدنية فدمرت المنازل وحرقت المساكن وأودت بحياة بعض الأمنيين .

ولهذا لمن دواعي الفخر الجدير بتقاليد المصريين أن هذه الحوادث على قسوتها وإيلامها قد بددت الغشاوة وشحذت الحزم ووثقت عروة التضامن بين الأهلين .

وأناحت للحكومة الفرصة في تعزيز وسائل الوقاية وتعميم إنشاء المخابى في جميع الأحياء وخاصة المزدهجة بالسكان من النبال والفقراء .

إن الحكومة تقدر مصريها موقنة تمام اليقين أن وقاية الأهلين من أول واجباتها ، ولكنها إزاء تعدد المشروعات وتصحم التكاليف تقصر إنشاء المخابى على الفقراء والمعوزين وكذلك عابري الطريق الذين تداهمهم العارة في ضرباتهم في منازلهم .

أما الأغنياء وذوو المقدرة فقصف الحكومة حيالهم عند مجرد الإرشاد والتوجيه معتدة على مواردهم الخاصة في إنشاء المخابى اللازمة لوقايتهم ، لذلك أصدرت الحكومة لقوانين والأوامر الكفيلة بإلزام الملاك بإنشاء مخابى خاصة في منازلهم ودورهم على نمط ميسور بسيط الكاليف .

ولو أن هذه المخابى قد اقتصر نفعها على حالة الطوارئ والاستعداد للوقاية من الثفت والحلاك لكان فضلها أعلى من أن يقوم ببال ، ولكنها متعددة المنافع أيضا في وقت السلم إذ يمكن استفلاها في مختلف أعمال المخازن والمستودعات .

كذلك عنيت الحكومة بتنظيم خدمات المتطوعات والمتطوعين (المدرين) على أعمال الوقاية والإسعاف وتوفر عدد كبير يركن اليه في المناسبات ويرعى لا يتعد من تتوافر فيه الأهلية ولدراية عن المساهمة في هذا الواجب القومى .

وإنه تفصل مشكور تسجبه الحكومة رجال البوليس الخاص الذين طرقتهم انتطوع بهم أكثر عون لبوليس بل من في لاصطلاح بمختلف أوجبات عند الطوارئ .

إن نظام التطوع مستحدث في مصر . ألم تركب كان مقصورا الى أمد قريب على جماء الإسعاف الذين خطوا لأنفسهم صفحة ذهبية تخفى لها الرسوم إجلالا .

لم يعرف التطوع في غير هذا المرفق من المراقب الإنسانية، ولقد أصاب من الجاح فوق ما قدر له . وإذا كان هذا شأن التطوع في وقت السلم فهو في ساعة الخطر أكثر نفعا وأوفر نجاحا .

أنزلوا المتطوعات والمتطوعين المنزلة اللائقة بسمو (رسالتهم) وأطيعوا أوامرهم ويسروا مهمتهم ، وليذكر المتطوعون جميعا ما عهد إليهم من الواجبات ونيط بهم من المسئوليات وليسدروا في معاملة الناس عن أدب واين وزبحر حكيم ، وليدركوا أن التصل من أداء الواجب أو التخادل فيه ، حسابه عبر

ولم يفك الحكومة في سبيل وفاة الأهليين أن تعلن عن خطورة بعض المناطق الأكثر تعرضا من غيرها لأسطار العارات ، فأجازت للسكان فسح عقود إيجار مساكنهم تمكنهم لم من الانتقال الى ماطق أخرى أكثر أمنا وأبعد خطرا . ولقد رحل بالفعل عدد كبير من السكان الى القرى . وإني أناشد أعيان الريف وأثرياء الأقاليم ، أن يكرموا وفادة الفقراء من مؤلاء الاجئين ، ويسلطوا لهم يد المعونة ويصلوا ما انقطع من وسائل ارتزاقهم ، فلطالما توترت الشكوى من نقص كفاية الإنتاج لزراعى بسبب هجرة أبناء الريف الى المدن وما ترتب عليها من قلة الأيدي العاملة ، فاليوم يدور الزمان دورته ، ويعمر الريف بأبنائه ويتسع المجال لللاك في الانتفاع بهذه الأيدي العاملة ويعود النشاط الزراعى الى سابق سيرته .

سيدتى وسادتى :

صدرت عدة قوانين وتشريعات وأوامر عسكرية قصد بها تنظيم ما أثرت فيه حالة الحرب وما قضت به الضرورة والاستعداد للطوارئ ، ولا خير في نظام أو تشريع لا يحوطه الجمهور بالطاعة والاحترام ، وما أبنض على الحكام من فرض عقوبة على مخالفة القانون روعى فيها مجرد الحيلة لانتفاء شر العائشين . فن واجب الجمهور أن يماون الحكومة في تنفيذ الأنظمة الجديدة وأن يوفر عليها ما تنفقه في مراقبة تنفيذها من جهود أخرى بها أن توجهها الى مرفق أخرى .

و إياكم والاستهانة بقيود الإضاءة والوقاية ، ولا يضرنكم ما انتهت إليه الغارات الجوية على مدينة القاهرة حتى الآن من سلامة وأمان ، فلا تقصروا في تنفيذ هذه التعليمات ولا تتكاسلوا عنها فعضم النار من مستصغر الشرر .

غير أن نفاذ القوانين والأوامر الجديدة في مصر يصطدم عادة بعقبة كاداء لا تزال تعاني البلاد وطلاتها ، وهى انتشار الأمية والجهل بالقراءة والكتابة ، فإن كثيرا من أفراد الجمهور

لا يسمعون بهذه القوانين ولا يدركون أحكامها ، إلا بعد انقضاء وقت طويل يضطرب فيه حبل النظام ، إلى حين . إن رجال البوليس منوطة بهم إذاعة هذه القوانين وتعميم أحكامها ولكن على المتعلمين من أفراد الجمهور أن ، يعاونوا في إذاعتها وتلقيها لسواد الشعب .

وأهم ما تنشده الحكومة من جمهور الشعب في الوقت الحاضر هو مضاعفة الإنتاج الزراعى والصناعى لسد ما طرأ على تجارة الواردات من نقص حتى يتوافر للبلاد ما يكفيها من المواد الغذائية والحاجيات الصناعية .

وأخطر ما يتأثر به الاقتصاد القومى أن يحبس الناس أموالهم عن التداول ويكتثرونها في دورهم وخزائهم . هذا ضرب من الجهل فيه شل للإنتاج وخيم العواقب ، فهم بذلك يحرمون السوق من تداولها ويضيعون على أنفسهم ما تدره عليهم من الربح .

إني لا أدعو إلى انفاق المال في غير طائل ولكنى أحض على استثماره في شتى المرافق الاقتصادية سواء بإحياء الصناعات التى تعتمد على الخامات المحلية أو بالمساهمة في الشركات المالية والمشروعات التجارية .

وأخطر من حبس المال أثرا ما يعتمد إليه بعض الناس من تخزين المواد الغذائية والحاجيات الضرورية . إنها عادة عقيمة تؤثر في غلاء الحاجيات كلما تهافت الناس على تخزينها ، ولذلك تعتمد الحكومات في زمن الحروب على استعمال نظام البطاقات . إن مصر فنية بمنتجاتها الغذائية وحاجياتها الأولية ، وهى إن بدأت بتطبيق نظام البطاقات واختارت له صنف انغاز فهى تجربة أريد بها تعرف مدى الاستعداد لتنفيذ هذا النظام إذا دعت إليه الحاجة .

وإن الحكومة لتقف بالمرصاد حيال ما يعتمد إليه بعض التجار من رفع أسعار الحاجيات وما يسعى إليه بعض المضاربين من ترويح إشاعات باطلة بقصد التأثير في الأسواق وتذرعهم جميعا بأشد الجزاء .

ثبت الله أقدامكم ، وسدد خطاكم ، وهياً لنا من أمرنا رشداً .

محمد السيد شاهين

ثروتنا الخلقية

بقلم الكاتب الكبير الأستاذ محمد توفيق دياب

ثروتنا الخلقية تعبير غير مألوف وإنما المألوف أن يتكلم الناس عن الثروة العقارية ، أو الزراعية أو المعدنية ، فيكون كلامهم مفهوما .

ويتعدون أحيانا عن الثروة الفكرية أو العلمية أو الفنية — يريدون آثار العلماء والأدباء وأصحاب الفنون ، مما نقرؤه في الكتب والصحف ، أو نشاهده في المعارض والمتاحف . ولكل أمة نصيبها من هذه الثروات .

أما " الثروة الخلقية " فتعير أزعج أنه جديد ، ألقى في روعي من حيث لم أحسب . ذلك أنني أردت اختيار موضوع لهذا المقال ، فلدت بضعة أيام كلما عرض لي موضوع ، زحمت فيه حتى صحت ذات صباح ولساني يقول — " ثروتنا الخلقية " ، فأيقنت أن النفس الباطنة كانت يقظى تشتعل وتبحث ، حتى اهتدت الى هذا الموضوع أو هذا " الاكتشاف " .

وليس جديدا أن يبحث الباحث في موضوع الأخلاق ، فهو مبحث الناس في جميع الأجيال ، وإنما الجديد ، فيما أعلم ، أن تسمى أخلاق الأمة أو أخلاق الفرد " ثروة " مع أن الأخلاق لا توزن كما يوزن القطن ، ولا تكال كما يكال القمح ، ولا تعد كما تعد الجنيهات أو ما يملئها من الأوراق . والأخلاق كذلك لا تحصى كما تحصى مؤلفات العلماء أو آثار الأدباء ورجال الفن في كل جيل . إذ الأخلاق لطائف نفسية مودعة في القلوب والصدور ، بل القلوب والصدور التي نعرفها بين الجوانح ليست أوعية للأخلاق إلا على سبيل المجاز ، فكيف إذن نسمى هذه الوظائف المعنوية ثروة ؟

لكن نفسى الباطنة احتجت على هذا المنطق . قالت " سبحان الله ! ، ألا يكون ثروة إلا ما يؤكل ويشرب ويوزن ويكال ويكتب ويقرأ ؟ ! إذن ماذا همول في الكهرباء ؟ وهل تحبسها الخواص مقطوعة عن الأسلاك ؟ هذه القوة التي تكون نورا فضى ، وتكون نارا فتحرق ، وتكون حياة لكثير من المرضى ، وتكون موتا يعاقب به القتل في أمريكا ، هذه القوة المسائلة التي تداربها المصانع في جنبات الأرض ، ويتضاعف بها نشاط العمران كل يوم — ألا تسميها ثروة ، لا لسبب سوى أنك لا تعرفها إلا بآثارها ؟ وهى مع ذلك تقاس . نعم لا توزن بالرجل ولا تكال بالردب ، لكنها تقاس بالكيلوات ، وتحصى بالعداد ويُسكى غلاؤها ويسرق تيارها ويرفع الأمر فيها الى القضاء .

الأخلاق ثروة للأفراد والأمم ، وإن تكن صفات معنوية موطأها النفوس . بل هي لا تكون ثروة ، إلا إذا كانت النفوس موطأها . ولو قرأ قارئ كتب الأخلاق من عهد أرسطو إلى عهد بن مسكويه ، إلى عهدنا الحاضر ، لمجرد الإلمام والاطلاع ، دون التخلق بما فيها والاطباء بمعانها ، لظل ضميره فقيرا إلى الأخلاق . وإن امتلأ رأسه بحوثها ومسائلها . كدروس القرآن الكريم من حيث فصاحة بياحه ، وإعجاز أسلوبه ، أو من حيث أحكام لفقه وعلم الموارث — قد يخرج من دراسته قرأتان للبيان دون أن يتخلق بأخلاق القرآن ، وقد يخرج من دراسته أعلم العلماء بالفقه والتورث دون أن ينزله بروحية القرآن .

وإنما ضربنا هذه الأمثال برهانا على أن الخلق موطأه النفس والضمير ، وليس موطأه الذهن والدماغ كالحساب والهندسة . فكم من رءوس فياضة بالمعارف تصحبها نفوس فياضة بالزبد ، وكم من رءوس لا تكاد تعرف أحوال الفراء والكتابة ، تصحبها نفوس كبيرة وهم عالية وخلق كريم .

لم يكن محمد رسول الله يقرأ أو يكتب . ولم يكن يقرأ أو يكتب محمد كبير بيت مصر المالك .

لكن محمدا رسول الله أحيا الإسلام بوحى ربه ، لأنه كان على خلق عظيم ، بشهادة أصدق القائمين ، وشهادة نوره الساطع في العالمين . ومحمد جد الفروق ، أحيا مصر الحديثة لمهده ، بوحى من ضميره ، لأنه كان عظيم الخلق . بشهادة ما بعث في مصر من عظمة لو اتصلت حلقاتها ، لكانت أمنا اليوم من كبريات الأمم .



ثروة مصر الخلقية ، تتألف من أخلاق أفرادها ؟ كما تتألف من أموالهم ثروتها المالية . وإلى لأخشى أن تكون ثروتنا الخلقية ، مرهقة بالديون ، مهددة بالإفلاس — كثروتنا العقارية . وليس الدائنون في هذا المجال المصنوى — بنوكا ومصارف ، أو مستغلين دخلاء يرهقوننا بالربا الفاحش . إنما الدائن الذى يهدد كياننا الأدبي ، إنما الغريم الذى يطارد في نفوسنا أكرم عناصرها ويكاد يخنق في ضمائرنا أسمى معاني الرحولة ، إنما العدو اللدود الذى يفتك بزمجراتنا إلى الخلق العظيم — إنما ذلك الدائن المارح ، وذلك الغريم المنح ، ذلك العدو اللدود ، هو الأنانية ، هو الإفراط المنكر في حب الذات ، هو استهانتنا المنكرة بواجباتنا ، واستهانتنا المنكرة بمحقوق من سوانا ، ما دام في الأمر أرضاء لشهواتنا أو راحة من عانتنا أو تحقيق لمنافعنا .



تسأل: الشاب ، بل الكهل الفنى المستتر — ماذا يمنحك من الزواج؟ — فيجيبك مالى
ولهذه النعمة . ان فى المتاع لمباح متسعاً لأمثلى .

وما هو بمباح إلا عند من أسقط عن كاهله واجب المروءة ، وواجب بناء الأسرة ،
وواجب تقديس الحرمات ، وأسقط عن كاهله حقوق ذويه من العشيرة والأهالي .

فإن يقصد بالمباح ، تلك المبادىء التى إن أجازها القانون ، فقد لعننا الله ، فياله من
متاع وبنى ، تطيب لهم خباثته حتى أرذل العمر .

لكنها الأنانية ، فيها إرضاء لشهواته ، وإراحة له من عناء الزوج والولد .

تسأل الموظف — أو نقول بعض الموظفين ، حتى لا يفضب الجميع — ماذا يشغل بذك
ويملك عليك أحلامك بالليل ، ولبك بالنهار ؟ فيجيب ” درجة رابعة خالية “ تسأله ” وهل
أنت أحق زملائك بها ؟ “ يجيب كلا — اذا كانت المسألة بالأقدمية . لكن المسائل كلها
اليوم محسوبيات وصلات ووسائل ووسائل ” ويكاد يبكي المسكين ، ويسب الأولاد
والآخرين ، ويدعو على الدنيا بالحرب — وليته صاحب حق . . . ولكنها الأنانية .

الأنانية هى التى ترين للطالب أن يطلب العلم للشهادة ، لا الشهادة للعلم ، حتى إذا
أحرزها ، اتخذها صكاً على الدولة يتقاضى به الجلوس طيلة حياته إلى المكتب . بأجر محدود
ولكنه ” مضمون “ .

فإن الله الأنانية فهى التى ترين للصانع أن يكسل ما استطاع الكسل . وأن يقصر فى
الاتقان ما استطاع التقصير .

هى التى ترين للتاجر أن يجمع أرزاق الناس بمن رخيص ، حتى اذا صرخت حاجتهم
إليها — باعهم بإحدا بأفحش الأرباح ، لولا حماية التسعيرة . التى يغفلها كلما استطاع .

قاتل الله الأنانية . هى التى ترين لشاهد الجريمة أن يكتم شهادته عن القضاء ، رهبا
أورعبا ، فتحفظ أكثر القضايا . وتهدر دماء المئات من الضحايا كل عام .

هى التى ترين للأدنياء شهادة الزور ، وللفئاك قتل الأبرياء بمن معلوم . قاتل الله الأنانية
هى التى فككت أواصر الجماعة المصرية فى نلبيت والنادى ، وفى المدينة والقرية . وكلما اجتمع
ولو شريكان اثنان فى عمل ، قطعت ذات بينهما كأسرع من قطع السكاكين .

هى التى ترين لصاحب الأقدنة الألف ، أن يبذل عفا لثوره ، أضعاف ما يبذل أبرا
لعامله .

قاتل الله الأنانية فهى التى تغفل يد العنى عن إعانة الملهوف ، إذ نزلت به النكبات
ومزقه لصواعق ،

هى التى تمزق الجماعة أحزابا والحزب شيما — والشعبة آحادا متحاصدين . هى التى تجعل المناصب مغام ، وتجعل المغامم قسمة بين المحظوظين . هى التى تجعل الكبير مزهوا بطرا ، وتجعل الصغير حاسدا ضجرا .

قاتل الله الأناثية ، فهى التى تكاد تحمل كل مصرى على أن ينسى المصرى فى وقت محنته ، حتى لتخشى أن ينسى الجميع هذا الوطن ، إن حلت به الكارثة .



إن لنا فى فرنسا عزيمة الأمس وضحية اليوم — لعبرة أى عبدة .

ثروة فرنسا فى المال لا تحصى . زراعتها ، معادنها ، صناعاتها — كانت مشار حسد النظائر والجاراات . علومها — آدابها فنونها ”مثل عليا للعبقرية“ لكنها انهارت بعامل واحد صارح به الملاء شيخها ”بيتان“ .

قال وتكاد عيناه تبيض من الحزن وهو كظيم ، إن فرنسا انهارت ؛ لآفة فتاكة طفت فيها على الأخلاق . ولم تكن تلك الآفة سوى الأناثية — أى حب النفس ونسيان الوطن . ولو تلوت عليكم كلامه المحزن فى هذا المقام لأخذكم فى الخوف على مصر مثل ما يأخذنى . ذلك أن بطل فرنسا بالأمس ، والفارق فى ويلاتها وكروبها اليوم — يصف الأخلاق التى أودت ببلده العظيم ؛ وكأنما يصف الأخلاق فى مصر اليوم .

أفلا يحق لنا إذن أن نعتبر ؛ أفلا يحق لنا أن نوقن من أن ثروة الأخلاق إذا أنفلست لم تغن عنها ثروة المال ولا ثروة العلم والأدب قليلا ، وإلا لأنقذت فرنسا قناطيرها المقنطرة وأدها الأسمى وفنها الرفيع ؟

أليس يحق لنا بعد هذه العبدة الفاجعة ، أن نسمى أخلاق الأمة ثروة ، وأن نرفعها فوق ثروة العلم وثروة المال لأنها ثروة النفس وثروة الضمير وثروة الروح .



إذا كان مصرع فرنسا آية رهبة على أن الأمم الأخلاق وجودا وعدما ، كما قال شوقي ويؤيده فاجعة فرنسا واعتراف بيتان ، فهناك آيتان أخريان لن ينساها التاريخ :

أريد آية الأخلاق فى بريطانيا العظمى ؛ وآية الأخلاق فى اليونان الباسلة المتواضعة ! من كان يوقن بعد انهيار فرنسا ، بل قل بعد انهيار أوروبا الوسطى وأوروبا الغربية كلها — أن تصمد تلك الجزيرة العجيبة هذا الصمود العجيب . إنى لا أريد أن أعرض لشؤون الحرب ولا لشؤون السياسة فى هذا المقال ، لأنى أنشره فى مجلة الشؤون الاجتماعية وما أحب أن أعدل بأعائها عن شؤون الاجتماع .

غير أن اتزاع الشواهد من مسالك الأمم في الخطوب مطلب أساسى لكل من يبحث في شؤون المجتمع ، وما أظن في الدنيا انسانا ، ولو كان هذا الانسان ألمانيا أو إيطاليا سلت من نفسه الأحقاد إلا يعنى رأسه إجلالا لعظمة الثروة الخلقية التى تجلت في بريطانيا واليونان .

أما اليونان فروعة موقفها ، حديث القاصى والدان ، وإن استطاع الايطاليون في القصد ما لم يستطيعوه معها بالأمس ، فقد سجلت اليونان لنفسها صفحة مجد لن تزول .
وأما بريطانيا فالحديث فيها أطول وأصنى مما تتسع له السطور الباقية .

لكننى أعلن إعجابى على مسمع من أبناء وطنى جميعا — بالبطولة التى أدهش له طائون بها الدنيا فى ستة شهور ، لا من حيث الاستماعة والاستبسال فى البر والبحر والجو ، بل كذلك وفوق ذلك من حيث اصطبار المدنيين للكاره الجلى ، وخروجهم عن أكثر أرواقهم تمويلا لحرب قال رئيس حكومتهم إنها قد تطول سنين .

وما أنس لا أنس حملة النواب البريطانيين والصحف البريطانية على وزير مالية إنجلترا يوم أعلن في مجلس العموم أنه رأى جعل ضريبة الدخل نسبة تتراوح بين خمسين وثمانين فى المائة من رزق كل مواطن . وما أنس لا أنس حملة النواب والصحف عليه فى ذلك الحين ، لا لأنه اشتط وأسرف فى تقدير الضريبة ، بل لأنه بالغ فى القناعة والإشفاق ، ثم تجاوزت الأصدقاء فى انحاء البلاد بأن الأمة على استعداد لبذل المزيد فداء لبريطانيا العظمى — نعم العظمى ، لا بالأساطيل ، فغيرها أساطيل أحدث ، ولا بالجيش فغيرها جيوش أخفم ، ولا بالطائرات فغيرها طائرات أكثر — ولكن بريطانيا العظمى بهذه الأخلاق — بهذه الثروة المعنوية التى لا تقضى على الإنفاق .



ليس رجالا من لا يعجب بالرجال ، ولا عظميا من لا يعجب بالعظمة . وأمتنا المصرية مهما أخف عليها عواقب الأثانية — أمة عريقة الذنب كريمة العنصر — فيها عظمة وفيها رجال . والله أدعو أن يوفقنا للعمل على تنمية ثروتنا الخلقية بقدر ما نعمل على ترقية ثروتنا الزراعية والعلمية ، أو أضعاف ذلك ، وأن يجعل اهتمامنا بمقاومة "الأثانية" — أعنى دودة الأخلاق — بقدر اهتمامنا بمقاومة دودة القطن وسائر السموم والحشرات .

محمد توفيق دياب

١٩١٩

المرأة المتعلمة

في ميدان الحياة المصرية

بقلم السيدة الجليلة هدى شعراوي

زعيمة النهضة النسوية في مصر

واجب المرأة في كل مكان وفي كل ناحية من نواحي الحياة واجب هام وشاق ، إلا أنه أصبح في الظروف العصيبة التي يجتازها العالم هذه الأيام أشد خطرا وأبعد أثرا منه في أي وقت مضى . وأخص بالذكر المرأة المتعلمة لأنها مع تقديرها للظروف وإدراكها مدى ما يتطلبه الوطن منها ، لا تملك ما للرجل من وسائل التشريع والتنفيذ التي تمكنها من تأدية الواجب المفروض عليها نحو وطنها ونحو المجتمع حسب مقدرتها وحسب ما يليه عليها ضميرها . بل كثيرا ما يعرقل الرجل مساعيها في الإصلاح وفي تقويم ما اعوج من الأمور بسبب انفراده بتسيير دفتها وبما يضعه أمامها من موانع لا مسوِّغ لها ؛ اللهم إلا أنانيته واستثثاره بالسلطة وخوفه من مزاحمتها له في ميادين الحياة العملية . على أننا نراه في أوقات الشدة والمحن يلجأ إليها ملتصقا بها أن تساعده وتشد أزره ، ثم يبتذنها إذا ما اجتاز مرحلة الضيق . وكذلك كان دأبه عند ما كان طفلا : يهرع إلى أمه كلما خاف من شيء أو زات به القدم كي تهدئ من روعه وتكفكف من دمه ، حتى إذا ما ذهب خوفه وآنس في نفسه الاطمئنان والقوة استغنى عنها ومضى . وقد دللنا التجارب على أن الرجل مهما كبرت سنه أو علا شأنه هو بعينه ذلك الطفل الذي يحتاج في جميع أدوار حياته إلى تلك اليد الرقيقة وذلك القلب الحنون ، يد المرأة وقلها ، سواء كانت له أما أو شريكة في الحياة . لأن المرأة والرجل خلقا ليكونا بآثلافهما وتعاوضهما الإنسان الاجتماعي الكامل .

من صفات المرأة التضحية والصبر وتقدير المسؤولية وإتقان العمل وحسن النظام . وإذا قامت بأي عمل فأنما تقوم به عن عقيدة وإخلاص لأنها ترى بضميرها وتحكم بقلها وعقلها فتكون أقرب إلى العدل والصواب من الرجل الذي لا يعتمد إلا على عقله وقوته وبطشه . وقد تبينت الأمم الراقية هذه الصفات في المرأة ففسحت لها مجالاً رحباً للاشتراك في إدارة أمورها ، ولولا ذلك ما تسنى للمرأة الغربية في الظروف العصيبة أن تملأ الفراغ الذي يتركه

الرجل بذهابه الى ساحة القتال . بل لقد كسبت الأوروبية بجهدا واجتهادا ثقة الرجل الى درجة سمحت لها بالوقوف بجانبه في ميادين الحرب حتى في أكثر البلاد انكارا لحقوق المرأة السياسية كفرنسا وسويسرا وغيرها من الدول . ولأول مرة في تاريخ الجيش الفرنسي رؤيت المرأة في الحرب الأخيرة تشارك في الوحدات النظامية وهي تلبس الزي العسكري الكاكي . وفي شهر مايو الماضي قدم المسيو بيير تاننجير عضو الشيوخ بباريس والعضو في لجنة الجيش اقترحا يرمى الى تجهيز جيش نسائي محلي بفرنسا اقتداء بما يجري في إنجلترا .

وفي سويسرا ، حيث كانوا يتسكون بالفوارق الجنسية ، أصبحت المرأة تشغل كثيرا من المناصب والوظائف التي أخلاها التجنيد من الرجال . وفي ٢٧ مارس من السنة الحالية صدرت إشارة من " برن " تدل على أن السويسريات سيبدعن إلى التطوع في الجندية في الخدمة المساعدة للجيش . وفي وقتن التمهيد المطلوب أصبحن خاضعات للخدمة الإجبارية أما النساء اللواتي تدرين على العمل في الفرق الميكانيكية فيتولين فورا قيادة الأقسام في الخدمة المساعدة برتبة جاويز .

وفي فنلندا ، وهي المثل الأعلى للديموقراطية والحضارة ، حيث لا تختلف الحقوق والواجبات باختلاف الجنسين وحيث يعمل كل من الرجل والمرأة حسب كفاءته ومقدرته ، منح الدستور المرأة الفنلندية حق الاشتراك في الدفاع عن الوطن . وكانت نتيجة ذلك أنها رؤيت في الحرب الأخيرة على الحدود لابسة ثوبها العسكري البسيط حاملة سلاحها على كتفها ، وهي لم تشغل مركزا بين صفوف الفصائل الصغيرة فقط ، بل لقد امتازت ببسالها وحسن تصرفها حتى عرفت كيف تحتل مكانها في هيئة أركان الحرب وبين القواد العسكريين . وقد اشترك بعضهن من القسم الجغرافي والكيميائي في المباحثات التي دارت لوضع الخطط العامة للدفاع عن أرض الوطن . وبالألمس ضم الجيش الفنلندي جيشا مستقلا من النساء قوامه مائة ألف جنديّة من مختلف الرتب .

هذه أمثلة مما وصلت إليه المرأة الأوروبية أضر بها لا لدعوة إلى تجنيد النساء ، بل لتكون موضوع تفكير رجالنا عدما يوزنون بين مطالبنا المتواضعة وبين ما يلفه شأوا أخواتنا الغربيات ، ثم أسائل نفسي بعد ذلك : هل آن لمصر أن تشكل من فتياتها ولو عشر ذلك الجيش الفنلندي لا للذود عن حدود مصر بل ليقوم ذلك الجيش النسائي بحاربة الأمية ومعالجة أدوائنا الخلقية والاجتماعية والقضاء على روح الرجعية التي تعرقل نهوض المرأة ورفق البلاد ؟

إن نساءنا المتعلّمات وإن كان عددهن قليلا لا يتعدى خمسا وثلاثين في الألف وعملهن لا يزال محدودا بالنسبة لمجموعهن ، جديرات بأن يلعبن دورا خطيرا في حياة الأمرة المصرية ، وأن يقمن بخدمات جليلة للنهضة الحديثة وللإجتماع المصرى خصوصا في مثل هذه الأوقات

العصبية إذا أولاهن الرجال بعض الثقة وحظين منهم ببعض التشجيع فيما يقمن به من أعمال. وليست الحركة الوطنية ببعيدة عن الأذهان، ولم ينس أحد ما كان لمواقف المرأة في سنة ١٩١٩ من أثر فعال في نجاح القضية المصرية وإعلاء سمعة مصر في الخارج. وما كان لجهودها من نتيجة ظاهرة في تشجيع المشروعات الوطنية وتنشيط الحركة الاقتصادية في البلاد. وإن ما تقوم به سيداتنا وقنياتنا من حركة التطوع في جمعية الهلال الأحمر تحت قيادة حصرة صاحبة الجلالة مليكتنا المحبوبة وإرشاد حضرة صاحبة العصمة رئيسهن العميلة، واندماج المرأة المصرية المتعلمة في جمعية الخدمة العامة وجمعيات التعاون والرواد والجمعيات الخيرية وغيرها لما يبشر بمستقبل زاهر لمصر بفضل اشتراك المرأة في إدارة شؤونها وبفضل إخلاصها لوطنها.

وعندى أنه لو وحدت جهود السيدات الفردية وتكاثفت الجمعيات النسائية في ميادين الإصلاح المنشود بلخت مصر من ثمرات تلك الجهود المشتركة المتضامنة كثيرا من الخير في قليل من الزمن، واسرنا بخطوات واسعة نحو تحقيق غاياتنا المنشودة وجنينا من ثمارها عوضا عما خسرناه في السنين الماضية.

وأعتقد أن من أخطر العلل التي تئن منها مصر والتي يقسنى للمرأة أن تساهم في علاجها بنجاح، ثلاثة أدواء فتاكة لعالمها أقوى أسباب تأخر البلاد وانحطاط الصحة وتدهور الأخلاق وضياع الثروة وهى : الأمية والخمر والميسر. وإنه لمن العجيب حقا أن نرى أن الأمية بين الطبقات المحرومة ما زالت محتفظة بنفسها الفاجعة بينما نحاول رفع مستوى التعليم العالى للطبقة الراقية بالإثثار من الكليات فنخلق بذلك هوة عميقة بين الطبقتين المتعاونتين من أبناء الأمة يخشى أن تدفن فيها معظم مجهوداتنا. وإنه لمن المحزن أن نرى بؤر الخمر والميسر تفتح أبوابها على مصراعها بترخيص رسمى من الحكومة وأن تبقى بيوت الدعارة الرسمية مفتوحة ونحن في بلد إسلامى يحرم دينه الخمر والميسر والزنا. وقد تعبت أعلام الكتاب والمصاحبين في علاج مشكلة البغاء، تلك لوصمة القبيحة التي تشوه جبين مصر الباصر وتحط من قدر المرأة وكرامتها. لقد فكرت الحكومات المتعاقبة في الغائه وشكلت أخيرا لجان في عهد وزارة على ماهر باشا ذلك الوطنى الفيور والمصاح الكبير للنظر في القضاء عليه نهائيا. ثم وقف المشروع بقاءة بحجة طوارئ عوامل استثنائية في الظروف الحاضرة.

كل هذه النقائص هى من أشد أدواء الوطن والمرأة على السواء. فيجب على المرأة المتعلمة أن تبذل جهدها في محاربتها بحاربة جديّة بكل ما أوتيت من قوة وعدة ومال. ويحذر بها أيضا أن تعمل ما استطاعت على مكافحة التواكل والكسل، والبدع والتخلفات، وتخفيف وطأة الأمراض الخطيرة التي تذاب بخاصة طبقة الفلاح كالبهارياسيا والآنكستوما والرمد الصديدى وغير ذلك من الأمراض، الموروثة منها والمكتسبة، التي

تفتك بالكثيرين من أبناء هذا الشعب المسكين فتكا ذريعا . وبذلك يمكنها أن تنشئ جيلا صحيح الجسم سليم العقل قويم الأخلاق ، وما الأمم إلا مجموعة أفراد تصلح بصلاحيهم وتفسد بفسادهم ، وما رأينا أمة معمرة إلا على أساس الخلق المتين ، وقد صدق شوقي بك — رحمه الله — إذ قال :

كذا الناس بالأخلاق يبق صلاحهم ويذهب عنهم أمرهم حين تذهب

* *

المرأة والطفل عنصران هامان في حياة كل أمة ، والعناية بهما ركن من أهم أركان تقدم الأمم ورقيها ، ولا جدوى من اختصاص أحدهما بالعناية دون الآخر ، إذ لا يمكن التفريق والفصل بينهما ، وكل مجهود في سبيل الإصلاح يعتبر ضائعا إذا أهمل شأن هذين العنصرين ، فالطفل هو المستقبل والأم هي دعامة هذا المستقبل ، وعلى هذين العنصرين الحيويين للوطن تعتمد مصر لانقشالها من حالة التناحر والفوضى التي سادتها حقبة طويلة من الزمان .

لقد كانت المرأة في بلادنا الى عهد قريب تعتبر منذ ولادتها ضيفا ثقيلا على الأسرة أو عضوا موقوف الإقامة سوف يغادرها إلى أسرة أخرى ، وإذا ما دخلت بيت الزوجية اعتبرها زوجها متاعا قابلا للتغير والتبديل ، وبني معاملته لها على هذا الاعتبار . وفي فوضى الطلاق حتى اليوم ما لا يحتاج إلى شرح أو تفصيل ، إذ تعيش المرأة مهددة في حياتها غير مطمئنة على مستقبلها ، ولا قادرة على إثبات وجودها في المجتمع الذي تعتبر فيه عضوا أشل لا قيمة له في الحياة العملية . فإليت شعري هل من كان هذا شأنها في بيت أبيها وكانت تلك حالتها في بيت زوجها وكان ذلك مركزها في الهيئة الاجتماعية ، تستطيع أن تؤدي الرسالة الجليلة التي يتطلبها الوطن منها كزوجة صالحة وأم مهذبة ومربية قديرة وعضو حامل في المجتمع ؟

لذلك وجب على المرأة المتعلمة الشرقية عامة والمصرية خاصة أن تقتحم كل عقبة تعترض سبيلها في تكوين شخصيتها واتخاذ مكانها اللائق بها في المجتمع والتناسب مع الوظيفة النبيلة التي خلقت من أجلها سيما وأن التطور قد عبد لها هذا الطريق فأصبح من الميسور عليها أن تسلك بخطوات واسعة ونفس مطمئنة .

ومن أهم المسائل التي يجب على المرأة السعى لعلاجها :

(أولا) مكلفة فوضى الطلاق الناشئة عن عدم تقدير قدسية الرابطة الزوجية واحترامها ويرجع ذلك الى الجهل وعدم متانة الأخلاق .

(ثانيا) وضع حدّ لتعدد الزوجات وذلك بالألا تقل المرأة الزواج من أى رجل متزوج إلا اذا كان هناك عذر قاهر يبرر زواجها به حتى يصبح هذا مبدءا من مبادئ المرأة المسلمة مادام بعض الرجال ما زال متمسكا به كحق شرعى له لا ينازل عنه رغم ما يسببه تعدد الزوجات من تفكك الأسرة وتناثر أفراد العائلة الواحدة ورغم قوله تعالى ” وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدُوا فَوَاحِدَةً “ والعدل بين الضرائر مستحيل .

(ثالثا) معالجة أزمة الزواج الوهمية التي خلفتها دعاية الرجعيين وكان لها أسوأ الأثر في نفوس بعض الشبان فعدها المصلحون إحدى المشاكل المهنددة وحارت في حلها أقلام الكتاب فعزا بعضهم أسبابها الى السفور والتبرج ، وقال البعض الآخر إنها من نتائج طغمة التطور الحديث وسوء تصرف بعض الفتيات الطائشات في الحرية التي نلنها . وسأين الحضراتكم خطأ هذا الزعم بالاحصاء الاتى :

في سنة ١٩٢٧ كان عدد النساء المتزوجات ٢,٨٩٦,٥١٢ وفي سنة ١٩٣٧ بلغ عددهن ٣,١٢٣,٠٣٤ أى بزيادة ٢٢٦,٥٢٢ وفي سنة ١٩٢٧ كان عدد الرجال المتزوجين ٢,٧٨٩,٨٧٢ وفي سنة ١٩٣٧ بلغ عددهم ٣,١٠٨,٦١١ أى بزيادة ٣١٨,٧٣٩

ومن هذا الإحصاء البسيط يقين أن عدد المتزوجين والمتزوجات قد زاد في سنة ١٩٣٧ على عددهم في سنة ١٩٢٧ ومع أن هذا الفرق قد يعزى الى تكاثر عدد السكان فانه يدل على عدم وجود أزمة زواج .

ولمخى مع ذلك أتمهز هذه الفرصة فأنصح فتياتنا الناهضات أن يتحلين بالفضيلة ، وأن يريان بأنفسهن عن مواطن الشبه وممالك الزلل ومثار القيل والقال ، وأن يحصنن التصرف في الحرية التي جاهدنا في سبيلها من أجلهن وأن يتحذرن من التقليد الأعمى ولا يقتدين بأخواتهن الغربيات إلا فيما ينفع وشرف ، ليضمن حدّا لهذه الحرب الشعواء التي يشنها عليهن الرجعيون الذين يتهمزون كل فرصة للحط من كرامة الفتاة المصرية المسلمة . ولتذكرن أن الحرية التي يتمتم بها الآن لم تمنح لهن عبثا ليلذلها في اللهو واللعب فقط فتحن إنما ناضلنا من أجل هذه الحرية لكي يخرجن إلى ميادين العمل ويعملن لإصلاح الوطن ولتنبوأن المركز اللائق بهن بين نساء الأمم الراقية المحدّة ، لأنها الوصيّة الوحيدة التي تصل بهن إلى هذه الغاية ، فعلى المرأة المصرية أن تبهمن على أنها كانت جديرة بهذه الحرية فيما تقوم به من خدمات لوطنها وقومها . وأمامها الحياة الاجتماعية فسيحة الأرجاء وقد تفتحت فيها أبواب مدّة للنشاط العلمى والفكرى والأدب والرياضى والإنسانى بفضل المشروعات الإصلاحية الواسعة النطاق التي قام بدرسها وتنظيمها المصلحون في بلادنا وقد وفقوا — والله الحمد —

إلى إخراج هذه المشروعات النافعة من حيز التفكير إلى حيز التنفيذ حتى اقتنمت الحكومة بالفوائد العظيمة التي تجنيها البلاد من وراء هذه المشروعات فقامت تشجيعها بكل أنواع المساعدة .

وقد كان في الخطبة التي أذاعها حضرة صاحب السعادة الأستاذ عبد الخالق حسونه بك وكيل وزارة الشؤون الاجتماعية ونشرتها له هذه المحلة شرح واف لهذه المشروعات ولما تقوم به الحكومة من مساعدة أدبية ومادية في سبيلها ، وما تنظمه من دناية لحث المصريين جميعا رجالا ونساء على مساعدة هذه الحركة المباركة . ولا حاجة بي إلى تكرار ما شرحه سعادته من أعمالها ولا ما سرده من إحصائيات سارة مشجعة ، وإنى لأضمر صدى إلى صوته حائرة مواطني الأعزاء أن يقدموا ما في وسعهم من مساعدات لهذه النهضة المحمودة الذفة التي لا شك متخطو بالبلاد خطوات واسعة سريرة نحو التقدم والفلاح ، ومن البديهي أن مساهمة المرأة في هذه الحركة تعود عليها بالنفع الجزيل ، لأن المرأة المتعلمة في استطاعتها أن ترشد أولى الأمر إلى كثير مما قد يظن عن أفكارهم وأنظارتهم فيما يختص بأحوال المرأة والطفل .

ومن الأعمال التي يجدر بالمرأة أن توليها عناية خاصة تميم التعليم الإلزامي والإرشاد إلى تحسين برامجهم لرفع مستواه لأنه على حاته الراهنة لا يعود بالفائدة المرجوة منه ، وأن تسعى في إصلاح حال البؤساء من الأيتام والمشردين ، وأولئك الذين قست عليهم الطبيعة فحرمتهم نعمه التمتع ببعض حواسهم الرئيسية كأنهم والصمم ممن لهم على المجتمع مثل ما لفيرهم من حقوق العناية والرعاية ، وأي قلب أفسح من قلب المرأة يتسع لإبواء هؤلاء البؤساء ويحتو عليهم ويخفف من آلامهم ؟

إنه لمن المؤلم حقا أن يرى الإنسان في الطرقات والشوارع أفواجا من الصغار المشردين رغم ما اتخذته الحكومة من تدابير لإبوائهم يتسولون أو يمتثلون أو ينشلون معرضين أنفسهم لأخطار السيارات ومركبات الترام التي كثيرا ما تصدمهم صدمات تقتل بعضهم أو تخلف للبعض الآثر عاهات مستديمة فيتخذونها بعد ذلك وسيلة للذسول واسترحام القلوب ، وفي الليل كم من هؤلاء البؤساء والبانسات يفتشون البطعاء ويلتحفون السماء في الحر والبرد والمطر ، فأى قلب لا يرى ولا يلم هؤلاء المساكين الذين ألفت بهم الحياة جزافا بين أنياب البؤس والشقاء وأصبحوا عالة على المجتمع وحطة لكرامة الأمة ؟

وهناك مع الأسف غير هؤلاء المهملين آدميون مثلنا قابعون في بيوتهم غير متولين ولا مشردين يهملهم أهلهم وأولو الأمر منهم ، فهم يقاسون أنواع العذاب وآلام الوحدة دون أن يحس أحد بالآلام أو يخفف من أحزانهم ، وأكثرهم يتوقون في قرارة أنفسهم إلى قبس من نور العلم يضيء لهم سبلا الحياة ويخرجهم من حالة الجمود التي يعيشون فيها ولكن لا معين لهم ولا

مشجع لأن ذويهم لا يهتمون بأمرهم بل يعتبرونهم عالة عليهم فيتركونهم في البيوت كمية مهملة والحكومة لم تفكر بعد في أنهم — هم أيضا — أبناء الوطن ولهم مثل ما لإخوانهم الأصحاء من حقوق عليها . أولئك هم العم والبكم والعمى من أبناء الطبقة المتوسطة ومن هم دونها ، هؤلاء يرون لإخوانهم الأصحاء يذهبون إلى المدارس أو يسمون في الحياة العملية بينما هم موضوعون في أما كنهم كما توضع الأشياء ، وهذا بلا شك يترك أثره السيئ في نفوسهم وفي صحتهم وأخلاقهم .

أعرف كثيرين يتألمون من حالة الركود التي يعيشون فيها ويتشوقون إلى العلم فلا يجدون إليه سبيلا . ويشعر بعضهم بقدرة على العمل ولا يجد مشجعا عليه . وقد تقدمت إلى أخيرا فتاة ضريفة على جانب كبير من الذكاء كانت تصفى إلى أخيها الطالب وهو يستذكر دروسه فلما جاز امتحان البكالوريا كانت هي أيضا في مرتبته من التعليم وكلما سعت بعد ذلك إلى الاستزادة من العلم بختلف الوسائل وقف أهلها حجر عثرة في سبيلها ونقموا عليها لأنها تطلب أكثر مما تستحقه الضريفة في عرفهم ، وكأما هي التي أرادت لنفسها هذا العمى . وعرفت قبلها ضريفة أخرى بالاسكندرية كانت أكثر حظا من هذه إذ عني أهلها بتعليمها وتحفيظها القرآن وسهلوا لها حضور الدروس الدينية فنبتت فيها وتبحرت في الفقه وأصول الدين وصارت أستاذة يحضر دروسها كثير من طلاب العلم من الرجال . ولم تكنف بذلك بل دفعتها غريزتها الجنسية إلى تعلم فن الحياة والتفصيل وأشغال الإبرة (التريكو) فنبتت فيها نبوغا عجيبا . وكانت إذا أعجبها ثوب حاكنت لنفسها مثله بعدما تبين صنعته من طريق الأس . ولم تصل بها درجة الاتقان إلى ذلك فحسب بل جاوزتها إلى حد الابتكار . فقد كانت تتكر حروفا واصطلاحات تتذكر بها ما تخشى أن نساها ولتكون مرجعا لها عند اللزوم . وكانت إلى حين معرفتي بها تجهل طريقة (براى) لتعليم العمى وكما تأسفت لأنها أضاعت تلك المدة من حياتها دون أن تستفيد منها . وما يحذر بالذكر أن هذه الفتاة الضريفة كانت تقوم بأود عائلتها مع أن لها أخوة مبصرين . وكما من نوابغ مثلها أهمل شأنهم ولوعني بهم وفتحت أمامهم أبواب التعليم كما هو جار في البلاد الراقية لتجلب نبوغهم واستفادوا وأفادوا وأمكنهم أن يحيا حياة سعيدة أو لا يكونون على الأقل عالة على أهلهم وذويهم .

إنه لمن المحزن حقا أن يحمل أولو الشأن أمر هذه الفئة النعمة من أبناء الوطن . ألا توجد في مصر مدارس خاصة لتعليمهم — وعدد هؤلاء يرى على مائة ألف نفس — أليس من المنجل ألا يوجد في مصر غير مدرستين لتعليم العميان ويقتصر فيهما تعليمهم على حرف يدوية لا تعود عليهم بفائدة تذكر ؟ بينما أمه لم في فرنسا وبلجيكا وغيرهما من الممالك الأوروبية يعلمون — علاوة على الصناعات — فن الموسيقى وطريقة اصلاح بعض آلاتها

كاليانوا، ويعلمون كذلك فن التدليك، هذا بخلاف الكتابة والقراءة وباقي العلوم التي تؤهلهم للتقدم الى الامتحانات بالجامعات لنيل الشهادات المختلفة، وكذلك يعنون بتعليم الصم والبكم القراءة والكتابة والكلام. وقد رأيت من هؤلاء كثيرين يزولون الحرف. رأيت منهم انتاج والصناع والحلافين وغيرهم بينما لا توجد في بلادنا للصم والبكم سوى مدرسة صغيرة بالاسكندرية أسستها سيدة يونانية تسمى مدام (تسوتسو). لقد هدل هذه السيدة الفاضلة أمر هؤلاء المكويين، وكانت قد درست طريقة تعليم الصم فدفعتها انسايتها الى فتح هذه المدرسة الصغيرة في رمل الاسكندرية. وأسستها (دار الأمل) لإيواء عدد قليل من الصم بحسب ما تسمح لها ماليتها الضئيلة معتمدة على مساعدة بعض الخيرين من مواطنيها ومن المصريين وعلى ما تتقاضاه من أجر من أبناء المومرين. وقد طلبت هذه المربية الفاضلة من أولى الشأن مساعدتها برعاية هذه الوااة الصالحة ووضعها تحت إشراف الحكومة ومدها بالمساعدة الكافية ليتسنى لها قبول أكبر عدد ممكن من الصم ولتخصيص قسم في المدرسة لتخريج فوج من المعلمين والمعلمات يتولون تعليم الصم في المدارس التي قد تنشأ الحكومة فيما بعد. فياجذا لو حققت حكومتنا الرشيدة هذه الأمنية وقام بعض المصلحين في بلادنا وبالأخص سيداتنا المتعاملات بمساعدة هذا العمل الانساني المفيد حتى يكون هؤلاء البائسين نصيب في الحياة.

فلقد بلغ من اهتمام حكومات البلاد المتعدنية بشأن أمثالهم أن أكثروا من مثل هذه المدارس في بلادهم حتى صار يحيل للإنسان أنه لم يبق لهذه العاهات أثر فيها وأصبح الصم والعمى يتكلمون ويعملون. وبلغنى من سيدة نرويجية أن في بلادها كثيرا ممن نكبتهم لطبيعة بالعمى والكساح علاوة على بكمهم من النصف فكانوا ككلا من الجماد تنبض ولا تحرك ولا تمي، فدفعت الإنسانية المربين إلى استنباط طريقة لتجديتهم وفعلوا وصلوا إلى تعليمهم بطريقة اللس وبذلك أشعروهم بأنهم أحياء وأدخلوا على نفوسهم شيئا من السعادة والمرور. وأنه ليخيل إلى أن إسداء المعرفة إلى أمثال هؤلاء التعماء وأدخال السرور إلى نفوسهم لا يقل شأنًا عما تدخله السينات والملاهي على نفوس سيداتنا من القبضة والسرور بل يزيد.

إن الفكرة السائدة بأن المرأة التي تعمل في الحياة الاجتماعية لا تستطيع أن تؤدي واجباتها المنزلية على الوجه الكامل هي فكرة خاطئة، لأن أعمال البيت لا تستنفد وقت امرأة كله. وأستطيع أنؤكد أن المرأة للعائلة هي أكثر نشاطا وخبرة والمسا ما بإدارة منزل من تلك القابعة في عقار دارها، وأن ذلك يمكنها أن تدير بيتها. دارة حنة وترى أولادها تربية صالحة وأن تنشر ألوية السعادة والرخاء على بيتها بتدعيم لامرأة وتوثيق عرى التضامن وروابط المحبة بين أفرادها وفي المحيط الذي تحيا فيه. كما تستطيع أن تعمل بيتها كامل الدوام جميل التنسيق

متوافرة فيه أسباب الراحة والهدوء والطمأنينة، وأن تحصل منه المدرسة الأولى لأولادها اذا كانت أما والنادى المحبوب لبيتها وذويها والعش الهنيء لزوجها والمثل الأعلى في النظام والإدارة والاقتصاد لأترباها. وإنها لتبنى هذا النظام على احترام الواجب وعلى الثقة المتبادلة بين أفراد الأسرة لأنها تعرف قيمة الوقت ولا تبذر فيه . لذلك أعود فأحث كل سيدة متعلمة على أن تساهم ما استطاعت في كل ناحية من نواحي الإصلاح القومي، المثريه منهن بما لها، والمتعلمة بعلمها، والأديبة بقلمها ولسانها، والعاملية بنشاطها . وليكن رائدنا بنوع خاص القضاء على الأمية والنهوض بأخلاق النشء وتحسين حالة الفلاح الصحية والمادية وتشجيع الصناعات المحلية والمنتجات الوطنية بتفضيلها على غيرها وارشاد الصناع الى تحسينها والإكثار من شراء أسهمها ومحاربة الرذيلة ومناصرة الفضيلة والمحافظة على اللغة والقومية وشعائر الدين الحنيف .

وانى لأعتقد أن المرأة لو قامت بإصلاح بيتها وساهمت في الإصلاحات الاجتماعية العامة لأدت لمصر ما تنتظره من كل سيدة متعلمة وأثبتت وجودها في المجتمع وأقنعت الرجل بمجدايتها وأهليتها لحقوقها السياسية . ومتى نالت هذه الحقوق تسنى لمصر أن تحلق بجناحها في سماء المجد والفخار ولكن لا لتلقى القنابل على البلاد الآمنة بل لتفشر ألوية الرحمة والسلام وتدعم أواصر المحبة والإخاء .

هدى شعراوي

٥

كرامة العلم والعلماء

حجّ هارون الرشيد ثم شخص بعد الحج إلى المدينة ، وأراد أن يسمع الحديث عن مالك ابن انس فأرسل يستقدمه فقال مالك للرسول : ” قل لأئمة المؤمنين إن طالب العلم يسعى إليه أما العلم فلا يسعى إلى أحد . “ وأذن الخليفة وزار مالكا في داره ولكنه أمر أن يجلي المجلس من الناس ، فأبى مالك إلا أن يظل الناس كما كانوا وقال : ” إذا منع العلم عن العامة فلا خير فيه الخاصة “ وأذن الرشيد لرغبته مرة أخرى وسمح للناس بسماع الحديث .

عهد لم يطل

بين الكأس والوتر

للأستاذ فؤاد بليبل

وهذا شاعرنا يتحدثك بلسان الشارب الطروب، عما تشبه الخمر في الأجسام من مريح، وما تضي على المحاسن من إنباس وسرور، بعد أن يصف لك الكأس والشراب والدمان أربع توصف وأحسه، ثم يعود فيحدثك بلسان المحرب الملون الذي تكشف له مضار الخمر رجاءاتها على العقل والبدن والكرامة، في أصوب قوى زحر، وبين هذا وذاك يجلو لك من معاني الحياة أروع الصور، فاقصيدة أدب وخلق ودين واجتماع :

أبرمت عهدا جديدا طيب الأثر	بين القوافي وبين الكأس والوتر
أهبت بالشعر فانتقادت شوارده	في محفل بعذارى الوحي مزدهر
أصوغه من شعوري غير مدخر	من ساحات القوافي أي مدخر
حررت ربقته من كل شائبة	فما فتنت بمعنى غير مبكر
ولا دعوت إلى التجديد معتصما	منه بكل غريب السبك والصور
ولا هذيت بأبيات أرددها	من كل مضطرب صعب القياد زرى
ولا اعتديت على الأنغام "أشنعها"	ولا "صلبت الدجى في دوحة القدر"
ولا شررت "شعاع الشمس في قنح	من اللهب، ونحو الشمس لم أطر"
ولا "ركعت بمحراب الفرام على	عطر من الوله النسكى مستمر"
إن يحرق بالأدب الغربى طابعه	فالشرق بالطابع الغربى غير حرى
شوارد الضاد شتى لأعداد لها	ليست فرائدها ملكا لمحتكر
فاختر لشعرك منها ما يناسبه	واحرص على جودة التركيب أو فذر
دع القلائص والأحداج مكتفيا	بما يلائم روح العصر واقتصر
فالشعر إن لم يساير روح نهضته	كالقصن جرد من نور ومن ثمر
إن يصب غيرى فإنى ما صبوت إلى	مهد النجائب والوخادة الستر
ولا تقدمت عصرى في تقدمه	ولا تأخرت عن عصرى فلم أسر
ولم أقل إن جفنتى من أهم بها :	يا قلب ذب ألما، يا أدمع انهمرى

بات المعنى طريد الهم مكتئبا
وهى فلم يستطع صبرا ولا جدلا
ولا وقفت على الأطلال أندها
ولا أثار شعورى رسم دارسة
والكؤوس التى مافى قرارتها
مالى ولقدح الرمزى لا وقعت
اترع لى الكأس صرفا واسقنى علا
وهاتها علنا صبياء صافية
زجاجة لو درى الخمار قيمتها
قديمة العهد ما فضت بكارتها
تدعو الشفاء الى تقييل مبسمها
كم دار فى خلدى ما زادنى شغفا
تخالها فى وعاء الثلج نائمة
حتى إذا نضحت من برده عرفا
لها على السكب فى الأقداح قهقهة
أشعل الجسم نارا وهى باردة ؟
من لى بذر فأنساها وقد صذبت
تديرها غادة هيفاء فاتنة
ما أنس لا أنس يوما زرت حاتها
يقودنى نورها والشوق يدفعنى
دخلت فاستقبلتى من مفاتها
ورائح من دخان التبغ تحبه
واقوم ما بين مذهبول ومنسجم
دقوا الكؤوس وراحوا يضمحكونها
تناثروا شيما فى العيش واجتمعوا

وبت فى الحان خلو البال والفكر
وما وهى جلدى أو عيل مصطبرى
ولم أعج بنجيام الحى من مضر
مالى ولليد ، والأطلال ، والخفر
إلا شعاع الضحى أو مدمع الزهر
عينى عليه ، ولم يعلق به بصرى
على شفا جدول بالزهر مؤثر
طال الإسار بها فى تنجها الأسرى (١)
أسمى عليها شديد الحرص والحذر
طاف الحباب بها كالأنجم الزهر
بسائغ من دم المنشود معتصر
بها ، وفى خلد الخمار لم يدر
وسنى على مضجع من مائه وثر
حسبتها لبست وشيا من الدرر
كأها ضحكات المازى الهذر
فيا لمقرورة أورى من الشرر !
طعما فا تركت عذرا لمتنذر
تغنيك طلعتها عن مطلع القمر
فى جنح ليل عليل الحجم معتكر
دفعا لأقضى من لذاتها وطرى
بفائغ من غير الخمر منشر
سحبا من النجم قد أشفت على المطر
وما جن قد سلا الدنيا ومفتكر
ما بين مختل يهذى ومفتخر
حول الزجاجة عقدا غير مثر

(١) الأسر بانحرىك لمة فى الزجاج

جلست متزويا في ركن حاتها
وبادلتني سلاما ليس يفهمه
وجالستني وحشت غير حافلة
واستدرجتني الى ما لست أذكره
لها حديث يثير الوجد ماجنه
ومبسم حينما مالت به تركت
كأنه بدم العشاق مختضب
غيت عن كل نفل (٢) بابتسامته
وأعين القوم لا تنفك ترشقنا
حسنا ما خاطبت عيذك مقلتها
إن تنضب الكأس لم تنضب مراشفها
تنو اليك بعين الريم باسمه
شفافة التوب لم تستر به جسدا
تدل في خفر وهي التي جمعت
تلامس العود كفاها فتنطقه
ويرسل الآه من أوتاره نغما
تكاد ألحانها تبكي ولو رغبت
وللصبا (٣) رقة هيئات يعرفها
وللبيات (٤) رنين كاد ساحره
كأنه ترجمان المعجبين بها
ما أروع العود لو هاجت بلابله
فاستلهم الكأس أو فاستوح مقلتها
ما زلت في حيرة منها وفي عجب
ورحت في شبه إغماء كأن يدا

وبادرتني بلحظ الفاحص النكر (١)
إلا الليب وإلا كل مختبر
بغير حمل على الإسراف في السهر
واقتر ضاحكها عن لؤلؤ نضر
تفريك رفته بالشرب والسمو
من صيفه أثرا ينفى عن الخبر
عذب المقبل أما رشفه فمرى
وما تضوع من فواحه العطر
بأسهم لم تطش من لحظها الشمر
إلا أخذت بما تحويه من حور
أو غارت الشمس لم تأفل ولم تفر
وتستبيك بلحظ الجؤذر الحذر
إلا لتظهر منه كل مستر
كل المفاتن غير الدل والخفر
كأنما العود لم يقطع من الشجر
فكيف لو عيئت بالشارب السكر
لاضحكنك بالخان لها أثر
إلا حليف الصبا (٥) من تلكم الزمر
يذيب حتى صميم الصلب والجحر
يروى لها عن هوامم أعذب السير
في حمر غانية وضاحة الفرر !
تجد من الشعر لنا غير متظر
حتى التشتيت فلم أعجب ولم أحر
شدت على عنقي في عنف مهتصر

(١) الفطن . (٢) ما يشغل به على مائدة الشراب من البندق والفستق ومحوه .

(٣) نعم من أنغام الموسيقى . (٤) الوجد . (٥) موسيق .

أم أنها لم تدر أم خاني نظري ؟
خارت قواي ولولا السكر لم تخر
اشرب ولا تخش لوم العاذل الأثر
واصرع بها دولة الأحران والكر
فيها منافع لا تخفى على البشر
ولا جرت من جنان الخلد في نهر
ولا تجزعها الرهبان في السحر
وقال هذامى ما فيه من ضرر
فإنما انخر إثم غير مقتدر
كفى به خطرا ما فيه من خطر
فغادرته عليلا جدد مفقور
عاقبه وهو هزيل غير مقتدر
على الطوى والأسمى والسقم والضجر
كؤومها في حنايا السجن من نفر
به ، بفار ولولا السكر لم يحمر
ماء تحلب من مستنقع قذر
كأنب زفرة من صدر متحجر
كمانس كسدت من شدة الكبر
في مصبح عكر من مائه العكر
حتى سقطت صريعا شبه محتضر
ولا لقا لحواة النى والدعر
أغراك بالسكب ما أغراك بالنكر
لما اندفعت بهذا المسلك الوعر
مما رأيت وقلبي جد معتبر
وحسبها أنها من أبلغ العبر
ورحت أبكى على ما فات من عمرى
أبرمت عهدا جديدا طيب الأثر
فؤاد بليل

هل مادت الأرض فاهتت بأهلها
وقت أخطو كما يخطو الكسبيج وقد
وعفت كأسى فقالت وما صدقت :
وقل : هى انخر كم طابت لشاربها
لو أنها ضرر ما قال خالفها :
ولم بمن الثقة المؤمنين بها
ولم تعتق بدير وهى مسكرة
ولا أباح لآ عيسى تناولها
أقلت حسبك هذا الكفر فأتى
ما سر مشربها حتى استحال أسمى
كم من غنى صحيح الجسم عاقرها
وكم فى أيد كالليث مقتدر
كم زوجة سلبتها زوجها ففدت
كم طوحت بفتى مثلى وكم طرحت
أثيمة الوحى كم من عادل لعبت
هل فى الزجاجة غير السم تحسبه
لما لدى السكب فى الأقداح حشرة
قديمة المهد ما فضت بكارتها
تخالها حية فى الثلج كامنة
ما كنت أعلم أن السم خاصرها
لا بارك الله بعد اليوم فى فدح
ولا ملام على ما جئت من نكر^(١)
تالله لولا فساد الناس قاطبة
وعدت عنها ونفسي جد دامية
كفى بها عظة ما بعدها عظة
لقد تيقنت أن انخر مهلكة
وقلت حين طرحت الكأس ناحية

(١) لغة فى المنكر .

الخدمات الاجتماعية في أمريكا

للعامة المربي الكبير الدكتور تشارلس واطسن

مدير الجامعة الأمريكية بالقاهرة

حين تشرفت بمقابلة حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهرباشا في الربيع الماضي — وكان رفضه إ. ذاك رئيسا للحكومة — ذكرت له أن الرأي العام الأميركي قابل نبأ إنشاء وزارة للشئون الاجتماعية في مصر بإعجاب واعتباط شديد ، وأنى رأيت مظاهر هذا الإعجاب والاعتباط واضحة عند قايى بالقاء سلسلة محاضرات في مدن مختلفة متباعدة في الولايات المتحدة . فلقد تحدثت الى القوم هناك عن أحوال مصر الحديثة وتبينت أن أهم ما لفت أنظارهم وأثار تعليقاتهم إنما هو اهتمام الحكومة المصرية بإعداد شعبها اهتماما جعلها تنشئ وزارة تتوفر على درس مشا كل هذا الشعب الاجتماعية والعمل على علاجها .

ولا غرابة في أن تقدر الأمة الأميركية اتجاه مصر بالحديد نحو العناية بشؤونها الاجتماعية ؛ لأن أميركا تقدمت الأمم الأخرى في عنايتها بالعلوم الاجتماعية . ولإى أستشهد بدائرة المعارف البريطانية في تأييد هذا الرأي إذ تقول : ” بينما علم الاجتماع لا يلقي اهتماما يذكر في الجامعات البريطانية — اذا استثنينا جامعة لندن — فإننا نجد أكثر الجامعات الأميركية ينشئ أقساما خاصة بعلم الاجتماع . “ وأذكر على سبيل المثال جامعة هارفرد التى تدرس ما لا يقل عن خمسين مادة مختلفة في هذا العلم فضلا عن المواد الأخرى التى تتصل به أو تمت اليه كالاقتصاد والتاريخ وغيرها .

ولقد دعنتى ” مجلة الشؤون الاجتماعية “ الى أن أكتب لها كلمة عن الخدمات الاجتماعية في أميركا كما خبرتها عن كسب في زيارتى الأخيرة لبلادى . وإجابة لهذه الدعوة سأكتفى بالإشارة الى ثلاث حقائق هامة :

الأولى ، أن الشؤون الاجتماعية تشغل مكانا ظاهرا في الحياة الأمريكية ، ومحظى بنصيب وافر من العناية والتدبير والتفكير . ولقد أشرت الى مبلغ اهتمام الجامعات بالعلوم الاجتماعية ، وأحب أن أضيف الى ذلك أن الاهتمام لا يقتصر على الدراسات النظرية ، وإنما هناك جهود جبارة تبذل في سبيل نقل هذه النظريات الى ميدان التطبيق العملى ، حيث تعالج المشاكل الاجتماعية التى يواجهها الشعب الأميركي اليوم . ففى أميركا الآن عدد لا يحصى من الجامعات

الخيرية التي تعمل لرفاهية الشعب وإسعاده : حتى إن الإنسان ليدعشه عدد الصفحات التي تشغلها أسماء هذه الجماعات في دليل التليفون في كل مدينة من المدن الكبرى. ومع أن أهداف بعض هذه الجماعات محدودة إذ يقتصر عملها على معالجة مشكلات معينة كالصحة العقلية مثلا ويضيق ميادين بعض منها فلا تتسع الا لطائفة دينية معينة أو أفراد جنس خاص دون الآخر ، فإننا نجد في كل هيئة اجتماعية عددا وفرا من الجمعيات التي تعمل للخدمة الاجتماعية عامة دون تمييز أو تفريق ، ومن هذا النوع الأخير الجمعيات الخيرية ، وجماعات املاعب الشعبية ، وجمعيات التمريض ، ولجان تنظيم الحياة المنزلية ، ولجان تحسين امدن ، واندية الزوتري ، وجمعيات لآباء ، وجماعات الكشافة ، ومعسكرات البنات . ولكل جماعة من هذه أغراض تسعى الى تحقيقها ويدل عليها اسمها ، وهي كلها جماعات خيرية متطوعة تعتمد في نفقاتها على الهبات التي تصل اليها . ومع أن نفقاتها باهظة جدا فإن هذه الهبات كانت الى عهد قريب تكفي لسد جميع حاجاتها .

أما الحقبة الثانية التي لحقتها في ميدان الخدمة الاجتماعية بأمریکا فهي نقل الاهتمام بالأعمال العلاجية الى الأعمال الوقائية . فالجهود التي تبذل اليوم لمقاومة الأمراض الاجتماعية ومنعها من التفشي أكثر من الجهود التي توجه لعلاجها بعد أن تصيب جسم الأمة وتنتشر في كيانها . فالعناية بمنع أسباب العمى والتعطل والشرذم والخروج على القوانين أشد من العناية بعلاجهم ، لأن الحالة الثانية تستدعي بذل جهود ونفقات لعلاج أمراض مستمرة أو عائدة . ويبدو هذا الاتجاه الجديد في الدوائر الطبية حيث يوجه أشد اهتمام الى الطب الوقائي ، كالعناية بصحة الأم الحامل وتعميم الكشف الصحي السنوي على كافة الأفراد . وليس من شك و أن كشف الوسائل الوقائية للمجتمع كله يستلزم دراسة أعمق مما تستلزمه الوسائل العلاجية . ولناخذ مثلا مشكلة التسول : فلو أردنا أن نعالجها علاجا وقائيا وجب علينا أن نسأل أنفسنا عن السبب الذي يدعو المرء الى التسول . فإذا كان السبب راجعا إلى أن الشخص قد اتخذ التسول حرفة يرتزق منها وجب استنباط الوسائل الحاسمة لقطع دابر هذه الحرفة وتحذير الجمهور من خطرها . وإذا كان السبب راجعا إلى أنه لم يستطع إيجاد عمل يرتزق منه وجب بحث حالة تعطله . هل يشكو مرضا أم هو لم يدرب على عمل يقوم به ؟ هل له عائلة كبيرة ينفق عليها أو يعتمد عليه أقرباء كثيرون ؟ وما علة فقر الأقرباء ، أهيهم ضعف جسمي أو عتلى ميعني بأمهم في منشآت عامة تقام لهذا الغرض . أم أن العلة أكثر عمقا من كل ما ذكرنا إذ هي ناشئة عن سوء النظام الاقتصادي أو الصناعي السائد في المجتمع ، وجملة القول . كيف يمكن انقاذ هذا الرجل من التسول وكيف يمكن القضاء على التسول عامة .

لذلك نجد أميركا تعج بمختلف البحوث الاجتماعية حتى أصبحت نرى فيها جوامعها للبحوث الاجتماعية على اختلاف أنواعها سواء أكانت بحوث طلاب الجامعات لاستيفاء رسالتهم العلمية أو بحوثا منظمة تستغرق جملة سنوات تقوم بها هيئات مختلفة مثل مؤسسة روكفيلر أو مؤسسة البر العامة أو مؤسسة رومل سيج ، ونحو عشر مؤسسات أخرى تملك ملايين الدولارات .

وهناك حقيقة ثالثة يجب تدوينها هنا لنلتم بكل ماله أثر في الخدمة الاجتماعية في أمريكا في السنوات الأخيرة ، وهي دخول الحكومة الأمريكية في هذا الميدان .

ويجب أن نلاحظ أنه في تاريخ أمريكا كله كان هناك نوع من الحيلة والحذر من التدخل الحكومي المركزي في الحقوق والحريات الديمقراطية . فقد كنا في عالم السياسة لانتهاون في حقوق الولاية إزاء حقوق الحكومة المركزية . أما في الحياة الاقتصادية فقد كان المبدأ الاستفرادى هو المبدأ الأمثل . وهذا الشعور ضد مبدأ المركزية في الحكم كان عميقا إلى حد أن حكومة الولايات المتحدة لا تزال خالية من وزير للعارف العمومية . ولا يزال التعليم من شأن الولايات وحدها . وإذا كان للحكومة أي شأن في التعليم فإنها تتركه إلى وزير الداخلية أو إلى لجنة خاصة .

وهذا السبب بقيت الخدمة الاجتماعية إلى وقت قريب من اختصاص الأفراد والجماعات الذين يتكروها وينظمونها . ولكن حدث عقب الأزمة المالية سنة ١٩٢٩ وما تلاها من كساد دام أن شعرت جميع الهيئات المحلية المتطوعة المتفرقة بثقل العبء الذي ألقى عليها وبأنها عاجزة عن تحمله . وكانت النتيجة أن تقدمت الحكومة (الحكومة المركزية) وحكومات الولايات لتساهم في هذا الميدان . ولا يزال الأمريكيون مختلفين في تقدير حكمة هذا العمل ، ينسألون هل يجب أن تبقى الخدمات الجديدة من الواجبات الدائمة للحكومة المركزية بعد أن ثبت أن ذلك يبيح تلازم الخدمة الاجتماعية التي تقوم بها الحكومة المركزية : أولاها إتاحة الفرص للتدخل السياسي ، لأن كل حكومة تستطيع أن تحاجب أصدقائها ومؤيديها بأعمال . وثانية سوء الإدارة البيروقراطية التي لا تكاد تعرف قيمة الاقتصاد أو الكفاءة أو العطف البشري إذ هي بضميرتها لينة بعيدة عن لإحساس الشخصي .

ولكن الحكومة الأمريكية — سواء أكان عملها حسنا أم سيئا — قد تدخلت بل انضمت في النشاط الاجتماعي وهي تعاقب من أرقام فلانية . وقد أنشئت وزارة الوقاية الاجتماعية سنة ١٩٣٥ وبها هذه المقاصح :

- | | | | |
|-------|-----------------------------|--------|--------------------------------|
| (١) | مصلحة التأمين من الشيخوخة . | (٦) | مصحة مساعدة للأطفال المعوزين . |
| (٢) | » التعويض من التعطل . | (٧) | » المبرات للأمومة . |
| (٣) | » المعونة العمومية . | (٨) | » النصحة العامة . |
| (٤) | » الاعانة للسنين . | (٩) | » مبرات الأطفال . |
| (٥) | » مساعدة العميان . | (١٠) | » الارشاد المهني . |

وزيادة على ذلك هناك أقسام أخرى منفصلة للمساعدة في تنسيق المنازل ومنح القروض للبناء والقروض الزراعية وطلاقات العمل ومصحات التدريب والأعمال العامة التي ابتكرت لاستخدام الشبان . وحين تقول إن هذا القسم الأخير — الأعمال العامة — قد أُنْفِقَ عليه ٥٠٠ مليون جنيه مصري في سنة واحدة يمكن القارئ أن يتصور مدى اهتمام الولايات المتحدة باضطلاعها في النشاط الاجتماعي . ويمكن أن تقول أكثر مما قلنا عن هذا النشاط . ولكن حسبنا هذا .

وفي الختام ألفت النظر إلى نقطة ذات صبغة عامة . فإن العالم كان في القرن الماضي يمحصر اهتمامه في العلوم الطبيعية كالطبيعة والكيمياء والبيولوجيا وعلم النبات ، هذه العلوم التي توصف أحيانا بأنها العلوم المضبوطة أو المحققة أو الآلية . لأن قوانينها دقيقة معينة . ولكن العالم يلتفت الآن إلى العلوم الاجتماعية . هذه العلوم التي تعالج الإنسان من ناحية سلوكه وعاداته الاجتماعية . وأشق من هذا السلوك أو هذه العادات مشكلاته التي لا يسهل حلها . فإن القوى التي تتمركز الاتجاه والشكل هنا ليست كامة في الدائرة المادية أو الآلية وإنما هي كامة في الدائرة الأخلاقية والروحية . ولذلك لا تقتصر الخدمة الاجتماعية أو العلوم الاجتماعية على بناء منازل حسنة أو إيجاد أدوية ناجحة لمعالجة المرضى ، وإنما هي تتجه أيضا إلى إيجاد مستويات عالية للأخلاق ثمرا لامتقانة والذمة والغيرة على خير الآخرين ، ومراعاة النظام والولاء للجمتمع وروح الخدمة العامة ومقدار ما يمكن تنشئته وتنميته من هذه المصنفات في الحياة الاجتماعية المثلى .

دكتور

تشارلس واطسن

بَعْدَ الْمِثْلِ

وعلاقتها بالديدان الطفيلية التي تصيبه

للدكتور محمد خليل عبد الخالق بك

أستاذ علم الطفيليات بكلية الطب ومدير قسم الأمراض استوصة بوزارة الصحة

استرعت حالة الأطفال في معاهد التعليم المختلفة انتباه الرأي العام المصرى بما نشر عن حالتهم الصحية وسوء تغذيتهم وشدة هزالهم ، حتى قام بعض الهيئات بتنظيم حفلات يراد منها جمع التبرعات وانقاذها في تغذية هؤلاء الأطفال . ولكن هذه الحركة التي كانت تبشر ببعض الخير لم تلبث أن سكنت وتلاشت ولحقت بغيرها من الحركات النافذة التي بتنا نذكرها ولا نرى لها أثرا .

على أن مشكلة سوء التغذية ليست مقصورة على الأطفال في بعض معاهد التعليم ، ولا على أطفال الفلاحين في القرى ، ولا على أطفال العمال في المدن . وإنما هي تمتد لتشمل الكبار في كثير من أنحاء مصر وتتجلى آثارها في صحتهم وفي بنيتهم حتى ليجوز لنا بحق أن نضع هذه المشكلة في قائمة مشكلاتنا القومية الكبرى .

ومسألة التغذية مسألة معقدة في ذاتها ، وهي تزداد تعقدا كلما ذكرنا أنها تخضع لحالة الفرد الاقتصادية ، أى لمقدار كسب الفرد وكفاية هذا الكسب أو عدم كفايته لسد مطالب الحياة المختلفة وبخاصة في الأسر الكبيرة العدد ، كما تخضع لحسن أو لسوء تصرف الفرد في كسبه ، إذ كثيرا ما يحدث أن ينفق معظم دخله في حفظ مظهره الخارجى على حساب ما يلزم لغذائه وغذاء أسرته ، وكما تخضع أيضا لحسن أو لسوء اختيار الفرد للواد الغذائية التي يشتريها وهو لا يميز النافع منها للجسم من غير النافع ، وكما تخضع بعد ذلك لوفرة أو لنقص المعلومات التي يمكن الاعتماد عليها في تقدير القيم الغذائية لمختلف الأطعمة الشعبية . وهذه الاعتبارات كلها وإن تكن ذات أهمية كبرى في بحث حالة الشعب الغذائية ، إلا أننى لن أعرض لها خشية الإطالة وخشية الدخول في تفاصيل لاتنى غير المتخصصين والفنيين ، ولذلك سأقتصر كلامى على مسألة الديدان الطفيلية المنتشرة عدواها في مصر انتشارا وبلا وعلى أثرها السيئ في تغذية الشعب المصرى .

علاقة عدوى الطفيليات بالتغذية علاقة عرفت من زمن بعيد . فلقد ذكر ابن سينا في كتابه "القانون فى الطب" منذ تسعة قرون ، أن المصابين بالدودة الوحيدة يشكون دائما من

جوع كلي يجعلهم يقبلون على الطعام بشمية نهمة ويستوعبون منه مقادير كبيرة . ولكن العلم الحديث أثبت أن هذه الحالة ليست مقصورة على المصبيين بالدودة الوحيدة ، فطالما رأينا الأمهات المصريات يقلن للطبيب إن طفلهن يأكل كثيرا ولكن لا يظهر أثر هذا الأكل في نمو جسمه ، ثم يتبين عند الفحص أن الطفل يؤوى الكثير من نعاين البطن (الأسكارس) في أمعائه .

وقد تنبه قدماء المصريين لعلاقة أخرى بين لطفيليات وتغذية الفرد فقد جاء في ورقة البردي الطبية الشهيرة Ebers Papyrus أن العدوى بالديدان تسبب بطئا في نمو الجسم وتأخيرا في الوصول إلى سن البلوغ .

وما شوهد على الإنسان يشاهد أيضا على مختلف أنواع الحيوان في مصر بل إن الحيوانات أسوأ حالا منه ، فالمواشي المصرية والأغنام والدواب تأكل كثيرا ولا يظهر أثر ذلك عليها ، فهي على حال سيئة من الضعف والهزال . ولا غرابة في ذلك فكثير منها يأوى في أمعائه آلاف من الديدان التي تمتص غذاءه ولا تترك للحيوان إلا القليل مما يأكله ليمتص من الأمعاء ويستخدمه الحيوان فعلا .

ولنأخذ مثلا ديدان الأسكاراس (نعاين البطن) فهي ديدان يبلغ طول الواحد منها ربع متر ويوجد منها عادة في أمعاء المصاب بضع عشرات ، وقد تبلغ في حالات قليلة عددا كبيرا ، فهناك طفل من قلوب خرج منه بعد العلاج ٢٥٣ دودة من الأسكاراس محفوظة في متحف كلية الطب ، فلتصور طفلا يؤوى ٥٠ دودة وهذا ليس بالعدد الكبير تأكل طعامه العادي الذي لا يكاد يهضم حتى تلتهمه هذه الديدان الواقعة للغذاء بالمرصاد . وإذا علمنا أن كل أنثى من هذه الديدان تضع في اليوم الواحد ٢٠٠,٠٠٠ بويضة وهي تزود كل بويضة بمقدار من المخ لغذاء جنينها داخل البويضة حتى يبلغ أشده . وإذا علمنا أن المخ هو من أدم مواد الغذاء وأغناها لأمكننا أن نتصور المقدار الكبير من الغذاء الذي يمتصه الأسكاراس من أمعاء الطفل المصاب بها وأنها لا تترك له إلا القليل لينتفع به ولعلمنا السبب في أن الطفل يأكل كثيرا ولماذا تشكو الأمهات من أن هذا الأكل الكثير لا يظهر له أثر في نمو الطفل .

وهذا هو الحال في الدودة الوحيدة التي تبلغ السبعة أمتار طولا وتبلغ عقدها الألف كل منها تشبه حيوانات مستقلة من الوجهة التناسلية تخزن العدد الكبير من البويضات وتحتاج لكميات كبيرة من الغذاء تزود بها أجنتها وعلى ذلك فليس هناك غرابة في أن المصاب بها يشمر بجوع مستمر كجوع الكلاب كما ذكر ابن سينا .

وهذا هو الحال أيضا في عدوى ديدان الانكلستوما التي تضع أنثاها ٢٠,٠٠٠ بويضة كل يوم وتمتاز الانكلستوما عن الديدان الأخرى بإفرازها ساما يحدث فقر الدم ويذهب بقوى الفرد البدنية ويضعف حدة ذكائه .

أما البهارسيا المدوية فتؤثر على التغذية بإتلافها جدران الأمعاء الغليظة فتعيق امتصاص الغذاء وتفتح مختلف الميكروبات طريقا للدخول إلى الجسم .

وحده الطفيليات المختلفة لانتشار بنسبة واحدة في أنحاء القطر المصرى فهى أكثر انتشارا في الوجه البحرى منها في مصر الوسطى ، وهى ندرة الوجود في مصر العليا أى مديريات جرجا وقنا وأسوان ، وذلك يرجع إلى انتشار الريح بالراحة وكثرة ترع الريح وارتفاع مستوى الماء في باطن الأرض ورطوبة التربة .

فبفحص سكان قرية صفط العنب في مركز كوم حمادة تبين أن ٩٦٪ منهم مصابون بعدوى الطفيليات بينما تبين بفحص سكان قرية السباعية بمديرية أسوان سنة ١٩٣٣ أيام ريمها ربا حوضيا أن بها صفر ٪ مصاب بعدوى الطفيليات ، ولكن بعد إدخال الريح الصيفى إليها بواسطة الطلمبات صارت عدوى البلهارسيا بها ٤٤٪ .

وانتشار عدوى الطفيليات له أثر محسوس في حالة التغذية ولكن كثيرا من الباحثين قد أغفلوها عند دراستهم هذا الموضوع ، فتوسط كسب الفلاح في أراضي الدلتا يفوق كثيرا ما يكسبه زميله في مديريات جرجا وقنا وأسوان ، وكية الغذاء التى يتناولها الفرد في الوجه البحرى أكثر وأسخى ومتنوعة إذا قورنت بما يأكله الأفراد من نفس الطبقة في المديريات الجنوبية وهم الذين تنتج أراضيهم محصولا واحدا في السنة عقب فيضان النيل ثم تستمر جرداء معرضة للشمس المحرقة باقى العام الى أن تغمرها مياه الفيضان في العام التالى .

إن أصحاب الأملاك في هذه المديريات الجنوبية متذمرون من هذه الحالة ويطالبون الحكومة دوما بتحويل أرضهم من رى حياض إلى رى مستديم ليزيد دخلهم ، ولكننا إذا قارنا صحة سكان هذه المناطق الجنوبية بصحة سكان الدلتا لوجدناهم أحسن المصريين صحة وأقوامهم عضلا وطولهم أعمارا فعليهم نتمتع في الأعمال الشاقة كتعبيد الطرق وإنشاء المباني الضخمة ومد الطرق الحديدية وشق الترع والمصارف حتى في أنحاء الدلتا نفسها وشحن وتفريغ السفن في الموانئ ، فهو هو الصعبدى الذى يحتكر هذه الأعمال وما ذلك إلا أن المقاويل قد وجدوا بالخبرة أنه أكثر إنتاجا وأشد قوة من سكان الدلتا ، ولو شاهدنا هؤلاء الصاعدة مجتمعين فيما يسمى 'التراخيل' لوجدناهم يعيشون على طعام نأفه يحملونه في أكياس من الخيش يكون مغلفه من الخبز الخفاف المصنوع من الأذرة والشعير وقيل جدامن الأدام مما يعيدونه في المزارع في الأماكن التى يشتغلون بها .

ومرض البلاجرا وهو أهم مظهر لنقص التغذية في مصر لا أثر له في مديريات الوجه القبلى الجنوبية ، ومعظم حالاته في ريف الوجه البحرى حيث وجد في بعض القرى أن نسبة عالية من السكان مصابون به ، وهذا المرض يسبب طفعا جلديا في الأجزاء الظاهرة من

الجسم التي لا تغطيها الملابس كالوجه والرقبة والصدر خارج حدود الجلباب ، وكذلك اليدين عند نهاية الأكمام والقدمين وهذا الطفح يسميه الفلاح التشف . هذا المرض هو الذى يعتمد عليه الباحثون فى تقرير نقص التغذية وتحديد مناطقها فى مصر . وقد وجد أن الطفيليات موجودة بكثرة فى الأفراد المصابين بهذا المرض حتى أن بعض الباحثين قد قرر أن البلاجرا فى مصر نتيجة لعدوى الديدان واعتبر الطفيليات كسبب مباشر للرض . فإثناء الحرب الماصية تفشى مرض البلاجرا بين أسرى الأتراك فى المعادى ولا توجد البلاجرا فى بلادهم الأصلية وانهى الباحثون إلى أن السبب فى تفشى المرض هو عدوى الاسكارس التي انتشرت بين الأسرى . وقد وصل بعض الباحثين المصريين إلى أن البلاجرا فى مديرية البحيرة سببها العدوى بالبلهارسيا المعوية ، ولكن المتفق عليه الآن هو أن الطفيليات تسلب أساس غذاءهم أو تعطل امتصاص الغذاء من الأمعاء فتسبب البلاجرا ، فليست العبارة بكيفية الغذاء التي يتناولها الشخص بل بكيفية الغذاء التي تمتص نهائيا من أمعائه ويستعملها جسمه ، ولا شك أن أهالى المديرية الجنوبية يستفيدون الفائدة التامة من كل ما يأكلون . وعلى نفحة غذائهم فهو كاف لاحتفاظهم بحيويتهم كاملة بينما سكان الوجه البحرى تسلب الطفيليات معظم غذائهم على كثرته فتظهر لديهم علامات وأمراض نقص التغذية .

وللتغلب على هذه الحالة لنا أن نختار بين طريقين فلما أن نزيد فى غذاء الأفراد وتلاميذ المدارس حتى يمكننا أن نسد حاجة الطفيليات ويبقى ما يكفى لجسم الشخص أو أن نطرد الطفيليات ونعمل على عدم الإصابة مستقبلا فيكفيهم غذائهم الحالى .

وقد اتجه رأى إلى العلاج الأول لأنه لم يتنبه الكثيرون إلى السبب الحقيقى فى نقص التغذية وقامت تلك الحركة الكبيرة وجمع المال لإعطاء أطفال المدارس غذاء إضافيا ولم تلبث تلك الحركة أن بحدت ويكاد لا يكون لها أثر الآن . بل إننا نسمع أن الظروف الاقتصادية قد قضت بتخفيض كمية الغذاء التي يتناولها الطلبة . ولا شك أن هذا العلاج ليس بالأفضل فلو عالجنا هؤلاء الأطفال من هذه الديدان وهذا سهل ميسور لأصبنا كما يقال عصفورين بنعرج واحد فشفيانهم من الأمراض التي تنشأ عن عدوى الطفيليات وهى مهمة خصوصا فى بيئات التعليم ، كالتأخر فى نمو الجسم وبلادة التفكير والذاكرة وكثرة النسيان والانيا وهذه كلها ذات أثر لا يستهان به فى المبوط بمستوى التعليم ويكون نتيجة التخلص من الطفيليات أن يصبح الغذاء الحالى كافيا فى أكثر الحالات .

وخص الفرد لعدوى الطفيليات وعلاجه منها أمر سهل ميسور فستشفيات البلهارسيا والانكلستوما المنتشرة فى طول البلاد وعرضها تعمل ذلك بدون أجر ، وخص البول والبراز مركزويا فى أى معمل للتحليل كقبل بمعرفة ما هنالك من الديدان الطفيلية . ويجدر بوزارة المعارف أن تعمم نظام فحص التلاميذ جميعا للوقوف على ما يهيم من عدوى الطفيليات

وعلاجهم منها . وسترى إن فعلت أن ما سيتجه ذلك من رفع مستوى التعليم يعوضها أضعاف ما أنفقته في سبيل الفحص والعلاج . فقد حدث أن بعض الأطباء رار مدرسة في مكان ناء في كينيا وفحص جميع التلاميذ للطفيليات وعالج المصابين منهم، وكان يشرف على المدرسة جماعة من الإرساليات الدينية فلاحظوا أن أكثر التلاميذ الكسالى والتلاميذ المشاغبين والذين يتكرر سقوطهم في الامتحان مصابون بالانكلستوما وقد تحسنت حالتهم بعد العلاج بشكل ظاهر فاتبعوا خطة علاج جميع الراسبين بعد كل امتحان بدون فحصهم طيبا لتعذر ذلك في مكانهم الثانى وكانت النتائج طيبة جدا في إصلاح حال التلاميذ .

فيجدر بكل والد أن يعمل على فحص أبنائه دوريا لعدوى الطفيليات وعلاجهم منها خصوصا إن شاهد على أحدهم سرعة نسيان ما يحفظه من الدروس أو عدم القدرة على المذاكرة طويلا أو إذا شاهد المعلم عدم قدرته على الإصغاء والانتباه طول وقت الدرس فقد يكون الفحص وعلاج الطفل في ذلك الوقت له أثره البالغ في تحسين مستقبل حياة الطفل بل وتحويله من فشل محقق إلى نجاح تام .

دكتور

محمد خليل عبد الخالق

من حكم الإمام على

إن كان لابد من العصية فليكن تعصبك لمكارم الخصال ومحاسن الأمور التي تفاضل فيها المجداً، والنجباء من بيوتات العرب ويعاسب القبائل ، بالأخلاق الرغية والأحلام العظيمة والأخطار الجليلة والآثار المحموده . تعصبوا لخالل الحمد : من الحفظ للجوار : والوفاء بالذمام والطاعة للبر ، والمعصية للكبر ، والأخذ بالفضل ، والكف عن البغى ، والانصاف للخلق ، والكظم للغيظ ، واجتناب الفساد في الأرض .

بَعْضُ عيوبِنَا الإِجْتِمَاعِيَّةِ

لحضرة صاحب العزة محمد البابلي بك

مدير مدرسة لبوليس والادارة

قد يكون الكلام عن عيوبنا وعن نواحي النقص في عاداتنا وتقاليدينا وأخلاقنا من قبيل الحديث المعاد والقول المبذل، غير أنني لا أرى حرجا من التكرار طالما أننا ما زلنا حيث كنا من تلك العيوب، تراها تتجدد على مشهد منا كل يوم بل كل لحظة، ونلمس ما علق بسببها من أثر ضار بسمعتنا، ونشعر بمقم الجهود التي يبذلها قادة الرأي ودعاة الإصلاح للتخلص منها والقضاء عليها .

ولست أزعم أنني محيط بتلك العيوب جميعا ولكنني سأحاول أن أتناول بعضها بالقدر الذي يسمح به المقام . مبتدئا بأشدها أذى وأكثرها ذيوغا وانتشارا . ذلك هو ما يسمى بالأنانية أو الأنانية وهو أس العيوب ومصدرها . والأنانية في الأصل غريزة حيوانية فطرت عليها كافة المخلوقات المحرومة من نعمة العقل، والمنحطة الحس والادراك ، فهي أقوى ما تكون في الوحوش والبهائم والمواشي ، وفي الهوام والحشرات ، اللهم الا في أنواع قليلة كالنمل والنحل اختصها الخالق سبحانه وتعالى بميزة فضلها بها على غيرها، فعلمها كيف تتعاون وتتضافر في سبيل الخدمة العامة، وأصبحت بفضل هذه الهبة الإلهية مضرب المثل في النقص ودقة النظام . ولعله جل شأنه قد اختارها مثلا للناس ليأخذوا منها القدوة الصالحة في التعاون على البر والتقوى .

والأنانية غريزة بشية أيضا . فالإنسان فطرته أناني، تراه إذا ما لقي خيرا هروا إلى ليفتر منه لفة ما يستطيع اعتراؤه، ولو كان في ذلك زيادة على حاجته، وأغتيال لرزق أبناء جنسه ، وحرمان لأهله وعشيرته . وذا ما أوحس شرا أو أحس خطرا وفي مديرا ، غير مفكر إلا في اسجة نفسه . ولا مكترث لمن يدوسه في طريقه أو عابئ بمن يتعلقون بأذيانه من مواطنيه الضعفاء مستنجدين مستعثرين . قال الله تعالى : (حَقَّقَ الْإِنْسَانُ ضَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا) . هكذا خلق الإنسان غير أن الله جلت قدرته قد وهب له عقلا يستعمل به على تهذيب تلك الغريزة الصادرة ومقومة فعلا، في نفسه ، ولذلك ترى الأنانية تنقر وتضعف في الإنسان كلما بنا عقله ، تشب وتقوى فيه كلما انحطت مداركه وتراها أقوى في الطفل منه والرجل . وتراها أقوى في الجاهل منها فيمن هذبت نفسه تربية وصقلت

مداركة التفانة . أرايت الى صاعد الجبل كلما ارتقى درجة منه اتسع مدى بصره واتسعت دائرة اشرافه فتكشف حوله من الكائنات ومن الخلق ما لم يكن يراه منذ كان في الدرجات السفلى ؟ كذلك الإنسان في أطوار حياته كلما ارتقى عقله وسمت مداركه أحس أنه لم يخلق لنفسه وأن لا يكان له إلا بإخوانه وأعدائه وأمته . فالإنانية كما ترى تسيير في محاذاة درجة الجهل والمخاطط المذارك ، تزداد بارد يادها وتهبط بهبوطها . غير أنني أقول والأسف ملء جوانحي إن الإنانية ما زالت بيننا منبثة سموها ممتدة جذورها حتى لم تنج من شرها طبقاتنا المثقفة وأقول والألم يحز في نفسي إن آثارها الضارة ومظاهرها الخبيثة ما زالت قائمة كالصخرة الصماء في سبيل نهضتنا وتقدمنا .

الإنانية هي عدو التعاون الألد ، والتعاون كما تعلمون هو المؤونة التي تشد بنيان الأمة شداً والتي لولاها لانهار ذلك البناء انهياراً . هي عدو التعاون لأنها تمجج صني الإنانى بفشاء كفيف من صورة شخصه وذاته فلا تبدو له صورة الغير من خلاله إلا شبحاً باهتاً ضئيلاً . الإنانية تطارد روح التعاون لتفنى طليها أينما وجدت ، تقتل روح التعاون فيما بين الشعب والحكومة فتري الرجل الذي تشربت نفسه بالإنانية يلقي كل عبء في ميدان الإصلاح على عاتق الحكومة ، ويتزوى كلما طوبى بالمساهمة في مشروع مهما عاد ذلك المشروع على الإنسانية بالنفع ومهما جلب للبلاد من خير فلا يكتث له إلا بالقدر الذي يعود عليه هو بالفائدة العاجلة فإن لم يجده كذلك أعرض عنه ونقض يده منه ، أما إذا قضت طيه الظروف أن يساهم فيه فلا يضل إلا كارهاً مرغماً لافرق بينه وبين الأغنام تهرع الى العشب لنا كل ثم تنام ولا تجود بضرعها وصوفها الا على غفلة أو قهر منها . حدث في إحدى بلاد الوجه البحرى أن شب حريق هائل ، النهم ما يقرب من ثلث مساكن البلدة فتألفت في الحال لجنة من رجال البر لإسعاف المنكوبين ، غير أن هذه اللجنة قضت يومين كاملين في جدل ومناقشة وخلاف على أى الأعضاء يكون رئيساً وأيهم يكون نائباً للرئيس وأيهم يتولى أمانة الصندوق .

والإنانية تقتل روح التعاون فيما بين أفراد الأمة في كل ناحية من نواحي حياتهم الاجتماعية . تقتلها في البيت فتري الزوج الأمانى ينكل عن النروض بأهم عبء من أعبائه وهو تربية أولاده فيلقبه على زوجه محتجاً بانشغاله بعمله خارج البيت بينما الزوجة من جانبها تلقبه على زوجها معتذرة بعملها داخل البيت ، وتري أفراد الأسرة يسعى كل منهم وراء أطعاه وشهواته على حساب تضامن الأسرة وسمعتها فتتحل بذلك رابطة الأسرة ، والأسرة هي الخلية التي يتكوّن من مجموعها جعم الأمة والتي لا حياة له بغيرها .

والإنانية تقتل روح التعاون في ميدان المهنة والحرفة فتري صاحب العمل يبذل جهده للإكثار من أرباحه ومكاسبه ولو كان في ذلك إرهاب أو ظلم لعماله بينما العامل من ناحيته لا يهتم بتحسين إنتاج عمله بقدر ما يهتم نيل أجره فتصبح النتيجة خساراً على الاثنين .

والإنانية تقتل روح التعاون حتى في ميدان الرياضة والتسلية فترى اللاعب الأناني يحصر همه في أن يثير استحسان النظارة له وإعجابهم بشخصه ولو أدى ذلك إلى خسارة فريقه .

والإنانية تقتل روح التعاون حتى بين طوائف الموظفين الحكوميين وهم الذين ما خلقت وظائفهم إلا ليتعاونوا لخدمة المجتمع ، وتضعف في الموظف روح الشعور بواجبه وتمحله على تعليل مصالحته الشخصية على المصلحة العامة أو الخلط بين الشؤون الفردية والشؤون المصلحية ، فإذا ما أوجده عمله الرسمي في طريق شخص بينه وبينه خصومة أو نزاع طفت فيه الكراهة الشخصية على روح الواجب فعمد إلى استغلال سلطته لتعطيل مصلحة ذلك الخصم مفرطاً في واجب الأمانة والنزاهة والمساواة بين الناس ، وإذا ما وجه نظره إلى خطأ ارتكبه أو تقصير بدا منه ممن ليس له عليه سلطان الرياسة عز عليه أن يقر بخطئه وأوحى إليه أنانيته المقنونة أن صون كرامته لا يكون إلا بالتشبث بذلك الخطأ ومحاولة الدفاع عنه ولو من طريق الحجج الزائفة والجدل الكاذب .

ومن مظاهر الأنانية بين طائفة الموظفين ما أسميه "بالدفاع عن الاختصاص" فإذا ما اقتضى عمل من الأعمال تبادل الرأي والمعونة بين مصلحتين أو أكثر فإن كلا من رؤساء تلك المصالح ، بدلاً من أن يمد يده لزميله مرحباً بمعونته مبهتجاً بمساعداته ، ينصب نفسه للذود عما يسميه اعتداء على كرامته أو تدخلا في اختصاصه كأنما المصلحة التي يرأها حصن وكلت إليه حمايته من عدو مغير . ولا يلبث العمل أن يتعثر في العقبة تلو العقبة إلى أن يموت ويدفن شهيداً لهذا النوع الغريب من الدفاع .

وهناك ما أسميه "النزاع على عدم الاختصاص" وأمره أشرب وأعجب . فإذا ما طرأ حادث قد يجر إلى مسؤوليات مشتركة فإن كلا من أولئك الرؤساء أنفسهم تلقاه دائب السعي في التنصل من تلك المسؤوليات وإلقاء حملها على زميله .

حدث في قضية جنائية أن قتل شخص وعثر على جثته ملقاة على حد فاصل بين مركزين مختلفين فقام بينهما على الفور نزاع هائل على تحديد موضع الجثة من ذلك الحد وبادر كل منهما إلى إحضار الخرائط والقياسين والمساحين توصلاً لإثبات أنه غير مختص وغير مسئول عن تلك الجناية ، ثم تطور الأمر إلى نزاع آخر على ما إذا كانت الجثة قد نقلت من مكانها عمداً بقصد تغيير جهة الاختصاص واتسع نطاق البحث والتحقيق في ذلك النزاع إلى درجة تضاءلت معها قضية القتل ذاتها حتى كاد ينفى القتل وقتله .

ومن مظاهر الأنانية ما نشاهده أحياناً من أن الموظف الأناني الذي قد يكون أراق ماء وجهه في سبيل الحصول على وظيفته لا يكاد يستقر في كرسيه حتى يتجه بكل همه إلى البحث عن حقوقه المقبلة وعما سوف يحظى به من ترقية أو علاوة فينتقب باحثاً في القوانين واللوائح

المالية مستعجلا العلوات مغاليا في الطلبات متعللا بالاستثناءات، مناديا بما يسميه العدالة والمساواة ضاربا المثل بمن نالهم حظ الاختيار فسبقوه وهو يكاد في ذلك كله ينسى أو يتناسى عمله الرسمي وينسى أنه يتقاضى عن هذا العمل أجرا طالما حققت أقدامه للفوز به وينسى أن القيام بذلك العمل فرض واجب وأمانة مقدسة يجب أن يؤديها وأن يقدم أداؤها على كل مطالبة بحق وأن من انتفريط في تلك الأمانة أن يعلق قيامه بهذا الواجب على الحصول على الحق إن كان ثمة حق ، والويل كل الويل لأمة عرفت حقوقها وتناست واجباتها .

ومن مظاهر الأنانية الميل للدعاية الشخصية والإعلان عن النفس فترى الرجل الأناني لا يقبل على أداء واجبه الا اذا أحس أنه موضع الأنظار ومهبط الأنوار، فإن قام به وسدده الحظ والتوفيق في أدائه دون بذل مجهود خارق أو تعرض لخطر داهم، راح يطرق الأبواب مستندرا الاستحسان مستجديا عبارات الشناء والإطراء فإن لم يفز ببغيته فترت همته وثبطت عزيمته . ولعل أبرز مثل لذلك ما ذكرته إحدى الصحف من أن أحد منطوعى مصلحة الوقاية ذهب إليها معاتباً لأنها لم تنشر عنه كلمة تشيد فيها بما بذل من تضحية في سبيل الوطن

والأنانية تجر إلى الغرور لأنها تقوى في الشخص الأناني روح الإعجاب بنفسه وتضله أو تعمي عن معرفة عيوبه فلا يراها ولا يحاول أن يلم بها أو أن يصلحها فيصم آذانه عن النقد الذي يصيق به صدره بينما هو يفتحه واسعا لسمع ما يلقي إليه من عبارات الملق والمداهنة والرياء . وكثيرا ما ذهبت مصلحة المجتمع ضحية بريئة لمثل تلك العيوب .

محمد البابلي

الحياة

قال النبي صلى الله عليه وسلم : ” لكل دين خلق ، وخلق الإسلام الحياة “ .
وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب : ” من كساه الحياة ثوبه ، لم يرَ الناس عيبه “ .
وقال أديب : ” لا يزال الوجه كريما ما بقى حياؤه ، كما لا يزال للفنن رطيبا ما بقى ماؤه “ .

الحرب وصناعاتنا الوطنية

قلة الواردات والتعويض عنها

عندما تريد أمة ما تشجيع الانتاج في بعض محصولاتها أو مصنوعاتنا تعتمد إلى ما يسمى الحماية الجمركية . ومعنى الحماية الجمركية إقامة سور جمركي يمنع دخول البضائع الأجنبية إلا بعد أن تتحمل مكسا جمركيا عاليا يجعلها غالية الثمن فيقل ورودها وتكسد تجارتها، أو هي تمنع بتاتا من الدخول . والقصد من ذلك إتاحة الفرصة لزراعة أو صناعة ناشئة أضعيفة حتى تثبت وتقل على أصحابها ريعا يشجعهم على المضى فيها والتوسع في استثمارها . وقد تتحمل الأمة في سبيل ذلك غلاء . ولكن هذا الغلاء هو التضحية التي تضحي بها من أجل الزيادة في الإنتاج والثراء .

وقد كنا إلى حوالي سنة ١٩٢٩ مرتبطين بتعهدات تمنع الزيادة في المكوس الجمركية، فلم تكن صناعاتنا بل ولا زراعاتنا تجد أية حماية، وكان لهذا السبب يشق علينا أن ننشئ صناعة جديدة يجب أن تزاحم من السنة الأولى من عمرها صناعات راقية راحنة في أوربا وأمريكا تدخل منتجاتها بلادنا بمكس جمركي لا يزيد على ٨ في المائة من ثمنها .

ولكن بعد سنة ١٩٢٩ استطعنا أن نشرع في سياسة جمركية جديدة نظرنا فيها إلى الزيادة في إيرادات الدولة من جهة وإلى حماية الإنتاج الأهلي من جهة أخرى . فـ لا تصنعه بلادنا يدخل إلى أسواقنا بأقل المكوس التي تفرض بأعلى ما نستطيعه على البضائع أو المحصولات الأخرى التي تزاحم منتجاتنا . ومن هنا زيادة المكوس الجمركية على القمح مثلا وعلى الأقمشة . فإننا بالأولى نحمل محصولا زراعيا خطيرا سواء في قيمته للغذاء أو في قيمته للدورة الزراعية . ونحمل بالثانية صناعة جديدة ناشئة .

ولكن عندما تنشب حرب عاتية كهذه الخرب التي تعانها أوربا تشل الحركة الملاحية في أنحاء العالم فيصعب النقل . كما أن مصانع الدول الكبرى تشتغل بالإنتاج الحربي بدلا من الإنتاج لحاجات السلم . وعندئذ تقل الواردات الأجنبية وتنكفي كل أمة مضطرة إلى مواردنا الأصلية تستغلها بقدر المستطاع . فإذا لم تكن بها صناعات قديمة راحنة فإنها تعاني الأمرين في كفاية نفسها من حاجات ضرورية يندر وجودها أو حتى يتعذر .

وفي الحرب الماضية عانينا المشاق العظيمة ثقلة الواردات الأجنبية التي أدت قتلها بل ندرتها إلى ارتفاع أسعارها حتى باقت حدا عاليا من الغلاء الفاحش . فكنا نشترى الحذاء بجنيهين أو ثلاثة جنيهات مع أنه لم يكن قبل الحرب يزيد عنه على أربعين قرشا . وكنا

نشرت البذلة بسبعة أو عشرة جنيهات مع أن ثمنها كان يتراوح قبل الحرب بين ٣ و ٤ جنيهات .
وشلت حركة البناء حتى وقفت لأن كثيرا من مواد البناء كانت ترد من أوربا مثل الخشب
والحديد وأدوات الارتفاع . ولذلك ازدحمت المدن الكبرى بالسكان وارتفعت أجور
المنازل حتى تضاعفت في بعض الأحيان لوفرة الإقبال وتراحم عليها وانقطاع البناء .

أما في هذه الحرب فإن الحال لم تبلغ سوء الذى بلغت في الحرب الماضية ، وذلك بفضل
بعض المنشآت الصناعية مثل مصانع شركة مصر بالحلة الكبرى للغزل والنسيج ، ومصانع الغزل
في الاسكندرية ، ومصانع الآنية بالاسكندرية ، ومصانع الجوارب والملابس التختانية .
ومصانع الكؤول في حنون . ومصانع العقاقير لبنك مصر ، ومصانع الزجاج بالقاهرة . ومصانع
الفخار الموه . وكذلك مصانع الورق الخشن . وهذا الى إحياء الصناعات المقروية للنسيج .
فإن هذه الصناعات كانت قد ماتت أو كادت تموت قبل سنة ١٩٢٩ لأن المنسوجات
الأجنبية أغرقت أسواقنا . ولا يمكن النول البلدى أن يبارى الآلات العصرية الكبيرة
في انخفاض الثمن وإن يراها في المانة والدقة . ولكن بعد زيادة الكموم الجمركية على الأقمشة
الأجنبية استطاع النول المصرى أن يسترد حياته كما استطاع بنك مصر أن يجدد الرواج
لمصنوعاته التى أعدت لها آلات عصرية من القياس الكبير والوزن الثقيل والإنتاج الوفير .

ولا يستطيع انسان أن يصف الحرب بأنها فرصة ذهبية لنا يجب أن ننتهزها . فإن الحرب
مأساة لا تقتصر على المتحربين بل تعم العالم كله . وهى كارثة في ذاتها ، وقد تجر وراءها
كوارث . ولكن في جميع الحروب هذه السمة العامة ، وهى شل المواصلات وضعف الانتاج
الصناعى وقلة الواردات والصادرات . وقد بدأنا نحس هذه الحال ورأينا أقمشة الصوف
التي تستعمل في بذلة الرجال ترتفع أثمانها ، كما رأينا هذا الارتفاع في جميع الأدوات والأجهزة
الكهربائية والأثاث المعدنى والخشب والمعادن عامة . وقد وقفت بالفعل حركة البناء .
بل أصبح ترميم المنازل كثير التكاليف لندرة الأدوات الصغيرة مثل الأقفال أو الخنفيات
أو أحواض الاغتسال . وحركة البناء هى أعظم الحركات استيعابا لمختلف الأعمال ، فوقوفها
يؤدى الى ركود في كثير من الصناعات . بل قد رأينا ندرة أخرى تمس بيوتنا هى ارتفاع
الثمن لأطباق المائدة من قرش الى خمسة قروش . ولم ترتفع أثمان الأحذية ، لأن هناك حماية
جمركية معتدلة استطعنا بها أن نقي هذه الصناعة من البوار . وهى مع انها لا تزال صناعة
يدوية فإنها احتفظت بمكانتها وثبتت .

ونعود الى ما قلنا ، وهو انه على الرغم من أن الحرب ليست فرصة ذهبية لأحد ولا يصح
أن تكون كذلك فإنها في الواقع كذلك عندما نذكر الصناعات الوطنية . لأن الواردات
الأجنبية قد قلت بل ندرت ، وأحيانا انعدمت فكان مصنوعا نحتاجه بجماية بجمركية مانعة مدة

هذه الحرب ولذلك يمكننا أن ندفعها الى الأمام وننتبها اذا كانت ضعيفة مزعومة أو نبهها ونجدها اذا لم تكن قائمة .

فتحن نعانى مثلاً أزمة في ورق الطباعة . وهى أزمة عاتية جعلت ثمن الرزمة يرتفع أحياناً من ١٤ قرشاً الى مائة قرش أى ما يقرب من سبعة أضعاف الثمن السابق للغرب وقد شلت حركة الطباعة لهذا السبب وأصبح الفقراء بل المتوسطون من التلاميذ يقولون الأمريين فى الحصول على ثمن كراسة يتعلمون فيها . وقد قيل لنا منذ سنة ١٩٣٣ إن فى البية إنشاء مصنع عسرى للورق . ولكن ما زلنا بعد سبع سنوات ولما يتحقق هذا المشروع . وهذا مع العلم بأن ورق التعبئة للحم والبقول يصنع فى مصر من قش الرز وغيره . وكان يمكن بقليل من التبصر أن تساعد مثل هذا المصنع الذى يصنع ورق التعبئة ويجعله يرقى ويتوسع الى أن يصنع ورق الطباعة . وليس من الضرورى أن نتظر مكتوف الأيدى حتى ننشئ المصانع الضخمة بالآلات عصرية اذا لم يكن هذا الإنشاء فى طاقتنا العلمية أو المالية . ولا يزال الورق القاهري يصنع فى إيطاليا بالأيدى دون الآلات الكبرى . فلماذا لم نتعلم هذه الصناعة قبل الحرب بل لماذا لم تعدد حكومتنا الى ذلك المصنع الذى يصنع ورق التعبئة الخافى فبمشت بعض عماله الى أوروبا لدرس صناعة الورق القاهر ؟

ولكن للأسف لا يجدى . ومع ذلك هناك صناعات كثيرة يمكننا أن ننتهز الفرصة الحاضرة لإحيائها والتوسع فيها ما دامت الواردات الأجنبية لا تصل الى مصر ولا نخشى من احتها لمنتجاتنا . وقد تمشت بيننا الأنوال اليدوية عقب الحرب . ولكن النول ينسج فقط والنساجون يحتاجون الى الغزل الأجنبى . ولذلك لا ينتظر للنساجين المصريين نجاح كبير ما لم يجدوا الغزل الوطنى . وهو الآن غير متوافر . ولنا فى حاجة بعد هذا الذى ذكرنا الى تنبيه الجمهور الى ضرورة الإقبال على المصنوعات المصرية . فان الحكومة قد آثرت على غيرها من المصنوعات الأجنبية ونهت جميع مصالحها الى ضرورة رعايتها ، كما أنها حمتها بمكوس جمركية عالية . فيجب على الجمهور أن يمشى الحكومة فى هذه الرغبة ويقبل على شراء المصنوعات الوطنية ويؤثرها على غيرها . وهو بهذه الوطنية العمالية يوجد شعوراً بالقومى الاقتصادية ويفتح أبواباً للرزق لأبناء مصر وينقلنا من حضارة زراعية بدائية الى حضارة صناعية راقية .

وما يجدر ذكره هنا أن القانون الخاص بإنشاء الشركات المساهمة يشترط شروط قاسية مثل أن يكون ثمن السهم ٤ جنيهات وألا يقل المدفوع عن ٤٠٠٠ جنيه ثمن ألف سهم قبل منح الامتياز . ونظن أنه يمكن تشجيع الجمهور على اقتناء الاسهم اذا خففت هذه الشروط الى مستوى الاقتصاد العام . فان جمهورنا لا يزال يجهل قيمة التضامن ويحتاج لذلك الى التشجيع .

عُرس الأحملاق بالمرأة

ومقام البيت في ذلك

بقلم الأستاذ سلامة موسى

بيت من بيوت القاهرة يحتوى عائلة كثيرة الأولاد قد استأجرت خادمة صبية من الريف بأجر رخيص . وقد انتقلت هذه الصبية وهى فى الثانية عشرة من بيثة الحقل ونقل السهاد والتقى فى الشمس الى بيثة الحضارة فى القاهرة حيث المنزل الذى فرش بالسجاد وأضىء بالمصابيح الكهربية ، وحيث المائدة التى يجب أن تمسح وتنظف بعد كل وجبة ، وحيث الاستحمام وغسل الملابس لا ينقطعان . فالانتقال عندها من الريف الى القاهرة ليس انتقالا جغرافيا فحسب ، وإنما يجب أن يكون انقلابا نفسيا أقل ما يحتاج اليه أن تتغير هذه الصبية فى إدراكها لمعانى النظافة والمواعيد ورنه الصوت ، وأن تغير هندامها الجسمى ثم هندامها الذهنى . ولكن الصبية ليست كفؤا لهذا الانقلاب . أوهو يسير فيها ببطء ، وهى لذلك تصطدم مع الأولاد اصطدامات متوالية . تخرج من المنزل لشراء حاجة فتسير فى الشارع على الأسلوب الذى تعلمته فى الريف متوانية متلفتة متطلعة ثم تعود متأنرة فيعاملها الأولاد بالسباب والضرب . وقد تطلب منها ربة البيت تنظيف الأطباق أو غسل الجوارب فتؤدى هذين العملين وفقا لمستوى النظافة الذى بلغته فى الريف حين كانت تفصل ”نوبها“ على حافة التربة بلا صابون وبلا حاجة الى غلى الماء . فتجد من سيدتها أيضا السباب والضرب .

والتأمل لهذا البيت لا يسهه إلا الشعور بأن هذه الصبية هى الآن وسيلة لتمرير أعضاء هذه العائلة على أسلوب من المعاملة يقوم على السباب والبطش والكراهية والاحتقار . فإن ألفاظ ” يا بنت الكلب “ ” والله لأموئك “ تجرى على ألسنة الأولاد فى البيت عند مخاطبتها وأحيانا تمتد أيديهم بالضرب وأرجلهم بالركل لجسمها الصغير . فالخادمة معذبة ومعذورة . لأنها نشأت على أقيسة ريفية فى النظافة والإنجاز لا تستطيع تغييرها بأقيسة المدينة . فهى لذلك تضرب لكى تغير هذه الأقيسة . ولكن الأولاد أيضا قد وجدوا فيها مرآة جديدة للأخلاق . هذه الأخلاق التى تعلمها فى البيت والشارع أكثر جدا مما تتعلمها فى المدرسة . ونحن نحرس على ألا يختلط أولادنا بالصبيان الفاسدين من البيوت المجاورة . ولكننا ننمى أن فى وسط بيتنا صبية خادمة يتدربون بها على الشتم والضرب وسائر ألوان العنف . وأنهم سينشأون على اتخاذ العنف وسيلة للمعاملة . فقد تعلموا مع هذه الصبية حين كانوا يفضبون

منها أن يعبروا عن هذا الغضب بالشم والضرب . فيجب لذلك أن نعرف انهم لن ينسوا هذا الأسلوب حين يسبون ويفضبون من زملائهم أو رؤسائهم . لأننا وقت الغضب نعود الى أسلوب الطفولة ونعمل به . فإذا كنا قد تعلمنا التمالك والأناة فإننا نتمالك ونتأني . وإذا كنا قد تعلمنا السباب والضرب فإننا نسب ونضرب . لأن الغضب لا يترك لنا مجالاً للتفكير . فقد نعيش السنين ونحن نعتقد أننا نمتاز بالأخلاق الهادئة واننا نكره الاعتداء والعنف . بل ربما كان هذا اعتقاد من يعاملوننا . ثم تصادفنا حادثة في الطريق أو المكتب فننفجر بالسباب أو نعتدى بالضرب . حتى اذا انتهت فورة الغضب نعود على انفسنا باللوم متعجبين من هذا الانفجار . والحقيقة ان هذا الأسلوب قد تعلمناه في الطفولة حين كنا نعامل الخدم ونضربهم .

ولذلك لا يسعنا إلا أن نعدّ مثل هذه الصبية الخادمة في هذا البيت من أسوأ الوسائل لتربية الأولاد . إذ هي بمثابة ” أرب التجربة ” في معمل العالم . ومن هذه التجربة يخرج الأولاد وقد تعلموا الوقاحة والصياح والعنف . ولكن ميزة هذه الصبية أنها رخيصة . ولذلك تحرص ربة البيت على استخدامها وتؤثرها على خادمة مسنة يحترمها الأولاد ويعاملونها بالحنى ويحاطبونها بقولهم ” ياخاله ” لأنهم وهم يعاملونها باللفظ المهذب والإيماء الرقيقة والرفق في الطلب والأناة عند التأخير سيتخذون هذا الأسلوب أخلاقاً دائماً تمش معهم وتلازمهم سائر حياتهم حين يسبون ويختلطون بالمجتمع . أو بكلمة أخرى نقول إن احترام الخادم ضروري لاحترام المجتمع واننا لهذا السبب يجب ألا نعرض صبياننا لخادمة صغيرة يرهقونها بالواجبات التي لم تستعد لها من بيتها الريفي وترهقهم بالمخالفات فيلجأون الى العنف ثم يرسخ هذا العنف فيهم عادة وأخلاقاً .

ونحن نتعلم الأخلاق بثلاث طرق هي : اللقن أو الوعظ . وهذه أقل الطرق أثراً إذ هي لا تختلف كثيراً من تعلمنا للسباحة بقراءة كتاب يصف لنا السباحة على الظهر وعلى البطن ونحو ذلك . ثم نتعلم الأخلاق أيضاً بالقدوة أي أننا مثلاً نرى أبويننا يسلكان سلوكاً خاصاً فنقتدى بهما . وكثير من أخلاقنا العامة نأخذ به بالقدوة من الآباء والأخوة والغرباء ممن نعالمهم ومن زملاء المدرسة والمكتب أو المصنع أو المتجر . ولكن الطريقة الراجعة لفرس الأخلاق هي المراتة . ولكي نوضح التفاوت بين هذه الطرق نضرب مثلاً : فنقول إننا لكي نعلم أولادنا الشجاعة :

١ — يمكننا أن ننصح لهم ونلقنهم ونعظهم عن قيمة الشجاعة ولكنهم بعد كل هذا لن يكونوا شجعاناً إلا في الأقل النادر بل الشاذ .

٢ — يمكننا أن نكون أمامهم شجعاناً نمارس بعض المهام والأعمال في شهامة ونجدة وهم عندئذ يتأثرون بنا ويعود سلوكنا أمامهم إيجاباً لنفوسهم .

(٣) ولكن أعظم أثرا من هذين الطريقتين أن نمرنهم على الشجاعة بالألعاب الرياضية والفروسية والمباريات وحمل السلاح . إذ أننا هنا قد غرسنا أخلاق الشجاعة غرسا بالتمرين والتدريب .

وكذلك الشأن في البرأ والاستقامة أو الكياسة :

(١) فقد نقول للصبي يجب أن " سن على الفقير ، ويجب أن تساعد الضعيف وسعف الجريح . وهو يسمع ولكنه سبى .

(٢) وقد يرانا الصبي ونحن نحسن على الفقير فيتأثر بأخلاقنا ويقتدى بنا أو لا يقتدى .

(٣) ولكن الطريقة الناجعة لكي نغرس فيه البر أن نعطيه الفرش ونطلب منه أن يؤديه بيده للفقير ، أو أن نجعله يؤدي خدمة لأحد المحتاجين ويحس منها أنه قد ساعده بجهده وتعبه أو نجعله عضوا في جمعية خيرية يتم بشئونها ويؤدي مهامها .

ومن هنا ضرر الخادمة الريفية الصغيرة التي يتدرب الأولاد في البيت على شتمها وضربها . فأننا نغرس فيهم الأخلاق عن سبيلها هنا بالمرانة والممارسة ؛ في حين لو كانت هذه الخادمة كبيرة مسنة محترمة لاحترموها ومارسوا احترام المجتمع والأفراد عن سبيلها ثم يفتشون مهذين ، وليس تهذيبهم عندئذ عائدا إلى التلذذ والنصيحة . ولا إلى القدوة ، وإنما هو يعود إلى المرانة والممارسة .



ولننظر نظرة أخرى في غرس الأخلاق ، فقد سبق أن ذكرت هذه المجلة وكررت القول في أن البيت يجب ؟ ألا يكون مطما أو قنقا ، وكان الهدف لهذا القول هو الزوج .

ولكن هل خطر ببالنا أن الأولاد أحيانا ينظرون إلى البيت هذه النظرة ؟ ويقفون منه هذا الموقف ؟ ونحن المسؤولون عن موقفهم هذا ؟

لقد أوضحنا في المئين السابقين أن عاطفتي الشجاعة ونبرأنا تفرسان في لطفل أو الصبي أفضل الفرس وأثبتته بالمرانة والممارسة . ولكن هل خطر لنا أن حب الأولاد لأبويهم محتاج أيضا إلى مرانة وممارسة ؟

إن الطفل ونحن نشترى له الحلوى أو اللعبة يحبنا وينتظر منا الزيادة . ولكنه بعد سنوات حين يدخل المدرسة لا يجد منا الحلوى أو اللعبة التي كانت تثير فيه من قبل عاطفة الحب لنا . ثم هو ينشغل بدروسه وينتظر من والديه " واجبات " وكذلك من الخدم . وقد ينتهي بالأ يؤدي أى عمل للبيت بل ينتظر من الجميع خدمته . ونحن ننسى أن هذا الموقف الذي يقفه الصبي من البيت سوف يقفه أيضا من المجتمع . أى أنه ينتظر من غيره أن يخدمه ولا يكلف نفسه خدمتهم ، ولذلك تنشأ في نفسه أمانية سيئة ربما تكون سببا لخيبته في المستقبل .

وعاطفة الحب تنشأ عندما نخدم الناس أو يخدمونا . لأننا نحس حين نخدم أحدا أننا نتفضل عليه ونجهد ون تعب من أجله . وهذا بمثابة الجهد الذى ننقذه على صنع أداة يبعث فينا الحب لها . فإذا خدم الأولاد فى البيت أحدها من هذه الخدمة حبا للبيت وتعلقوا به وشعروا بكرامتهم لإزاءه . وهو عندئذ لا يكون فندقا أو مطعما . فالحب يحتاج إلى مراعاة . ومراسته هى العمل والخدمة . فمر مصلحة الأولاد أن يشتركوا فى بعض الواجبات — مهما تكن صغيرة تأفهمه — فى البيت حتى تنبعث فيهم عاصفة الحب مقرونة فى نفوسهم على الدوام بالخدمة والإنجاز .

ومن المشاهد أن التعلق بالأبوين المسنين كبير فى الأبناء أى أكبر من التعلق بالأبوين حين يكونان دون الخمسين مثلا . ولا تكاد نعرف سببا لذلك إلا أن عجز الشيخوخة قد بعث الأبناء على العناية بآبائهم وخدمتهم . فكان من أثر هذه العناية وهذه الخدمة أن نمت عاطفة الحب عندهم .

وخلاصة القول إننا لئلى نغرس الأخلاق الحسنة فى صبياننا يجب علينا :

(١) أن نكفهم عن ممارسة السباب أو الضرب للخدام أو لا نستخدم سوى خادمة أو خادم محترم لا يجرؤ الأطفال على سبه أو ضربه .

(٢) أن نعودهم الخدمة فى البيت حتى يزول عنهم الأنانية والشعور بأنهم يجب أن يكونوا مخدومين لا خادمين .

(٣) أن نعودهم سائر الأخلاق بالمرانة أو الممارسة . فالاستقامة فى المعاملة والشجاعة والبر والحب يجب كلها أن تستند إلى ألوان من النشاط الجسمى .

(٤) أن نذكر على الدوام أن الأسلوب الذى تعلمه الطفل فى البيت هو الأسلوب الذى سيعامل به المجتمع عند ما يكبر .

سلامه موسى

قيمة المشورة الفنية

في حياتنا العامة

يسير العالم نحو التخصص . لأن التوسع في المعارف يجعلها عبئا كبيرا ما لم يتعلمه أفراد كثيرون يتوزعون تخصصاتها . وهذا واضح في الخبرة مثلا، فإن خبير الخط لا يمكنه أن يكون خبير الحساب ، وكذلك الخال في الفنون والعلوم فإن مهندس الري لا ينتفع به في خدمة المباني . وقد كان الطبيب في وقت قريب عاما يعالج جميع الأمراض . ولكن الاختصاص قد أخذ مكان التعميم . ومن نعرف الآن أطباء القلب والعين والأمعاء . بل يعرف أطباء يختصون بمرض معين لا ينظرون في سواه مثل الجذام أو المرطبان أو السل .

وهذا الاختصاص يمتد مع الرق العام . فقد كان المتجر قبل نحو مائة سنة دكانا صغيرا يقوم فيه فرد أو فردان بجميع حاجاته وحاجات الزبائن . فكان البائع هو المحاسب وهو الذي ينظم البضائع للعرض وهو الذي يجلبها من بائع الجملة . أما الآن فإن كل عمل من هذه الأعمال قد اختص به فرد أو أفراد بحيث لا يجيز أحد منهم لنفسه أن يأخذ عمل غيره . فإن عرض البضائع في الفترينات قد صار عملا خاصا بل اختصاصيا . بل إن واجهة المتجر قد صار لها مهندسون يدرسون طراز الزينة والألوان . كما صار الاعلان من الأعمال الاختصاصية التي لا يعرف صاحب المتجر نفسه على أن يتولاها، لأنها تحتاج الى خبرة كبيرة عن نفسية القارئ واتجاه الميول الاجتماعية والمعنى بل المعنى من الكلمة أو العبارة . والتاجر الذي يهمل هذه الاختصاصات المختلفة يتخلف عن قرانه وقد تنتهي حاله بالبوار . لأن المزاومة العظيمة التي تصل الى حد المباراة تجعل للدقة قيمة كبيرة قد يقرر بها الظفر أو الهزيمة في معترك التجارة .

ولكن اذا كان هذا شأن التاجر في عانيته بالخبير المختص واستخدامه له فإن هذا يجب أن يكون شأننا أيضا في أحوالنا المختلفة . فإن في المحاكم مئات بل آلاف القضاة التي نشأت من تعاقدات كتبها أفراد غير مختصين وطووا أنها حسمت لهم نزاعا أو قررت لهم وفاقا فإذا بها — نقلة خبرتهم بكتابة العقود — قد افتتحت لهم عهدا من النزاع يطول أشهر وسنوات . وذلك لأن كلمة صغيرة قد غمض معناها أو عبارة قد حشرت وتقصت ما سبقه أو معزى يدق ويغني على المتعاقدين قد انطوى عليه أسلوب العقد — كل هذا وغيره يجعل القاضي يشك في نية أحد المريقين ويحكم بغير ما قصد اليه الفريق الآخر . ولو أن هؤلاء عمدا

الى محام يكتب لهم العقد لقاء بضعة جنيهات لا تقتصدوا بعد ذلك في الوقت والعناء والمال، ولما جرو أحد منهم على طرق أبواب المحاكم لكي يحصل على تأويل يتفق وأغراضه ويؤدي به خصمه .

وقيمة الخبرة والفن لا تقتصر على فائدة المحامي . فان الثرى الذى يشرع فى بناء منزله ويستغنى عن خبرة المهندس انما يعرض ماله لخسار والبوار . فله يسئ فى اختبار المواد كما يسئ فى تنظيم الغرف . فلا ينتهى من البناء حتى يحتاج الى التغير أو التبديل ها وهناك، ويتمحل من جراء ذلك تكاليف مالية ثقيلة ما كان أغناه عنها لو أنه استشار مهندسا واتبع نصيحته وقبل خبرته . ذلك أن المهندس يدرس البيئة وهو يعرف الحلى الذى سيقام عليه المنزل : هل هو تجارى يمكن أن يحتاج الى دكاكين فى المستقبل حتى يبنى لها مكانها، وهل هو من الأحياء التى يسكنها المتوسطون أو للفقراء أو الأغنياء فينظم المساكن "الشقق" وفق الحال التى يطلبها السكان القادمون . ثم يقارن بين أثمان المواد ويختار أرخصها وأمنها . ومهما أدينا لهذا المهندس من مكافأة فإننا سنكسب عشرات أمثالها من فضل خبرته وثمرة نصيحته . وكم من منزل فى القاهرة ندخله قصد السكنى فترى الرحابة والمتانة ووفرة الغرف مع قلة التنظيم فنحس كأننا لسنا فى منزل متمدن بل فى دوار ريفى . وذلك لأن رب البيت قبل نحو عشرين أو ثلاثين سنة قد استقل بذهنه ووضع التصميم دون أن يستشير مهندسا فنيا . وكذلك الشأن فى الأمراض ، فان الطب فن وعلم معا . وهو قد تفرع وأصبحت تفاصيله اختصاصات مستقلة . وهذه الاختصاصات ليست للمخدقة أو النطع ، وانما هى للتوسع العظيم الذى طرأ على المعارف الطبية بحيث لا يمكن لطبيب أن يعالج كل مريض . فطبيب القلب غير طبيب الأعصاب ، وطبيب الأعصاب غير طبيب الجلد . بل إن طبيب النفس غير طبيب الجسم . ومن النطع بل من البلاهة العظيمة مع كل هذه الاختصاصات أن يعمد أحدها الى "وصفة بلدية" لمعالجة أحد الأمراض . وفى أحيائنا الوطنية ما زلنا نرى تذكرة داود الأنطاكي تباع ويقبل على قراءتها العامة ويعملون بها ينشدون منها الشفاء كأنها خلاصة الفن والعلم فى الطب . وهذا ضرر عظيم بل ضرر فادح ، لأن هؤلاء المرضى يتخذون من الدواء ما لا قيمة له فقط ، بل لأنهم يشغلون أنفسهم بهذا الدواء ويطمئنون إليه اطمئنانا كاذبا يمنهم من طلب المشورة الفنية من الطبيب العصري المختص . وكثيرا ما يعتمد أحدها الى زملائه أو رفاقه فيسمع الوصفات البلدية لهذا المرض أو ذاك مع أن الطبيب نفسه لا يجرؤ على الجزم بصحة الدواء الذى وصل اليه . ولكن هذا الذى لا يجرؤ ضيه الطبيب نجد عشرات من غير الأطباء — غير المختصين — يتحدثون عنه بلهجة الجزم . . . ولو وقف الضرر عند حد ألفولهان . ولكن المريض الذى يتلهف على الدواء يترك الدواء وهو يستفحل فيه بعيدا عن مشورة الأطباء لاصماده على مثل هذه الوصفات العقيمة .

إننا نعيش في زمن التخصص ، فيجب أن ننتفع بالمختصين . أى يجب أن نعتمد على المحامى والطبيب والمهندس والخير . وما نؤديه لهم من أجر على خبرتهم وفهم لا يبلغ عشر ما سوف ننتفع به منهم . وهناك من المتمدنين في المدن الأوروبية من يعتمد على خبراء حتى في غرس البستان المنحوق بالبيت . بل حتى في تأميت المزل والطريقة التي توضع بها قطع الأثاث . ولم نبلغ بعد هذا التأنيق ، ولكن حسبنا الضرورات قبل انكاليات . فلأننا نفنى أنفسنا وأولادنا وشركاءنا عن عناء كبير أو شقاق عظيم عند ما نترك للمحامى حق كتابة العقد في الشركة أو الوصية أو البيع أو غير ذلك مما تتحمل تفاصيله تأويلات يعنى عنها المتعاقدون ولكن القاضى يراها واضحة بارزة أمامه . وكذلك الشأن في الطبيب والمهندس .

ويحمن الناس الى أنفسهم كثيرا كما يحسنون الى غيرهم أكثر لو أنهم توضعوا فلم يتحدث التاجر من علاج الأبدان . ولم يتحدث المهندس على أثمان الجواهر . فإن لكل منا عمله الذى يختص به ، فليكن حديثه عنه وليستمع الى غيره من المختصين فيما لا يعرفه . وكمن من صرة يتناول الحديث عن السرطان أو البول السكرى أفراد وتمتد بينهم المناقشة في حين قد يكون بينهم طبيب وهو مع ذلك صامت يتعجب من جرأتهم على ما يجهلون . وهذا الحديث يعد سمرا أو لفوا قليل الضرر إذا كان المتحدثون أصحاء . ولكن الضرر يفسح إذا كان بينهم مريض يستمع الى لغوهم . بل كم من مرة يفكر أحد المتيسرين في بناء منزل يعيش فيه أو يؤجره ويستغله ويؤمل أن يتركه ثروة لأولاده فيعمد الى ترسيمة بنفسه أو يستمع لآراء زوجته كأنها قد اهلبت مهندسة تعين مكان المطبخ وغرفة المائدة ونحو ذلك . فلا يكون من هذا الاستقلال والاستغناء عن المهندس الفنى غير البوار والخسار . وفي القاهرة وسائر مدن القطر مباني ضخمة لا يستطيع الانسان أن يقدر قيمتها الا بمقدار ما فيها من أحجار وطوب لأن مكانها وطريقة بنائها وتنظيم غرفها ، كل هذه الأشياء بعيدة عن الذوق والخدمة .

فَسَاطِطُ الْمَرْأَةِ

فِي أَعْمَالِ الْخِدْمَةِ الاجتماعيةِ

بقلم السيدة زاهية مرزوق

كثيرا ما طالبت المرأة المصرية بحقوقها المدنية والاجتماعية والسياسية، وكثيرا ما كلفت وناضلت لاتراع هذه الحقوق من الرجل ، ولكنها نسيت أن تعد نفسها الاعداد الصحيح الذي يمكنها من نيل هذه الحقوق بدون نضال أو كفاح . حقيقة أننا كمصريات لنا حقوق يجب أن ننالها ولكن في الوقت نفسه علينا واجبات يجب أن نؤديها ، وفي رأي أنه لا يمكننا رفع صوتنا للمطالبة بهذه الحقوق قبل أن نقوم بتأدية هذه الواجبات . وواجب المرأة بسيط في ظاهره خطير في باطنه . بسيط لأنه يشغل حيزا صغيرا من الحياة ، وخطير لأن طيه يتوقف كيان الأمة ومستقبلها . على المرأة أولا أن تمتد الأمة بأبناء صالحين قادرين على الجهاد في الحياة ، والتغلب على الشدائد والكفاح في سبيل إسعاد الأمة وإنهاضها ، وهذه مسؤولية استهتر بها مع الأسف بعضنا وأهملها البعض الآخر ، فكانت النتيجة أن أخرجنا شبابا عاطلا يعيش عالة على الأمة والمجتمع .

على الأم أن تعرف كيف تدير مملكتها الصغيرة بكل حكمة وسداد ، طيبا أن تضع لها القوانين العادلة وتفرض العادات الصالحة في أفراد تلك الأمة الصغيرة التي يتكوّن من مثيلاتها مجموع الأمة الكبرى .

ولا تظنن إحداكن — سيداتي وآنسائي — أن الخدمة الاجتماعية معناها ترك المرأة لمنزلها وأولادها ونحروجها إلى الميادين الاجتماعية والعمل في الجمعيات الخيرية المختلفة ، لا ، وإنما الخدمة الاجتماعية الحقيقية هي ما تقوم به المرأة في محيطها الضيق . وإني أعتقد أن قيام المرأة بواجبها الأول على وجه النكال ، هو في حد ذاته أهم خدمة اجتماعية يمكنها أن تؤديها لمجموع الأمة . فإن قمت يا سيدتي بهذا الواجب في بيتك بين الخدم وبين أولادك وزوجك وأقاربك وجيرانك ومعارفك ، لأمكنك أن تحل مشاكل كثيرة لو تراكت لأصبحت مجموعة من المشاكل الاجتماعية المعقدة .

وكثير من الناس من يتوهم أن الخدمة الاجتماعية تنحصر في إعطاء المال للسائل أو الطعام للفقير ، والحقيقة أن الخدمة الاجتماعية عمل فني دقيق يتطلب الجهد أكثر مما يتطلب المال والعلم ، أكثر مما يتطلب العطف والحنان . فكل سائل يجب ألا يعطى ما يسأل بدون بحث يحدّد نوع المساعدة التي يحتاج إليها ومقدار أثرها في تقويم حياته . والا فإفادة القرض الذي يزول أثره بمجرد صرفه ، ويترك صاحبه في احتياج إلى غيره ؟ وقد يدهش البعض

إذا علم أن الإحسان في بعض الأحيان قد يكون ذا أثر سيء في المحسن إليه ، وذلك كما حدث في حكاية "رجل الغنى الذي اعتاد الإحسان إلى أحد المتسولين فترة طويلة من الزمن ، مما جعل هذا المتسول يركن في عيشته إلى هذا الرزق المستديم ، فلما طرأ على المحسن ما حال دون استمرار الإحسان - توجه إليه المتسول في غضب شديد وتهديد قائلاً له : انك عودى الإحسان المتواصل فعودتى الكسل والانتكال على الغير ، فلولا ما غمرتني به من عطف في بادئ الأمر لاضطرت لإيجاد عمل أقنات منه ، وقد أفست على حياتي وأعجزتني عن كل شيء إلا السؤال ، فواجب عليك أن تتحمل نتيجة عملي وتكفل بالصراف على أن أموت - واضطر الرجل تحت ضغط المتسول وتهديده ان يتكفل به ما بقى في حياته .

وإذا قم كل منا بعمله الخيري على انفراد بدون النظر لمجهود الآخرين وبدون مراعاة للاحية البر التي يميل إليها أو التي تملئها عليه الظروف في دائرته ، لما أمكن تنظيم تلك الأعمال ولا إظهار أثرها في المجتمع . فتوحيد الجهود وتنظيم الأعمال البر ووضعها على أساس فني صحيح ، أنشئت الجمعيات الخيرية وقامت بمساعدتها الاجتماعية في النواحي المختلفة بحيث اختصت كل جمعية بالاحية التي يميل إليها مؤسسوها .

والخدمات التي يمكن أن يساهم كل منا في تأديتها للجمع كثيرة ومتشعبة . ويجب قبل البدء في المساهمة فيها بطريق مباشر أو غير مباشر فهم أغراضها والقواعد التي تقوم عليها . فهناك الخدمة الاجتماعية للعائلات الفقيرة ، وبمحت حالة كل أسرة على حدة ومعرفة نوع احتياجها ومقداره ، وهل تكفي المساعدة المادية المؤقتة أم يجب البحث عن عمل لرب الأسرة أو للأفراد القادرين منها ، كما يجب أن تمنح الأطفال عناية خاصة فتبحث حالتهم التعليمية وهل حرموا من التعليم نتيجة لفقر الأسرة فتبحث في علاج هذه الأمور ، كما يوجه كل شخص في الأسرة إلى الوجهة التي تلائمهم .

وهناك الخدمة الاجتماعية الطبية في المستشفيات وخارجها . وهذا النوع من الخدمة الاجتماعية لا يقصد منه التمريض فقط بل العمل على ربط العلاج الطبي بالمشاكل الاجتماعية وحلها ليسهل على المريض إتمام علاجه وتقدم حالته حتى لا يعاوده المرض . وهي تشمل الترفيه عن الأطفال المرضى والشيوخ المسنين بجميع أنواع التسلية لتخفيف آلام المرض والشيوخ عليم . وهذه الخدمة الطبية تختلف طبعا باختلاف نوع المرض وسن المريض فالخدمة الاجتماعية مع مرضى السل تختلف عن الخدمة الاجتماعية مع مرضى الزمد وعن الخدمة الاجتماعية مع مرضى الأمراض السرية وهكذا .

وهناك الخدمة الاجتماعية للأطفال ، ففي الملاهي مثلا ، يمكن المساعدة في تسلية الأطفال اللاجئين وتمضية أوقات فراغهم ، وكذلك يمكن مساعدة الملجأ في إيجاد طريق للتخرجين منه وتبليغ حالاتهم بعد التخرج ، وفي مراعاة رعاية الطفل ودور الحضانه يمكن القيام بخدمات لالأطفال لا تحصى .

وهناك الخدمة الاجتماعية العمالية وخصوصا في المصانع التي تعمل فيها النساء، فيمكن العمل على ضمان عدم اهدق العاملات بكثرة ساعات العمل مع قلة الأجور، ويمكن مساعدة العاملات المتعبات بتوفير طعام صالح ورخيص لهن . كذلك يمكن العمل على إيجاد دار لإيواء أطفال العاملات أثناء تغييبهن في عملهن بدلا من تركهن في الشوارع يصابون بالأمراض ويختلطون بالأمشجار ، ويمكن أيضا المساعدة في عمل رحلات رخيصة لتمضية أوقات العاملات في الإجارات وغيرها .

وهناك الخدمة الاجتماعية بين الفتيات في الأحياء الفقيرة بإنشاء محلات لهن يتعلمن فيها رقى الاخلاق وتهذيب الذوق وخير الطرق لتمضية أوقات الفراغ ، ويمكن كذلك الاتصال بمنزلهن لبحث البيئة التي يعشن فيها ومساعدتهن بالارشاد الى وسائل ترقيتها . ويمكن أيضا إيجاد مكان لإيواء الفتيات المشتغلات البعيدات عن أهلن حتى يكون ذلك ضمانا لصيانة أخلاقهن وإبعادا لهن عن الفساد .

وهناك الخدمة الاجتماعية وقت الحروب ، ولا يقصد بذلك العمل في المستشفيات ومراكز الإسعاف فقط ، بل الجزء الأكبر منها يختص بالخدمة الاجتماعية بين الجنود في الميدان ، وذلك الترفيه عنهم بإرسال بعض الكاينات اليهم كالكتب والمجلات والسجائر وغير ذلك مما يخفف عنهم بعض ما يقاسونه من التعب والوحشة . وهناك ناحية مهمة جدا وهى موااساة عائلات الجنود المصابين أو المتوفين وتخفيف وقع مصابهم عليهم بتقديم المساعدة التي يحتاجون اليها . أما المتاعب الاقتصادية التي تنشأ عن الحروب كارتفاع أسعار المعيشة والتعطل عن العمل وغير ذلك فيمكن العمل على تخفيف نتائجها .

وهناك الخدمة الاجتماعية في الجمعيات الخيرية المختلفة ، فالعمل في هذه الجمعيات يتطلب مجهودا وخبرة فنية بنواحى الخدمات الاجتماعية التي بنيت عليها أغراض الجمعية ، فضلا عن الأعمال الادارية وتنظيم الاجتماعات وإقامة الحفلات لجمع المال والاشراف على المصروفات وغير ذلك . يتضح لكن مما تقدم أن الخدمات الاجتماعية ليست من السهولة بحيث يتصورها كثير من الناس ، وإنما هى فن دقيق محتاج الى دراسة وإلى تدريب عملى طويل . ولذلك أنشأت مدرسة الخدمة الاجتماعية بالقاهرة دراسة نهائية للسيدات والآنسات المتطوعات اللاتي يرغبن في أداء هذا الواجب نحو أمتن . وسوف يكون المجال متسعا لتبادل الآراء والأفكار والنظريات العلمية عن الميادين المختلفة للخدمة الاجتماعية كما سيطبق العلم على العمل بزيارة المنشئات والجمعيات الخيرية المشتغلة بالخدمة الاجتماعية .

والأمل شديد في أن يزداد أقبال سيدات مصر وفتياتها على هذا الميدان البكر في هذه البلاد حتى تصبح لديهن المقدرة العملية والفنية عن طريق دراستهن على تحقيق الغرض المنشود على الوجه الأكمل . والله يوفقنا جميعا إلى ما فيه الخير والسلام .

زاهية مرزوق

جولات ومشاهدات

في مدينة الأزهر

بقلم الأستاذ م . محمد عبد الكريم

الدراسة والحسين . . :

وأهوى حوذي السوارس على بغليه بالسوط ، وسارت العربية تترنخ بما حملت من ذوات
البراقع السود وخليط من لابسى الطواقى واللاسات والمعممين والمطربشين تجتاز بنا شارعى
المغربلين والفورية فى طريقها الى حى الحسين .

وجعل صديق يشرح معالم ما حولنا من الأبنية الأثرية :

هذه بوابة المتولى أو باب زويله الذى شق عليه طومان باى نائب السلطان الفورى حين
غدر به السلطان سليم بعد أن أمنه على حياته ووقف منه على ما يهم لإدارة شؤون البلاد ،
وذلك مسجد السلطان الفورى الذى قضى وهو يدافع عن مصر ومات تحت أقدام الخيل
فى مرج دابق .

وسكت صاحبي بغاة . قلت ما أسكتك ؟ قال وهو يهز رأسه : يالها من أيام ... أتذكر
حين كنا نجوب هذا الحى كل يوم فى طريقنا الى مدرستنا الابتدائية خليل أغا ... تأمل : هذا
محل الراعى ... وذلك محل السرجانى الصائغ ، وأمامك الصبيان بائع المقصبات ... كل منها
لارال بمكانه كما كان منذ عشرين عاما ولكن أين عبد الكريم حسن الحلوانى وأين الحمصانى
يحبته الزاهية وعمامته المتبرجة ؟ وأين الحاج كاظم الذى كان يدير مقصف مدرستنا ، بل
أين المدرسة ذاتها ؟ لقد هدمت فيما هدم لتوسيع الأزهر ... قلت : هى الدنيا لا تلبث
على حال ، جيل يفتدو وجيل يروح ، وديارتبنى وأخرى تزول ... وسبحان من له الدوام .

ووقفت أمام بناء الأزهر الشاىخ أتأمل جديده وقديمه . ومال على صاحبي يسألنى هل
سأعرض للأزهر فى مقال ؟ قلت نعم . قال : هذا باب يخشى الكثيرون طرقة . قلت : أطمئن
يا أحمى فنحن نكتب ما نشاءد ، فإن أشرنا إلى تقص فلا غاية لنا الا تلافيه ، وإن من نعم
الله على البلاد أن ولى على الأزهر خير من ينهض بأمره ويعنى بتحقيق كل ما فيه إصلاحه .

وصعدت الى ادارة الأزهر قاصدا اتشرف بمقابلة فضيلة الشيخ الأكبر فلم يسعدنى لفظ بلقائه اذ كان فى عمل خارج الدار . فاكتفيت بمقابلة الأستاذ خالد بك حسين كبير المفتشين الذى قدم الى رسالته فى " التجديد فى الأزهر " وهى رسالة قيمة أنارت لى سبيل البحث الى حد بعيد .

فى أروقة الأزهر :

كان درس اليوم قد انتهى ، وأبى بعض الطلبة الشوام فى نخوة عربية الا أن أحضهم الى الرواق . ويقع رواق الشوام فى الناحية القبيلة للجامع ، ويقابله شارع الأزهر الذى استبدل باسمه اسم شارع الشيخ محمد عبده ، وشارع البيطار الذى يحمل اليوم اسم المقرئى وهذا التبديل حسنة نذكرها لمصلحة التنظيم ونرجو أن تدير فى كاهه الأحياء على هذا النهج الصالح .

ويضم رواق الشوام خمسة وستين طالبا فى ثلاث عشرة حجرة ، جلست الى بعضهم بين أسرهم المتواضعة وأمتعتهم البسيطة ، ومضوا يصفون لى حياتهم ومدى المساعدة التى ينالونها من الأزهر . فعلمت أن الطالب منهم يتقاضى ثلاثين قرشا كل شهر يضاف اليها ما يرسله له ذووه ، كل حسب حاله . وقد شكوا الى إغفال نظافة الرواق وتساقط الماء أحيانا على أمتعتهم . والحق أنى لمست صحة هذه الشكوى . فالحجرات والطرق تملأ حائتها على أن فرشاة الطلاب لم تمسها منذ أمد بعيد ، ودورة المياه لا تكاد ترى ما فيها لفرط ظلمتها . وقد سألت الطلبة هل يأتىكم زائرون غرباء ؟ قالوا : كثير ، وقد زارنا أخيرا أستاذ بجامعة أكسفورد فما أن بلغ سرداب الدورة حتى وقف عن السير وعاد أدراجة .

وانتقلت الى رواق الاتراك والمغاربة فوجدتهما لا يختلفان فى شىء عن رواق الشوام . وطبقة الأزهر الغرباء يعتمدون على أنفسهم فى كل شىء إذ يتولون إعداد طعامهم وتنظيف حجراتهم بأيديهم ، وهم فى صلاتهم بعضهم ببعض مثل حى فى التعاون والتراحم .

فى المباني الجديدة :

طيب الله برحمته ثرى مليكنا الراحل فؤاد الأول وحفظ للبلاد شبله العظيم . هذه مباني الأزهر الجديدة أثر من آثاره ، وهى نواة مدينة الأزهر : عمارات ثلاث شيدت على طراز عربى جميل ، تضم جوانبها معهد القاهرة بقسميه الابتدائى والثانوى ، وتستخدم الطبقة الأرضية منها مساكن لفريق كبير من الطلاب الغرباء .

قصدت إلى الغرباء فى مساكنهم وبدأت بأبناء اليمن وعدن . دخلت عليهم وكانوا يتناولون الشاى فأبوا إلا أن أشاركهم فى شرايبهم وسألت كبيرهم : هل أتم واجدون راحتكم فى هذه الديار ؟ فقال : نشكر إخواننا المصريين على كل حال . وأدرت من عبارة الرجل

أن بنفسه ما يخفيه . قلت ما يفتلك يا صاح ؟ قال . نحتاج إلى عناية ، ينقصنا فزاش لخدمة حجرتنا ، والإدارة في هذه الغرفة كما تراها مصباح كهربائي واحد اشتراه أحد الطلبة من ماله الخاص بعد أن طالبنا كثيرا بالمصباح ، ونحن في المساء نتراحم حول النور وكثيرا ما تؤدي هذه الحال إلى الخلاف . هذه شكوى اليمين أثبتنا ويقيني أن إجابة الطلبة إلى مطلبهم أمر هين على إدارة الأزهر التي لانشك في عطفها على الغرباء خاصة .

وانتقلت إلى مساكن الصيدين فقابلني أحدهم فأنبأته بغايته ، فبرز رأسه دون أن ينطق بشيء ، ومضى إلى خزانة كتبه وجاءني بكأين ، أحدهما عن الحرب اليابانية الصينية والآخر رسالة من بمئة الإخاء الصينية إلى العالم الإسلامي . ثم عاد إلى كتاب أمامه فأخذ يقلب في صفحاته حتى وصل إلى صورة وضعها أمامي وقال بكلمات بطيئة متقطعة وهو مشير إلى الصورة بأصبعه "الإسلام يعتر هذا" وكانت الصورة صورة مليكا الفاروق أعزه الله الذي يتولى الانفاق من جيب جلالة الخاص على بعثات البلاد النائية ومنها البعثة الصينية التي تحمل اسمه الكريم تيمنا وتقديرا .

وطرقت بابا مجاورا لمجرة صاحبنا الصيني فإذا بي بين فريق من الطلبة التركستانيين . شباب يتقد ذكاء ورغبة في العلم . حدثني أحدهم في طلاقة عن التركستان بالأمس وما آلت إليه اليوم تحت نظام الحكم الشيوعي . قلت إذا كانت بلادكم في هذه الأيام لا تدين بدين فأين تطبقون أصول الدين الذي تتعلمونه ؟ قال : في المهجر ، في الهند وفي غير الهند حتى يقضى الله فترول الشيوعية من بلادنا .

وأبناء التركستان موفدون إلى مصر تحت رعاية الجمعية التركستانية للهاجرين بالهند ، وقد تكفلت بنفقات انتقلهم إلى هذه الديار ، وهم يعيشون مما يجريه عليهم الأزهر من الأرزاق : جنيه واحد لكل طالب ، ولا ندرى كيف يكفى هذا الجنيه لسد مختلف الحاجات .

عصبة الأمم الإسلامية :

يضم الأزهر وملحقاته بالقاهرة من الطلبة الغرباء ما يزيد على الستائة طالب ينتمون إلى ست وثلاثين دولة . وأكثر الغرباء عددا المغاربة من أبناء طرابلس وتونس ومراكش والجزائر ، ويلهم الشوام فالسودانيون فالأتراك فالجاويون . وبين الطلبة عدد غير قليل من الأحباش واليمنيين والصينيين والنيجيريين والأكراد والتركستانيين والعراقيين والمجازيين . وهناك طلبة من الهند والأفغان ودارفور ومن جنوب أفريقيا ومن اليابان .

وقفت في طرقات مساكن الغرباء وكأنما وقفت بعرفات... شباب وشيوخ اختلفت أشكالهم وتباينت لهجاتهم ؛ تركوا بلادهم النائية وقصدوا إلى بحر الأزهر الزاهر يرتشفون من منهله ويفترقون من فيضه .

هذا الجيش من الطلاب سوف يعود أفراده كل إلى وطنه حاملا ذكرياته عنا ناظلا ما شاهده في ربوعنا . وهؤلاء جميعهم السنة دعاية ستكون لنا أو علينا فإ أولانا بإكرامهم وما أحرانا بمساعدتهم والترفيه عنهم .

أقول هذه الكلمة لا لإدارة الأزهر وحدها ، فقد يقال إنها تؤدي ما عليها في حدود مالياتها ، وإن كنا نظن أن إزالة أسباب شكوى الغرباء فيما يتعلق بالخدمة والانارة لن يرقح الميزانية في شيء ، وإنما أتوجه بكلمتي أيضا إلى أبناء الأمة وخاصة شبابها . أسأل الشباب أن يزوروا الطلبة الغرباء في مساكنهم ، وأن يتعرفوا إليهم ويعملوا ما استطاعوا لمعونتهم . وإن أمني هذه لتكبر كلما ذكرت أن بين الغرباء اليوم من انقطع مورده بسبب حالة الحرب القائمة فأصبح في عسر شديد . وقد شاهدت بعيني رأسى آثار البؤس والفاقة بادية على الكثيرين . وقد تحدثت الصحف طويلا عن حالهم وقام بعض ذوي النخوة من علماء الأزهر بتأليف لجنة لجمع التبرعات لهم ، ولكن ما جمع لازال يسيرا جدا فواجبنا جميعا أن نمد إلى هؤلاء يد المعونة ، فليس أحق بالعطف من طالب علم يموزه القنوت وهو غريب .

التجديد في الأزهر :

إن زائر الأزهر اليوم ليأخذ العجب لما وصل إليه الأزهر من تقدم وإصلاح سواء في قوانينه وأنظمته أو في بنائه وأمكنته .

تقدم الأزهر بفضل رعاية الأسرة العلوية الكريمة وعناية رءوسها من ولاية وملوك — حتى سنة ١٨٧٢ صدر أول قانون ينظم نيل الشهادة العالمية ، وأتبع هذا القانون بآخرين أحدهما عام ١٨٩٧ والثاني عام ١٩١١ ، وقد تناول الأخير الدراسة وجعلها مراحل ذات نظم خاصة وعلوم معينة وزاد في مواد الدراسة وحدد اختصاص الشيخ الأكبر ، وأنشأ هيئة تشرف على الأزهر وهي مجلسه الأعلى .

فلما ولي المغفور له الملك فؤاد الأول — وكان أفاقه الناس برسالة الأزهر وما لهذه الجامعة من بالغ الأثر في المحيط الاسلامي — أمر رحمه الله بمراجعة أنظمة ذلك المعهد الكبير وقوانينه وكان ما أراد ، فوضع للإصلاح قانونان صدر أحدهما عام ١٩٣٠ وصدر الآخر عام ١٩٣٦ ، وقد قسم التعليم بموجبهما إلى مراحل ابتدائية وثانوية وعالية ، وأدخلت العلوم الحديثة في شكل أوسع ، ونظمت كليات الشريعة وأصول الدين واللغة العربية ، وأعدت أقسام لإجازات القضاء الشرعي والدعوة والإرشاد والتدريس وأخرى للتخصص .

وقد كان من مآثره رحمه الله أن أمر بإصدار مجلة تنطق باسم الأزهر ، وهامى اليوم تحمل اسم "مجلة الأزهر" وقد بلغت بفضل رعاية فضيلة الشيخ الأكبر وعناية رئيس تحريرها الفاضل الأستاذ محمد فريد وجدى شأوا كبيرا في مصر وفي العالم الاسلامي كله .

وقد اقترن التجديد في الأنظمة بتجديد آخري الأنية . فعمل جلالة المليك الراحل على إنشاء مدينة الأزهر . وترسم مليكا الفاروق حفظه الله خطوات والده الموفقة ، فرعى بنياته مشروعات الجديد ، وزعت منكية الأرض المحيطة بالجامع لإنشاء قاعة للاحتفالات ومكتبة ومستشفى للطلاب . ولم تقف جهود الفاروق عند توجيه الحكومة إلى هذا النهج الصالح بل شاء أن يسذل من جيبه الخاص في سبيل الإصلاح ما يذكر له دواما بالشكر والاعجاب إذ فرش الجامع بسجاد فاخر ، وأمد البعوث الوافدة من أقطار نائية بماله وأسبغ عليها الكثير من فيض رعايته .

آراء لخير الأزهر :

على أننا مع تقديرنا لبذل في الأزهر من عناية وبخاصة في العهد الأخير ، نرى أن هناك نواحي كثيرة لا زالت تنقص إلى علاج ، نورد هنا مخلصين ومقسطين ، فالأزهر باعتباره جامعة عالمية ها مكانتها السامية ينقصه :

أولا — الروح الجامعية . وخلق هذه الروح منوط بإدارة الأزهر اذ عليها أن تمهد سبيل الاتصال بين الطلبة والمدرسين بإعداد محاضرات يلقيها أساتذة الأزهر وبعض ذوى الرأي من مصريين وغير مصريين في كل ما يهم الطالب الجامعي من أسباب الثقافة العامة ، وأن تنظم الحفلات لتوزيع الإجازات العلمية على الطلاب ولاستقبال ذوى الشخصيات الكيرة من المسلمين الأجانب والمستشرقين الذين يقدون إلى هذه البلاد . وإلى أن تبنى قاعة الاحتفالات يمكن اتخاذ مقر جمعية اسلامية كالشبان المسلمين مثلا مركزا لنشاط الأزهر الثقافي . كذلك ينقص الأزهر بكامعة اتحاد يشرف على ناد يختلف اليه الطلبة ويكون واسطة للتعارف بينهم وبخاصة لأن منهم أغرابا يحتاجون إلى توثيق الصلات بإخوانهم المصريين . وليظم هذا الاتحاد رحلاتهم إلى داخل البلاد وإلى الخارج وبخاصة إلى الاقطار الشرقية .

ثانيا — أن يعنى بتنمية الروح الرياضية في المعاهد والكليات فتمتد أدوات الرياضة ويدرب الطلبة وتنظم الفرق في مختلف فنون الرياضة ، ليكون لطلبة الأزهر نصيب في المباريات لدورية وخاصة أنهم أثبتوا في حركة التدريب العسكري نشاطا يذكر وكفاءة تشكر .

ثالثا — لكي تمتشى الجامعة الأزهرية في نشاطها الثقافي والرياضي مع مقتضيات العصر وتقتبس من كل جديد ما يفيد ، نرى أن توكل نواحي النشاط المدرسي فيها إلى الأساتذة الذين أوفدوا في بعثات إلى أوربا ، فهؤلاء أصنع لرعاية التجديد والأخذ بأسباب الإصلاح ، وأن يكون هناك اتصال دائم بالأخصائيين برجال المعارف وجامعة فزاد الأول .

رابعا — أن تضاعف العناية بخدمة الجامع والأروقة سواء بزيادة الخدم أو بالتشديد عليهم حتى لا تنفع عين الزوار ، وهم كثيرون وجلهم من الأجانب ، إلا على كل مرتب

ونظيف، وأن يعنى بإزالة الأروقة ومساكن الطلبة، وأن تطل جدرانها في أوقات متقاربة وأن يكلف الخدم تنظيفها لا أن يترك الأمر للطلبة ، فنظامه المكان أمام الزائر الأجنبي تريد عزتنا وترفع من كرامتنا .

وأما الأزهر كمركز للدعوة الإسلامية في العالم فيحتاج للنهوض برسالته الى أسباب :
الأول — زيادة الاهتمام بإيفاد البعث من علماء الأزهر الى البلاد النائية لنشر الدعوة الإسلامية وخاصة في آسيا وأواسط وجنوب أفريقيا . ففي هذه الاصقاع يلقي الاسلام إقبالا كبيرا ويكفى للتدليل على ذلك أن نشير الى ما ذكره الأستاذ شميتز (Schmitz) في كتابه "الاسلام في الهند" من أن الاقبال الذي يلقاه الاسلام في هذا العصر في أفريقيا وفي آسيا منقطع الظير حتى أنه لم يدع مجالا لدين سواه هناك .

ونحن لانعرف أن الأزهر مندوبين في أفريقيا إلا مبعوثه في مسجد جوبا بجنوب السودان، على أن هذا المبعوث الواحد قد تمكن من الحصول على نتائج باهرة في الدعوة التي يقوم بها .
الثاني — أن يستعين الأزهر أيضا في الدعوة بجهود الغرباء من طلبته عند مودتهم الى بلادهم وخاصة أبناء نيجيريا والسودان والهند والتركستان والصين وبولندا ، وأن تكون إدارة الأزهر على اتصال دائم بالطلبة بعد رجوعهم الى أوطانهم ليطنعموها على مبلغ جهودهم .

الثالث — أن يكون تدريس اللغات الأجنبية إجباريا في جميع كليات الأزهر لا اختياريا كما قضى بذلك قانون عام ١٩٣٦ الذي لا يلزم بها إلا طلبة كلية أصول الدين ، فاللغات مفتاح كل ثقافة .

الرابع — أن تصدر أعداد خاصة من مجلة الأزهر ولو مرة كل عام باللغة الانجليزية أو الفرنسية وترسل الى الجامعات الأوروبية والأمريكية لتعرف الشبهة المستنيرة هناك شيئا صحيحا عن الأزهر وعن الاسلام ، ولا نرى ما يدعو لوجود المزمرة الانجليزية التي تطبع في كل عدد إذا أصدر العدد الخاص .

قوام الإصلاح :

إن تعليم ما يقرب من الأربعة عشر ألف طالب والنهوض برسالة ثقافية ودينية من جامعة لها مكانها الأسمى في جميع الأقطار وإمامة الحركة الفكرية الإسلامية في العالم كل ذلك يتطلب المال . لذلك نرى لزما علينا إذ نعرض لإصلاح الأزهر أن نتوجه الى أولى الشأن في البلاد راجين العمل بزيادة موارد الأزهر وإمداده بالمال ليقوى على النهوض برسالته وليسير في طريق التجديد بما يرفع شأن مصر ويعلى قدرها بين أمم الأرض .

الخرافات الشعبية

انتشارها وضرورة مكافحتها

الخرافة عبث يمارسه أصحابه وهم يعلمون أو لا يعلمون أنهم يعيشون ويلهون. وفي كل منا مهما تقدمت بنا السن شيء من الطفولة أو نحن نصبو إلى أيام الطفولة فتخلق بأخلاقها . ومن هنا أيضا قيمة الخرافة العابثة : كالمح نرشه فوق رؤوس المجتمعين وقت زفاف العروس . أو كالتعويدة تتعوز بها الفرقة في الجيش وتتخذ لها حيوانا يمثلها ، أو التعويذة التي تعق على السيارة ، وغير ذلك مما لا يضرب ولا يؤدي إلا إلى سخريه الذين لا يؤمنون بتلك التعاويذ . وبعض الخرافات يتخذ لونا أذكرن لا هو بالأسود ولا هو بالأبيض كذلك الخرافة الأوروبية بشأن رقم ١٣ . فإن كثيرين يضحكون منها ويتفكهون بها ويحرصون مع ذلك على ألا يقعوا فيها . فإذا قامت ربة البيت وليمة فأنها تحرص على ألا يكون عدد الكراسي ١٣ وكذلك تفعل الفنادق حتى لا تطير أحد بأنه منحوس لأنه قد قضى ليلته في غرفة قد سميت برقم ١٣ ولنفادق عادة تتجاوز هذا الرقم فننتقل من ١٢ إلى ١٤ . ولكن معظم الأوروبيين يضحكون من هذه الخرافة ويحدون فيها موضوعا للتفكه . ومثلها خرافة إشعال القناب فإن الانجليز يصرون على إشعال ثلاثة من عيدان القناب لشؤمهم من إشعال اثنين . ومثل هذه الخرافات أخرى هي موضوع المضحك واللهو عند البعض ، وموضوع الجدل والخطورة عند آخرين . وهذا هو الشأن في قراءة الكف أو في الطوالع الفلكية . فإن كثيرين منا يتسلون بمثل هذه الخرافات في حين أن آخرين يؤمنون بصحتها ويسألون ويستقصون . وقد يقعد أحدها على ساحل البحر ويمسك بالرمل ويعين الحظوظ لمن حوله « بضرب الرمل » ويشير الفقهة هنا والسخط هناك لأنه يختار الحظوظ كما يشاء له مزاجه وتدعوه خصوماته أو صداقاته الوقتية . ونحن هنا بالطبع إزاء خرافة غير ضارة . ولكن في القاهرة والاسكندرية من يحترمون ضرب الرمل وقراءة الكف والتنجيم بل من يقرأون المستقبل حتى في فئجان القهوة ويقصد إليهم رجال وسيدات في الشباب أو في الشيخوخة يسألون في خفة وتطلع عن المصير المحتجب ويفسرون الكلمة الغامضة بما يتفق ورغبتهم . وهم يؤدون الأجر العالي لمثل هذا الهديان . ولكن الأجر على غلاته هو أقل الخسران . والخسران الأكبر هو الاعتقاد على ما يقوله هؤلاء المتكسبون بهذا التهريج . لأن المصدق لقراءة الكف أو الفئجان أو التنجيم أو الرمل يلغى عقله ويلجأ الى مشورة سخيفة يعسب لها قد كتبت له في حظه . وعندئذ يسوء تصرفه ويقع في الوبال .

وخرافاتنا الضاربة كثيرة في مصر . وهي جميعها تنسم بسمة معينة هي ترك الرأى والاعتماد على العقيدة . والإنسان حين يقع في مشكلة يشق عليه التفكير واستنباط الرأى السديد وهو لذلك يلجأ إلى العقائد المتوارثة التي تسير في أثر الثقافة الشعبية كأنها الذبول المزهة المناثرة . ولست هناك خرافة موروثة إلا وكانت في عصر سابق جزءا متماسكا في ثقافة ماضية بادت بالتطور وبقيت الخرافة منفصلة لاتجد ما يؤيدها من المنطق الاجتماعى وروح العصر .

ومن هذه الخرافات الإيمان بالعين . وطبقاتنا الفقيرة بل بعض الطبقات المتوسطة تخشى العين وتعلل المرض والوفاة والخيبة بالعين وهي تتعوز منها بأساليب مختلفة . وهذه الخرافة هي أعم الخرافات في الأمم . فقد ذكرت المؤلفة الأمريكية يرل بوك كيف أن الفلاح الصينى يجعل ابنه الطفل على صدره ويضئ الآلهة حتى لاتصيبه بالعين فيقول ”وما هو هذا الطفل . هو بنت حقيرة“ .

وعندنا من الأمهات تلك الأم التي تترك طفلها في قذارة اللباس والوجه لأنها تخشى إذا غسلته ونظفته أن يبدو وصيما فتصيبه العين . ثم بعد ذلك إذا حم هذا الطفل أو توعك أو مرض بأى ملة عمدت الأم إلى رقيته بنفسها أو بإحدى الخبيرات . وهناك يشمل الموقد ويوضع الشب على الار وقرأ التعاويذ . ويتخذ الشب شكلا يحمل الحضور على نومه شخصما معينا هو صاحب العين المؤذية . ثم يلقي الشب عند مفترق الطرق . وهناك أساليب أخرى في اقتفاء أثر العائن والاهتداء إلى شخصيته بقطع خرقة صغيرة من ملابسه مما قد يؤدي الى شجار بين العائلات .

والأم التي تعنى هذه العناية بالعين تحمل ابنها تحت ملابسه أو فوقها حلامن الأحمجة ”اللة ثم“ أو العوذ . وهي لإيمانها النابت بهذه الخرافات تهمل المرض ولا تعتمد الى الطبيب المختص لأنها تؤثر عليه الرافيات فتفدح المصيبة ثم لاتكون منها عظة واعتبار . لأن الايمان بالعين يزداد نباتا .

وفي مديرية أسوان وفي بعض السودان تعتمد الأم الى تخطيط وجه ابنها بالخز أو الكى . وهي تتبرك بهذا العمل الذى يختلف من الوسم الى الوشم . ونحن نستبشع هذا العمل وزناه تشويها يجب أن تكف عنه الأمهات . ولكن لا يزال في بلادنا أمهات يعمدن الى أطفالهن بالكى لأنهم يبولون فى الفراش . والأم الجاهلة تؤذى طفلها وهي تعتقد أنها تعالجه من هذه العادة التي تعد جزءا من طبيعة الطفولة . وحين يشب الطفل وهو لا يزال يبول فى فراشه بعد أن يكون قد تجاوز السنوات الأربع أو الخمس من عمره فان المسألة تحتاج الى تشخيص الطبيب — طبيب النفس أو طبيب الجسم — وليس الى تشويه الطفل بكبه أو لسعه بالنار . وهناك أمراض معينة تتصل بالمجارى البولية وتجعل الطفل عاجزا وقت نومه عن حبس بوله كما

أن هناك حالات نفسية تجعل الطفل يدافع عن مركزه بين إخوته بالتبول . وهذه حالات دقيقة تحتاج الى المشورة السيكولوجية الفنية .

وأعظم الميادين التي تتفشى فيها الخرافات ميدان التطبيب . وليس هذا عجيبا إذا عرفنا أن الطب يعنى في لغتنا السحر كما يعنى معالجة الأجسام . وذلك لأن الطبيب كاد في الأصل ساحرا . والوصفات العامة للأمراض هي الحذلة الباقية من الطب القديم حين كان أغلبه أو كله سحرا . فالإيمان بالعين والتعوذ منها بالتعاويذ والرق إنما هما بعض ممارسات الطب القديم التي انحدرت إلينا ، أثر الثقافة الشعبية بعد أن انفصلت من المجموعة الفكرية الجديدة . وأفظع آثار هذه الخرافات نراه في أمراض العيون حيث يؤدي الاعتماد على وصفات بلدية إلى العمى أو ما يقاربه إذا لم يدرك الطبيب المختص المريض بعلاج وإسعاف . وكثيرا ما تلقى صبيا قد علق خرزة فوق عيديه أو وضع عجيبة قذرة لإبراء اللورم من عين مزمنة تحتاج إلى الإسعاف العاجل . ولكن أهله يحملونه حتى تفوته فرصة العلاج فيكون العمى نصيب هذا المسكين . وكمن من أعمى في مصر أصابته كارثة العمى من هذه الخرافات السوداء .

وفي بعض البيئات في القاهرة يشتري العوام تذكرة داود الانطاكي ويدرسون ما فيها من " عقائد " طبية ويمارسونها في أنفسهم أو في غيرهم من المرضى فيعممون بذلك الأذى . وتذكرة الانطاكي هذه مجموعة من الثقافات القديمة الفرعونية واللاغريقية والبابلية والعربية . ويجب ألا نغزو لهذا الكتاب أية قيمة سوى القيمة التاريخية . والفصد هو أعم العلاجات عند الانطاكي إذ هو ينصح به في الزكام والطاعون سواء . والمريض الذي يسترشد بهذا الكتاب إنما يسترشد بخرافات لا حد لخطرها وضررها . وقراءة مثل هذا الكتاب بين العامة يهدد ضررا كبيرا . ونحن ننقل منه بعض ما يقوله عن الجدرى ، هذا الوباء المعروف الذي يعاقب الآباء الآن على إهمالهم تطعيم أبنائهم ضده قبل أن يتموا من أعمارهم ثلاثة أشهر . فإن هذا المرض من الأوبئة الفتكة وهو يحتاج إلى حصر صحي لمنع العدوى . ولكن ابن البيطار يقرر فيه :

" إن الجدرى من فضلات دم الحيض . ولا شك أن اللبن عن الغذاء ما فعل من الدم . فيجب أن يكون عنه أيضا " ويقول في العلاج إنه يجب " أعمال الحيلة في الرءف أو شرط الأذن ، الجبهة . وأخذ ما يرد اندم عن الغليان كالزبرة والعناب ... وقد تدعو الحاجة إلى أكل الخلو غير المسل والتمر إذا كان الزمان باردا لينتبه الدم ويدفع فاسده ... " الخ فكل هذا هراء في نظر الطب المعصرى . ولكن العامة يقرأونه ويؤمنون أنفسهم به . وكمن من مريض بالزهرن (السل) أو البول السكرى أو الروماتزم أو السرطان قد نقص عمره

وزاد بلاؤه بالاعتماد على وصفات داود الانطاكي وغيره من المؤلفين الذين تطبع مؤلفاتهم وتقرأ لا للثقافة التاريخية فحسب بل للاستشارة والاستشارة !

ولا بد أن بعض ما نجد من ممارسات العامة يعود الى قراءة هذه الكتب . مثل تحريم الاختسال على الأقرع . ووضع العقاقير العقيمة أو المضرة في العين . وعند العطارين في القاهرة مئات من المواد التي لا يكاد يعرف أسماؤها الرجل المستنير المتعلم ولكن ربات البيوت يعرفنها ويمتقدن فيها المعجزات . وظننا أن كتب الانطاكي وأمثاله هي علة الاعتقاد بهذه المواد .

والتمسح بأضرحة الأولياء من الخرافات التي لم تجد الى الآن دعاية العقلاء في الكف عنها . وهذا التمسح يعتمد اليه المرضى في أحيان كثيرة ، وقد يكون الموض وباء وافدا فتنتقل العدوى باجتماع المتمسحين حين كان يجب عزلهم ومنع الاختلاط بينهم وبين غيرهم . وأحيانا يعتمد المريض الذي يذكو قرحة أو ورمًا أو غير ذلك فيحك العضو المثوف بممود في الضريح حتى يسيل الدم أو الصديد . ثم يأتي غيره فيفعل في المكان مثل فعله . ولا تكاد توجد في العالم طريقة النجح وابدع من هذا العمل في نقل العدوى وإفشاء المرض .

وكل هذا يعد من الخرافات المؤذية التي يجب أن نرشد الجمهور وننصح له بالإقلاع عنها . ووسيلة ذلك أن يعتمد الوعاظ في المساجد الى إيضاح الحقائق للجمهور ، وأن يحثوا أفرادهم على ألا يؤمنوا بقراءة الكف أو التنجيم أو التعرف الى الحظ من القهوة أو ورق الكوتشينة أو ضرب الرمل . وأن الطب القديم الذي يتصل بالمعجز لم تعد له قيمة ، وأنه يجب على كل مريض أن يبادر الى طبيب عصري بأسرع ما يمكنه حتى لا تفوته فرصة العلاج . وكما من كوارث نزلت بالأسر لا اعتمادا على وصفات بلدية أو مستخرجة من كتب قديمة وأهملت الطب العصري الذي كان يجب أن تعتمد عليه في إبراء أمراضها . وهناك أمراض تبدأ صغيرة نافهة لا تلفت النظر أو تدعو الى الاهتمام . كالمرطان مثلا يبدأ وربما قد لا يزيد على حجم الفولة . فاذا لم يكن المريض عصري الذهن يؤمن بالطب العصري ويبادر الى الطبيب فان تأخره لاعتماده على مشورة غير الفنين من أصحاب الرقى أو الوصفات القديمة يؤدي بمرضه الى التفاقم . وحين يتفاقم المرطان يزول الرجاء في الشفاء . فلنكن لنا عبرة ولنحارب الخرافات .

التوجيه السقائي في الجامعة

للأستاذ صلاح الدين الشريف المحامي

ليس من شك في أن موضوع الثقافة في كل دولة ناهضة أو آخذة بأسباب النهوض ، لا يزال يحتل بحق مرتبة الصدارة في سياستها العامة ، وما فتئ يحظى بأكبر جانب من عنايتها ، فهو لا جرم محدود من أعضل المشا كل الاجتماعية التي تواجه ساسة الأمم وتثير الجهم من نشاط رجال التربية فيها ، لأن هؤلاء وأولئك يعدونه محورا يدور حوله كثير من مشا كل الاجتماع ومنبعا يصدر عنه شيت من التيارات الفكرية في ألوانها المتباينة ، وهذه لا تتبني وتوجه وتكيف أخطر وأجل مناحى الحياة .

إذا عرفت هذا ، وإنك لعارفه ، ما عجبت البتة إذا رأيت في كل جامعة تقام وفي كل معهد علمي يؤسس ويلحق بالجامعة أداة فعالة لصقل انثقافة ووسيلة مؤاتية لاستنباط ألوان منها تكون أقرب رحما وأوثق صلة بماضى الشعب وحاضره وأمله في مستقبله ، وما شككت في أن أول أغراض الروح الجامعي بالحياة هو رسم الاتجاهات النصابة التي تنصرف إليها حيوية الأمة واحتمار أنوافد الكافية لتنصب فيها تيارات نهضتها ، حتى لا يكون أمرها فوضى ليس له من ضابط يحكمه ولا من هدف يرنو إليه . ثم لست أيضا بأن من بدائه هذه الأغراض جميعا الكشف الدائب عن نواحي الضعف في النظر الاجتماعي والاقتصادى في لأمة وتهئية المحيط العلمى الرافق وإعداد بيئة البحث التجريى المنتج ، ليتخلق في صعيدهما نفر كريم من رواد النهوض ودعاة الاصلاح وقادة الرأى وخدام الانسانية ومعينها على التنادى بها إلى ما تهدف نحوه من رفيع الأغراض ، في دائرة الوطن القومى وعلى مد المحيط الانسانى الأكبر . وهذه الأهداف جميعها هى الشائج للوثقى التي تربط ما بين الجامعات في أنحاء العالم كله ، فتوجهها مترابطة متحدة صوب مثلها العليا في النهوض بالنوع الانسانى بصقل غرائزه وشخذ عزائمه وتوجيه ملكاته وسوق قواه إلى النفع الانسانى العام .

فاذا اتجهت سياسة الجامعات التعليمية إلى غير هذا المنتهى ، فلقد خرجت على رسالتها الأولى وهى أنها الحرم الأهل الذى أقيم ليكون مرصدا يراقب الحياة التعليمية جميعها ، ونسيت أنها الناقد البصير والمهادى الأمين والمشرف الخبير الذى أودعته لأمة أعز وديعة لديها ألا وهى شبابها ومستقبل هذا الشباب .

فالثقافة الجامعية تدور إذن حول فهم الحياة التي يتأشبها الطالب الجامعي والتي سيكون صعبا عليها ويقف ثابتا جلدا أمام أحداثها . وهذا الفهم في ذاته هو سبيل إلى غرس ملكة التصرف الحسن وطريق إلى إحياء السلوك الأقوم عند الاستجابة لمؤثرات ما يكشف هذا الطالب الجامعي من ظروف وأحوال . وإن هذا العالم المائج المضطرب الذي تترامى آماله وأفكاره وأعماله أمام عينيه فهو حقا اللغز المعمي والشاطئ المجهول ، ليس يقدم على تجليته وفهمه والاندماج فيه والتأثير في مصيره إلا من كانت له من تربيته وثقافته عدة وافية تناصره كما دبت به الرجل بين وعور الحياة وحفرته نوازع الطمح ونوازي الأمل إلى تمثيل دور كريم في حياة المجموع يخرج بأدائه عن أن يكون مستهلكا غير منتج وعالة على الدولة والمؤول المجهود !

فلا بدع أن تكون كل جامعة مسؤولة دوما عن تخريج شباب أجدر بالنجاح في الحياة من أولئك الذين أعوزتهم عدد الكفاح الكاملة . لنخلفهم عن إصابة حظ موفور من الثقافة العالية والتهديب العلمي الراقى ، وليكون في مكنة كل جامعة أن تسير في طريق الانتاج التطبيقي في الحياة العملية ، فتغذي أممها بطلاقة من المبتكرات المادية والمعنوية في مختلف مناسخ الحياة تترقى بها إلى مستوى يليق بكل أمة تعرف للتعليم الجامعي قدره ومعناه .

فجال النشاط الجامعي إذن يدور حول إبداع الشاب المثقف الذي ثابته إلى جانب فنه المتخصص فيه . ثقافة نضيجة قيمة تعينه بحق على أن يشارك مشاركة إيجابية في إبداع الأفكار وصقل النظريات وتحييص المعتقدات وتوجيه الرأي العام ، الذي يعد الخريج وحدة في شأنه ، توجيهها موقفا مستنيرا ، وبالجملة حفز روافد الحياة في الحركات الأدبية والعلمية وحياطتها بأسباب التأييد والتشجيع والإثناء وتخصيصها مما يأخذ عليها سبيل التحرر والإنطلاق في سبيل النضج والاكتمال والشمول والامتداد .

ولست بغال البتة إذا زعمت أن مهم التعليم الجامعي لا يعدو ، في جوهره ، أن يفهم الطالب الجامعي معنى الكتاب وقيمة المجلة ، وهما بالطبع سبيل التثقيف والنضج ، وأغنى بالكتاب والمجلة الكتاب الدسم والمجلة العالية . كيف يطالعهما . والقراءة فن ليس يبيده كل من زحم نفسه في غماره ، وكيف يتقدما نقدا هو أقرب إلى استقامة الفكر وصواب الرأي وعدالة الحكم ونزاهة المأخذ ، وكيف يستمد منهما بعد هذا كله مادة وافية تنمي أفق التفكير فيه وتوسع محيط اطلاعه وثقافته ، ومن ثم وهذا هو الفرض الأصيل كما قررت ، تمهد له سبيل البحث العلمي وتعينه على الانتاج العقلي النافع ، ولعل هذين المظليين هما أخص خصائص التعليم الجامعي الحديث .

ولو وقفت على مدى رواج المؤلفات ومختلف أنواع المطبوعات التي تخرجها دور الطباعة عندنا غريين بوفرة مذهلة على مدار العام ، ولو لاحظت في كتبهم ومجلاتهم ، ولا سيما تلك

التي يصنّفها ويصدرها أساتيد الجامعات ، وضح البحث العلمى وقوة العارضة الفنية ودقة النقد المحكم المضبوط بقواعد وأصول تهدى ولا تصل وتقدر ولا تحقر ، لما داحلك من جراء هذا كله إثارة من دهش ولا عجب ، ولأيقنت من فورك أن مرد هذا الخصب وذاك النماء إنما هو لفتح الروح الجامعى الذى أشاع فى مجموعة أئم ذلك خفة متزايدة فى سبيل الاستقصاء والبحث ، بقدر ما أتى أعوانه وخدامه من ملكة يعقلها هذا البحث ، وتجربة يرفع من قيمة نتائجها دأب المثابرة وعزيمة الكشف ، وثقافة تنسج من رقعتها لطفه الاطلاع وحب التأمل ولذة الاستيعاب والفهم .

ثم إنك إذا سمعت فى بلاد الغرب بمكتشف علمى أو مستحدث صناعى أو مبتكر فى أو مذهب أدبى أو قانون نقدى أو جامعك من هنالك نبأ افتتاح معهد عال لدراسات خاصة فى موضوع من المواضيع المشكلة التى فيها منافع للناس ، أو تأسيس مجمع أو ندى لعلماء فن معين أو فنون بعينها ، ليتدلوا بين جدران قاعاته وأبهاء مكتباته طرائف الرأى ويتقارضوا معادل النظر ، لوجدت أن الروح الجامعى كان سنده ومبناه ، فأنما الذى أبدع هذا كله وأنضجه بجمهرة عالمة مثقفة من أساتيد الجامعات ورجال هذه المعاهد العلمية الملحقة بتلك ، يعاونهم فى رسالتهم النبيلة الطلاب الجامعيون الذين ملئوا بتأثير أسانذتهم ، شغفا بالبحث العلمى ، وأشر وا لذة التقصى وأشبعوا متعة التجريب ولطفه الكشف والفحص .

وهل ثمة داع إلى الدهش والعجب إذا عرفت أن عناصر التوفيق والنجاح هى الغالبة هناك حتى أن مأسى الفشل ودواعى الخيبة تكاد لندرتها تحسب فى حكم الشواذ التى لا تجرى على قياس ولا تدور فى حساب ، وأن حيوية الكفاح وطاقة الجهاد لا تعرف الفتور والخوف طيلة ضربها فى بيداء الحياة ؟ إن الشخصية القومية الطامحة المستقلة التى تعرف لذتها السامية فى خلق فرص الحياة وغلاب صعاب الأيام والتأثير الطيب فى عيش المجموع وتوجيه أدواره ومصابره ، إنما كان منبتها فى تلك التربة الجامعية الغنية بأسباب الحياة والنماء ، وإنما كان نعيمها فى مواصلة حياة الدرس ومتابعة طرائق البحث بعد التخرج فى معاهد التخليق والإنبات .

لنا أن نتساءل وقد عرفنا أن التعليم الجامعى فى أوربا وأمريكا يكون شطرا هاما من عملية التربية التى تجعل من الطالب عاملا لا عاطلا ، مبتكرا لا مقلدا ، هل ترى الشاب المتخرج فى جامعتنا يتأثر بفتح ثقافى جامعى كامل يهضم عن طريقه الروح الجامعى ويستوفى به خصائص الشخصية المستقلة المنتجة ؟

لعمري لا أعدو جانب الحق ولا أجوز جادة الاعتدال والتقصّد إذا قررت وقررت معى كثيرون من المشتغين بأمور التربية عندنا ، أن طالب الجامعة يشبه طنب أية مدرسة

ثانوية أو ابتدائية ، من حيث كيفية التحصيل وضيق دائرة النشاط العلمى ، وأن غاية ما يسعى إليه هو أن يكون صورة حاكية لعقلية أستاذه ، ولقد يقصر به السعى فيتعثر فى خطأ التقليد وتكون له فى الحياة قصة كقصه ذلك الغراب المسكين الذى تاه بين قديمه والحديث !

إن جامعتنا بأساليبها الحالية لاتعين الاستعداد ولا تنمى المواهب والملكات ، ولكهما — والحق يقال — قد أفلحت إلى أبعد حد فى تدريب حوافط الطلبة وتقوية ذاكراتهم وابتعثت نزع التقليد الأعمى فيهم ، وفى هذا كله قضاء أى قضاء على مقومات شخصياتهم التى لا يرضى لها المنتصفون من المربين حياة جامدة تنفلها قيود المحاكاة الشائنة والشبه الالى المقيت . ولعل أمر الإعداد والتثقيف فى هذا الدور 'ندراسى العالى أجل وأخطر من أن يكون مجرد حشو لأدمغة الطلبة بالتألفه والجليل حيثما اتفق وإنحراج نسخ مكررة عندنا منها الكثير !

وكيف لعمرى نرجو لهذا الطالب الجامعى المريض شخصية مستقلة بذاتها ، إذا كانت عوامل بناء هذه الشخصية لا تتكون أو تنهى فى هذا الدور الدراسى الذى يخرج منه إلى الحياة وشيكا ؟ بل وكيف يسوغ لنا أن ننكر على هذا المتخرج فى جامعتنا أن يجهن عن الفضال فى الحياة ويشفق من مكافئة خطوبها فتراه يشد الوظيفة الحكومية مهما تفهت ، مفضلا حياته المستقرة المتبلدة على حياة الكفاح والجلاد الصاخبة انداوية ؟

ولا عجب بعد هذا أن نستبين قصور الانتاج العلمى الجامعى فى نواحى حياتنا كافة، ما دام جنود هذا الإنتاج — وهم خريجو الجامعة — ينشأون هذه المنشأة البعيدة عن الروح الجامعى لصحيح ، بل لا عجب أن يعترف بذلك صراحة دكتورنا طه حسين بك فى كتابه "مستقبل الثقافة فى مصر" حتى يقترح ، تنظيما لهذا البحث العلمى ، ضم جميع الهيئات العلمية والثقافية المختلفة وهى المجمع اللغوى ، والجمعية الجغرافية ، وجمعية فؤاد الأول للتشريع والاقتصاد ، وجمعية فؤاد الأول للشرائع ، ومعهد فؤاد الأول للأحياء المائية وجمعية الأطباء وجمعية المهندسين ، والمجمع المصرى للثقافة العلمية ، ولجنة التأليف والترجمة والنشر ، كى يتكون من هذا كله "المجمع المصرى" على مثال المجمع الفرنسى ويمنح ميزانيات هذه الجمعيات المتناثرة ، ويكون بذلك بيئة علمية راقية متجة تساعد الجامعة وتثبت قواعدها فى مهمة البحث العلمى ، ما دامت أنها لم تؤد رسالتها بعد فى هذا السبيل .

ونعل كل هاتيك النتائج تلور حول سبب واحد هو العملة لكل ما ينشأ عنه من آثار بعيدة تناول بالتكيف والتشكيل عقلية الفرد وعقلية الجماعة ، هذا السبب كما قررنا هو ضعف روح البحث العلمى وعدم تشجيع الانتاج الفكرى ، وقتل روح الابتكار والافتنان التى تعتمد على المواهب المنماة والملكات المثقفة وحرية الرأى والنقد . فما هى صور هذا الضعف

المعيب في حياتنا العلمية ، وما هي الأسباب التي تحول بين الجامعة وتأدية رسالتها في حياتنا القومية الخاصة فضلا عن الحياة الدولية العامة ، وبالمجمل تقعد بها عن مشاركة جامعات العالم العاملة رسالتها في الفتوحات العلمية الرائعة وابتكار المثل واصطناع الابداعات التي تعلو من قدر الانسان وترفع له المستوى المعيشي الذي يحياه .

الطالب الجامعي يقضى حياته الجامعية في شبه عزلة عن مكتبة جامعته العامة ومكتبة كليته الخاصة ، وهو لهذا قلما يحاول أن يتصل اتصالا عقليا منظما أو حتى شبه منظم ، بنجبة المؤلفين الأفاضل الذين تحفل حوامل الكتب بمؤلفاتهم ورسائلهم ، فهو مغرور في جهل مطبق إزاء هذا كله وليس يحاول أن يكلف ذهنه الفض أكثر من استظهار دروسه الموحدة في صور محاضرات أستاذه ، وإنه ليحرص الحرص كله على استذكار هذه المحاضرات بجهلها ونصوصها ، وبالمجمل يحرص على أنه يصب في ورقة الاختبار عقبيه أستاذه بجهلها وأساليها وطرائق تفكيرها .

هذا في التحريرى . أما في الشفهى فإذا حدث أن كان لمسألة من المسائل العلمية أكثر من وجهة نظر واحدة ولأستاذه وجهة معينة ، وسئل أى الوجهات يؤيد اندفع اندفاعا مضحكا الى تأييد وجهة نظر أستاذه ولو كان مقتنعا في ذات نفسه بوجهة نظر أخرى ! ! والطالب معذور ، فما دام نظام الامتحان لم يحل البداجوجيون مشكلته الى اليوم ليعوضونا خيرا منه فلا ندحه من أن يحرص المسكين على ترضية أستاذه الى أبعد حد ليفوز منه ، وهو المصحح وهو واضع الامتحان ، بأعلى نصيب من الدرجات يرفعه الى مرتبة الأوائل والأعلام وهذه تفتح له أبواب الحكومة ! !

ولعل حرص الاستاذ الجامعي على حمل طلبته على تفضيل أفكاره على أفكار غيره والتسليم بنقده وتجريحه لآراء سواه قد يبلغ به في أحيان كثيرة حد الأنانية التي تدفع به الى الحرص على رواج مؤلفاته أو إظهار نفسه أمام طلبته في صورة الذى جمع علم الأوائل والأواخر ، ولم يحدث بسبب هذه الأنانية المسيئة التي تتجافى روح العلم ، من مأس ومهازل ذهب ضحية لها طلبة أبرياء ليس يعوزهم ذكاء ولا يتقصصهم فهم ولا إدراك .

فليس لنا أن نلوم إذن هذا الطالب لذى لا يعرف طريق المكتبة ومن ثم لا يعرف طريق فهارسها للكشف عما تحويه من كنوز الكتب والأسفار تلك التي تعينه على حياة البحث والإنتاج طيلة مرحلة التثقيف الجامعي . وهكذا يتعلم الطالب الجامعي كيف يستدكر عن ظهر قلب وكيف يجيد عملية إمامة أئمة إجادة ولكنه لا يتعلم مع الأسف كيف يقرأ ويعشق الاطلاع ويكون عميلا لإحدى المكتبات ، متاعا من تلقاء نفسه الحركات الفكرية الوطنية والأجنبية يعرض لها بالتقريظ والانتقاد فيساهم فيها بطريق ايجابى منتج . كما يندفع

بمخافز غريزى فلاب الى اقناء الكتب القيمة ليكون منها مكتبة منزلية تكون عماده فى البحث والمراجعة وتزجية أوقات الفراغ ، وبهذا يرفع مستواه العلمى والمادى ويكون عاملا من عوامل التجديد والبناء .

ولعل من بين النتائج السيئة الناجمة عن هذا الضعف الشائى ، عدم إقبال الطلبة المنخرجين على الخاق بأقسام الاختصاص العليا ” الدكتوراه “ وهى التى تعتمد على البحث الدسم والاطلاع الواسع المدى وشدة الصبر فى معانة المسائل العلمية الدقيقة ، لأن الخريجين فى أقسام الدرجات العلمية العادية لم يبيأوا ، كما رأيت ، لمثل هذا المستوى العلمى الرفيع .

ولكن ما السبيل الى دفع الطلبة الى أهواء المكتبات وتعويدهم زيارتها بدافع ذاتى قوامه حب البحث وشغف المراجعة وعشق الاطلاع ؟ سبيل هذا هو سبيل الروح الجامعى نفسه وأعنى به بحث حركة البحث العلمى من مرافدها لأن فى بحث هذه الحركة تركيزا لمعلومات الشباب الجامعى وتكثيرا لما وفصحا لآمادها وصقلا للملكات الغضة التى ترجو الأمة من ورائها أن تقوم بواجبها المرموق فى إنهاض حياة المجموع فى غير ما تفترو ولا وناء .

إن المحاضرات التى يلقها الأساتذة نخو ، للأسف الشديد ، منحى الإملاء والفرض ويصعبها الأستاذ فى آذان الطلبة صبا ، وهؤلاء يسارعون الى إفراغها فى كراساتهم إفراغا آليا دون أدنى محاولة يبذلونها لعملية الإصغاء أو الاتصال العقلى بينهم وبين ما يحاضرهم فيه أستاذهم فتتمطل عملية التمثيل العقلى طيلة ساعات الدراسة اليومية ، وتنصرف عناية الطلبة الى مظهر هذه المحاضرات والعناية بتعبيرها وتبييضها والحرص على صب ألفاظ الأستاذ بمخافزها دون ما تغيير أو تحوير فيها إلا ما ندر ! هذا فى حين أن المقصود من المحاضرة هو تفتيح أذهان الطلبة وتوجيه ملكاتهم الى كيفية معالجة البحث المشروح وإلى معرفة طرق التوسع فيه فى مظاهره ومصادره ، فيحسن الإصغاء أولا ثم يحاول ما استطاع تدوين ملخصات موجزة لأقوال أستاذه تهديه عند دراسته التفصيلية ، فهذه خطوة تمهد لما بعدها وليست كل شىء فى التحصيل والانتاج .

ولكن الطالب فى هذا الذى يفعله مجافيا به الروح العلمى الحق ، جث معذور ، فهو كما قلنا مطالب بهضم برنامج واسع فضفاض ، مطالب بفهم عقلية أستاذته ، وإن كان فى الواقع لا يفهمها بل يماشها ويستظهر آثارها ، مطالب بأن يعرف أكثر مما جاء فى مؤلفاتهم ، ولا عليه إذالم يكلف النفس بمطالعة ما جاء به غيرهم لئلا يعطل عليه عمالية فهم أستاذه ولا سيما أن هذا لا يطالبه بأكثر مما جاء فى كتابه أو محاضراته !

وليت هذا الأمر خففت آثاره السيئة أو تولفيت بعض نتائجها الضارة عن طريق تكليف الطلبة بعمل أبحاث علمية جدية فى الفروع التى يدرسونها ، ولا حتى فى بعضها أو

في واحدة منها ، حتى يعقودوا معالجة الدراسات الدسمة ويدربوا على تحصيل مواد البحث من بطون الكتب والمجلات العلمية ، فتستعصب عقولهم الشابة عن هذا الطريق ما فاتها دركه خلال الأول ، وتجه الى توحى الابتكار وتستشعر الحاجة الى إشباع ميولها الى الانتاج والى تعود التفكير الدسم الرصين .

ثم إن الفروق العقاية بين الطلبة وتباين ميولهم الذهنية والعاطفية كانت أحق بأن تجد أداة تنظيمها وصفقها وتوجيهها التوجيه السليم ، في تنوع مناهج البحث وتكيف نواحي النشاط تنويعا حكما وتكيفا ملائما يمكن الطالب من أن يجد فيها ما يلائم ذكاءه ويتفق واستعداده الطبيعي . فتتألف في كل كلية مثلا شعب دراسية خاصة براسة وإرشاد الأساتذة ويختار كل طالب الشعبة التي تلائم استعداداته وتتفق وميله ليتوفر على إلتقان الدراسة أو الدراسات التي يفضلها على غيرها وذلك عن طريق الاطلاع والمراجعة وتأليف البحوث . فكما أن الميول تختلف في اختيار اللعبة الرياضية البدنية التي يفضل الطالب ممارستها ، فان الأمر كذلك في مجال الرياضة الذهنية التي تعتمد على ميول المواهب ومنازع الملكات .

ولسنا نغفل ولا نراعى مدى وقت الطالب خلال العام حتى نكلفه أكثر من طاقته ولا أوسع من جهده بل نجتزئ فترى تكليف كل طالب بعمل بحث في كل عام على شريطة أن يكون من البحوث التي تستحق أن يقضى في معانها مثل هذه الفترة الدراسية التي تسليخ ثلاثة أرباع العام .

ولكى تكون حركة التشجيع جدية ومنظمة لا بأس إطلاقا من أن تمنح جوائز قيمة لأحسن البحوث المقدمة خلال عام على أن تناقش هذه البحوث في قاعة المحاضرات الكبرى مناقشة علنية ، وتخصص لكل كلية فترة زمنية معينة تحتفل فيها بمناقشة مثل هذه الرسائل الفائزة ، وذلك كله بعد أن تقرر لجان خاصة في الكليات صلاحية هذه البحوث لمثل هذا النقاش . ويمنع صاحب البحث الفائز جائزته المقررة وسط علامات التشجيع والتقدير التي يحيط بها جمهور الحاضرين .

وطبى أن إفساح مدى الوقت للاطلاع والدرس والبحث والتأليف يقتضى ضغط المناهج قليلا لتفسح مجالا لهذا النشاط الذهني الجديد ، ولو عرفنا أن المناهج الحالية في معظم الكليات حافلة بالجوانب النظرية ، مليئة بصنوف الحشو المرهق والتطويل الممل ، لما تمهلنا في الاقتناع بوجوب تعديلها على أساس عمل جديد يخفف من تلك الأعباء الفادحة التي ترهق ذاكرات الطلبة قبل أن تتهجه الى تكوين الملكات وتفتيح الأذهان وتربية الفطر ، ولولا ضيق المقام لضربت الأمثال الواقعة لمناهج أكثر الكليات .

ولعل وجدان الطالب وعاطفته لا يكادان يحدان في مرحلة التعليم الجامعي الوسائل التي تهذيبها وتقديهما وتوجههما توجيها سيكولوجيا ناقما . فظواهر العناية بالفنون الجميلة من

موسيقى وتصوير وتمثيل وغيرها تكاد تكون معدومة . والغريب أن جبهة المربين في الجامعة لا يجهلون أهمية هذه الناحية الفنية التي تعقد لها خصيصاً المؤتمرات الدولية ، بعد أن عرف فضلها في غرس ملكتي الإعجاب والذوق السليم في الشبان وتهذيب غريزتهم الجنسية والتسامي بها في هذا الدور العاطفي الجالح إلى الإبداع وإبتكار . وإلى ترقية سلوكهم نحو الجنس الآخر الذي يشاركونهم التحصيل جنباً إلى جنب على مقاعد الدرس في الجامعة .

وليس أعون على تحقيق هذه الآمال جميعاً من تنظيم العلاقة بين الطالب وأستاذه، فلا ينظر هذا إلى ذلك نظرة الرفع والتسامي، ولا ذلك إلى هذا نظرة الكراهة والقطيعة، بل يجب أن يشعر الاثنان بروح الأخوة الصادقة التي تربطهما بحبل الولاء للعلم وتجمعهما على التعاون في سبيل الوصول إلى الصواب والاحتذاء إلى لأقوم، فاتصال الطالب بأستاذه يوحى إليه حكمة التجربة وحكمة السن وحسن التصرف ورجاحة السلوك وسعة الصدر في تحصيل العلم . كما أن اختلاط الأستاذ بطالبيه يوقظه على . واطن الضعف في نفسيته وعقائته فيعمل ما استطاع على تقويمها وتعديلها في سن التحصيل قبل أن تريح وتحتنر في مجموعه العصبي معالم الماديات المستبحة . وفي هذه الناحية الحصبة يقن الغربيون في اصطيد اقراص اللطيفة والمسابات السعيدة للجمع بين الطلبة والأستاذة في جو يسوده النسيب والمرح والانطلاق من عقال النظم الصارمة التي تفرضها الدراسة، فثم حفلات السمر البريئة وأعياد التمارف النظريفة والرحلات المدرسية والصفية التي يغتم منها الطلبة أجل الفوائد وأبقاها إلى كثير من أمثال هذه الوسائل الهينة الكلفة البعيدة الأثر في حياة مجموع الشباب .

وأما بعد فيجب أن تكون الجامعة مستقلة في تدبير الوسائل التي ترفع من مستواها العلمي والخلقى تحت إشراف إدارة قوية حازمة ، دون تعرض لأى ضغط من جانب الحكومة أو البرلمان . وبهذا وحده يستوى الأمر بجامعةنا العزيزة فتتجه كلياتها صوب المثل الأعلى للحياة الجامعية الحققة ، فتعمل كلية الآداب ، مثلاً ، على تنشئة البيئة الأدبية الحية التي يتفرج فيها أفراد يبعثون الأدب المصرى القومى على منوال الآداب القومية الغربية فضلاً عن بعث نزوات جديدة في الأدب الانسانى العالمى ، وتعمل كلية الحقوق على تخريج ناشئة فنية تعاون على تخريج تراث فقهى قيم يجمع بين الشريعة والقانون ويجعل من مصر مهداً عالمياً للثقافة الفقهية كما هو الحال في فرنسا وكذلك تعمل كلية العلوم على مشاركة جامعات الغرب في الفتوحات العلمية والنظرية . وهكذا قل في سائر الكليات .

فتى تبث أشعة هذا الفجر الجديد المتألق الذي يشر في نفوسنا الطامح إلى حياة العلماء والمجد ؟

صلاح الدين الشريف

الحامى

أَهْرَقْنَا الْعَامَةَ

كما يكشف عنها سلوكنا

الساعة الخامسة من الصباح والفصل شتاء والبرد قارس ولا يزال الظلام يحيم على المدينة ولكن سكان المنازل في أحد الشوارع يستيقظون لأن بوقا قد أخذ يزعق في الظلام كالحنون. وذلك لكي يوقظ أحد الراغبين في السفر وينبسه حتى يتبها للتزول حيث يركب "الأتومبيل ويدرك القطار الذي سيفادر المحطة قبل الساعة السادسة بدقائق .

من أجل شخص واحد يريد إدراك القطار يجب أن يزعج جميع السكان ويوقظوا في فراشهم ؛ ولعل منهم المريض أو المتأخر في نومه الذي يحتاج إلى زيادة ساعة من النوم ، وسائق الأتومبيل لا يكلف نفسه مشقة الصعود إلى مسكن هذا المسافر وإيقاظه بطرق الباب أو دق الجرس ، بل يستعين بإزجاج الشارع كله وهو قاعد في مقعده الدفء الوثير بضغط زر البوق فيخرج صوته المنكر للإزعاج والإيلام .

فأي أخلاق هذه ؟ رجل مأجور لكي ينبه مسافرا ويوقظه ويحمله إلى المحطة فلا يبالي إعنات شارع بأكمله ، كأن سكانه بعض الحوام أو الحشرات التي لا تستحق أية مراعاة أو احترام ! ولو أن مثل هذا السائق وجد تعنيفا وتبكيتا ممن استأجره أو ممن أزعجهم من عشرات السكان لكف عن هذا التصرف وسلك سلوكا اجتماعيا يقوم على احترام المجتمع . ولكنه لا يجد هذا التبكيت أو التعنيف ، لأن الجمهور يحمل حقوقه ويسير على مبدأ "مهلش" ، وكل واحد من هؤلاء الذين أزعجهم البوق في فراشه يؤمل في قرب النهاية لهذا الإزعاج وأنه سيستأنف نومه . ثم هذا السواق أناني يريد راحته ولا يبالي راحة غيره بل هو سيزداد أنانية بسكوت السكان على ضوضائه ، ولعله يجد إحساسه حتى لا يظن أنه يزعج أحدا بهذا السلوك ويمضي فيه خطة عامة كلما أراد تنبيه أحد الزبائن حتى لا ينةظر طويلا .

نعرف رجلا أمريكيا غادر القاهرة وحاد إلى أمريكا بحجة أن الضوضاء كثيرة مزعجة في القاهرة ، وأن نيويورك التي يبلغ سكانها ستة أضعاف السكان في القاهرة ليس فيها مثل هذه الضوضاء ، وقد يكون الرجل قد بالغ في الوصف ، ولكن من منا يمكنه أن ينكر عظم الضوضاء في القاهرة .

لقد احتاجت المحافظة أن تمنع بالأمر استعمال بوق الكلاكس في ساعات معينة بالليل في القاهرة . وهي لم تكن في حاجة الى هذا الأمر لولا أنها وجدت أن البوق يستعمل في غير وقته و بلا ضرورة توجهه . فهنا تأييد لما ادعاه ذلك الامر لكي بأن الضوضاء في القاهرة أكثر مما ينبغي . وقد منعت بعض المحافظات نداء الباعة الجوالين فيما بين الساعة الثانية والرابعة بعد الظهر حتى يمكن الراغبين في القيلولة أن يحدوها . ولكن حتى هذا الأمر لا ينفذ لأنه لا يجد التأييد من الجمهور . فإن البائع يتسلل الى الأزقة النائية ويصيح ويزعق ملء حنجرته فلا يجد من يعترض عليه . ولا يمكن المحافظات أن تعين شرطيا لكل زقاق كي ينفذ الأوامر والقوانين . بل يجب أن يجد الشرطة التأييد المتأخر من الجمهور .

ومثل آخر من أخلاقنا التي تبدو في تصرفنا وسلوكنا في الشارع ، فإن مدينة كبيرة مثل القاهرة قد أصبح من الخطر الكبير على السابلة فيها أن يسيروا على غير المكان المعد لسيرهم ، وهذا المكان هو رصيف الشارع ، ولكن من مالم يضطر الى ترك الرصيف والسير على الأرض المخصصة للاتومبيل والترام وسائر العربات الخطرة لأن الرصيف قد شغله باعة الفواكه والخردوات والجرائد والحلويات .

ويستطيع القارئ أن يبادر الى القول بأن الشرطة يهملون هؤلاء الباعة ويتركونهم على الرصيف ، وقد يكون هناك بعض الإهمال ، ولكن لا يمكن الشرطة أن يكونوا على أرصفة الشوارع في كل وقت ويجب على الجمهور أن يعاونهم في تطهيرها من الباعة والمتسككين ، والمستنصر في النهاية بهذا الإهمال هو الجمهور ، فيجب لذلك أن يتنبه أفرادها الى واجب المعاونة للحكومة ولو على الأقل بتنبية السلطة المختصة . وفي مثل هذه الأيام التي تطفأ فيها المصابيح يعود من الخطر العظيم أن يسير أحد على غير الرصيف لازدحام الباعة عليه ، لان العربات تظل مصابيحها فتسوء الرؤية وتحدث الاصطدامات التي قد تكون مميتة . ونعرف أحد الشوارع قد استغل أرصفته الباعة وهو مع ذلك شارع مزدحم بالأتومبيلات والترام لا تنقطع فيه المصادمات بين السابلة وبين الباعة . وهناك ألوان من التحكك التي يحدثها الزحام وتقع السيدات فريستها ...

فيجب على الجمهور أن يستعمل حقوقه ويطالب الباعة بترك الأرصفة . فإن لم يطيعوا تجب الشكوى السريعة الى السلطة المختصة ، ولن نستطيع أن نحقق الهدوء والنظام ما لم نعاون الشرطة في تنفيذ القوانين واللوائح . وهذه القوانين واللوائح مهما كثر عددها ومهما روعيت فيها الدقة والإحاطة لن تجدى شيئا عظيما ولن تحو القوضى المتمكنة في شوارعنا ما لم يعرف الجمهور حقوقه ويطالب بتنفيذها . ونحن أفراد الجمهور — قبل الشرطة — مسئولون عن تنفيذها وعن صياح الباعة وعبث السواقين وازدحام الفاكهة والخردواتية على الأرصفة ، وقليل من الشدة أو الصرامة في أخلاقنا كفيلا بإصلاح هذه الحال .

وأقل خطرا من هذه المخالفات ولكن أفضم في الذوق والكياسة تلك الصفات التي ترتبها في مجتمعاتنا بلا مبالاة ، فقد فتحت الحكومة أبواب الأوبرا للجمهور ، وخفضت أثمان التذاكر إلى أدنى حد ، وليست الأوبرا قهوة عامة ولا هي حديقة مكشوفة ، وإنما هي دار للفن الجميل قد أثنت بفائز الأناث ، فلا أقل من أن يري الجمهور هذه الظروف جميعها ويعاملها بما تستحق من رعاية وإكرام ، ولكن كم من مرة زانا قاعدين متفرجين وإلى جانبنا رجل أو سيدة وهما لا يكفان عن أكل اللب ، وقشر اللب يتراكم تحت الأرجل ! وهل نتظر من موظفي الأوبرا أن يتقدموا إلينا بالنصائح وأن يشرحوا لنا صعوبة الجمع بين تذوق الفن وتطعم اللب ؟ أليس لنا من التمييز السليم ما يبين لنا هذه الحقيقة البسيطة ؟

وهناك في دار الأوبرا أيضا من يسقط التكليف ، فإذا أحس حرا في اللوج عمد إلى التخفف ونزع بعض ملابسه كأنه في بيته ، ونحن إنما نلبس ملابسنا للجمهور وليس لنا ، ولكل جمهور أسلوبه أو طرازه في اللباس لا يمكن الفرد أن يشذ عنه إلا في حدود معينة ، والدور المسرحية في جميع أنحاء العالم طراز من السلوك تقتضى المتفرجين اتباعه ، وقد يكون هذا الطراز بعيدا عنا في طورنا الحاضر، ولكن لا أقل من أن تكف عن أكل اللب ولا أقل من أن تكون بزننا كاملة لا تنقصها الجاكينة مثلا .

وهناك بعد كل هذا إجماع يتجاوز ما ذكرنا من إهمال ، وسكوت الجمهور عليه هو بمثابة الاشتراك فيه ، نعى ذلك التحكك الذي يقع من الشبان بالفتيات وقت الزحام في الأتوبيس أو في الترام ، ونعى أولئك الأوغاد الذين يشربون المقاعد ويتلفونها للعبث والشر لا أكثر ، فإن أفراد الجمهور هنا يجب أن يأخذوا القانون بأيديهم ، ويكفوا المستهتر عن انتهاك الأعراض والشرير عن الأذى والإتلاف فإن السيدة أو الآنسة التي يتحكك بها شاب تعجز في العادة عن صده بالعنف الذي يليق به . لأنها نشأت في بيئة لم تعلمها الألعاب الرياضية ولم تفرس فيها روح الاستقلال وهي تنتظر في مثل هذه المصادفات معونة من الركاب . فيجب أن يكون في كل منا من النجدة والشهامة ما يصفون مثل هذه السيدة أو الآنسة .

وبغير هذا التعاون بين الحكومة والشعب لا يمكن أى رقى ولا يجدى أى قانون !

المثليات في حياة الشباب

بقلم الأستاذ س . م

نحن نعيش في أيام تاريخية . بل إن التاريخ ليهدر فوق رؤوسنا كأنه الرعد . فقد انفجرت قوات التدمير في البر والبحر والجو تحاول بالعنف والبطش أن تحوّل مصير الأمم وترفع هذه الأمة أو تحط تلك الأخرى . ولكن مع وفرة هذه القوى المادية تعتمد كل أمة على قوتها الروحية وما تسنده لتركبة قضيتها من مبادئ الأخلاقية وتقاليدها السامية وعدالة نظامها . وذلك لاعتقادها أن لا قيمة للقوى المادية في الحرب إذا أكانت القوة الروحية قد وهنت أو انهارت .

ذلك أن الجندى الذى يقف في الميدان يحتاج الى التعبئة الروحية بقدر بل بأكثر مما يحتاج الى التعبئة الحربية . فهو إذا لم يكن شجاعاً وانفاً بجته في القتال لم تنفعه الأسلحة التي يحمل مهما تعددت وتوّعت . وهنا يحضرنا مثال أورده الطبرى في تاريخه حين وحدث قوى الفرس أمام العرب . فقد ذكر أن ما نعينه الآن " بالحقوة لروحية " قد تضعضع عند الفرس على الرغم من وفرة سلاحهم حتى كان العرب يأمروا الفارسي بالحضور أمامه ثم يقتله . والفارسي صامت عاجز عن الدفاع أو الفرار .

والإنسان لراقى روح أكثر مما هو جسم . وهو يقيس سعادته بأقيسة روحية من الدين والأمل والحق والنقاة والشرف والمكانة الاجتماعية والوطنية والاستقلال والإخاء والحرية . وكل هذه وأمثالها إنما هي أقيسة روحية لا أثر للماديات فيها . وإذا اختلت هذه الأقيسة أو إذا أخذت الأقيسة المادية تطغى عليها كاترف والتكاثر بالمال واقتناء الفاخر من الاس أو الأثاث أو العقار والانكباب على لذات الطعام وسائر الشهوات فإن الانحطاط يأخذ . مكان الرقى وتشرع الأمة في تلك الانحدارات التي يحفل بها التاريخ .

وعلى ذلك نرى أن الأقيسة الروحية — سواء في الحرب أم في السلم — هي الدعائم التي يقوم عليها رقى الفرد وانتصاره . بل هو لن يعيش الحياة المنتجة الصالحة المصلحة، الحياة الطيبة، الا اذا كانت له أقيسة روحية يقيس بها نشاطه وعمله وأمله . ومن هنا قيمة المثليات في حياة الشاب .

والمثليات (جمع مثل مثل حسنى وأخرى) هي أمثل الحالات التي ينشدها الانسان في العائلة المثل أو الحكومة المثل أو غير ذلك . ونحن نعبّر بهذه اللفظة في العربية عما يعبر عنه الأوروبيون بلفظة Ideal .

ولم تمش أمة قط بلا مثليات حتى حين انحدرت الى أحط الدركات في تاريخها . لان الانسان في كل وقت يحتاج الى أن يفهم من وجوده مغزى روحيا . وكثير من الفاظنا إنما هي رموز ياد بها هذا المغزى الروحي . فإننا نرفع الأعلام يوم الأعياد . وهي رموز حسية تدل على معنى أو مغزى وطي . ولكن كذلك أيضا الفاظ الشرف والطهارة والاستقامة والبر والحق والعدل إنما هي رموز أخرى غير حسية تدل على حالات مثلى نحب أن يحققها الفرد في أخلاقه وسلوكه وتحققها الأمة في تصرفاتها مع أبنائها . والانسان الراقى يتطلع على الدوام الى ما يعلو على مستواه المادى . وهو لا يسعد الا إذا كان يحس أنه يرق وأن نظره مسدد الى الجيوم وأنه خلال السنين او حتى القرون القادمة — فى شخص أبنائه وأحفاده — سوف يكون اسمى وأبر وأعقل مما هو فى الوقت الحاضر .

ولكن الشاب وهو يتشوق الى المثليات فى عالم قد اختلفت بل تناقضت فيه المذاهب يتشوش ذهنه وتضطرب أقيسته . وهو عديم عرضة لأن يقع فى أخطاء ويتجه نحو أهداف فاسدة تشتت قواه . ولذلك يحتاج الى الارشاد أى الى البوصلة الصادقة التى توجه نشاطه نحو الأهداف الانسانية السديدة التى تخدم الخير والبر والسعادة .

والمثليات كثيرة . وهى أيضا متفاوتة فى قيمتها بعضها يعم الانسانية وبعضها يخص الوطن . فتحزن حين نشد السلام "عالمى أو الإخاء البشرى أو الديمقراطية إنما تتطلع الى تحقيق مثليات عالمية ، يشترك فيها المصرى مع الصينى مع الأمريكى مع التركى . ولكنها حين نشد الرفاهية للفلاح المصرى أو ترقية السكى فى مدننا للقراء أو زيادة التعليم إنما تتطلع الى مثليات وطنية وليس ن الضرورى أن تكون مثلياتنا من الطراز الفخم الضخم الذى يقصد منه الى إصلاح العالم كله . اذ حسبنا أن نرتفع فوق أنفسنا ونخدم شأنا انسانيا يغذو روحا ونحس به أننا أعضاء نافعون مشتركون فى الرقى الانسانى .

ونحن حين نخدم أحد الشؤون الانسانية نخدم أنفسنا كما نخدم هذا الشأن الانسانى . بل لعل الانتفاع أكبر فى جانبنا . لأن الشاب الذى يرصد بعض وقته لدراسة الأطفال اليتامى ومساعدتهم يشغل ذهنه ووقته بالخطير من الدرس الذى يكسبه معارف جديدة وشخصية قويمية . والصبي اليتيم بالطبع ينتفع من هذا المجهود . ولكن ظنى أن الشاب قد انتفع أكثر . وكذلك الحال فى ذلك الشاب الذى ينضوى الى جمعية للبر بالفقراء أو لتعليم الصبيان المحرومين أو لإنقاذ الساقطات . فإن كل هؤلاء المساكين ينتفعون بهذه المجهودات . ولكن الشاب القائم بهذه الخدمات ينتفعون أكثر ، لأن من يمارس البر يصير رجلا بارا . ومن يدعو الى الخير ويعمل به لن يكون رجلا شريفا . ولذلك إذا كانت الدنيا أو المجتمع ينتفعان بالمثليات فإن الدعاة الى هذه المثليات ينتفعون أيضا بما يكتسبون من نشاطهم فى الدعوة اليها من أخلاق طالية وشخصيات غالية .

فتحن نخدم المثليات ونزق بها الدنيا أو المجتمع ولكن هذه المثليات تغزو أرواحنا وترفعنا وتسمو بنا وتجعل منا رجال جد وخير وصالح . وهذا كسب روحى عظيم .

وهنا تتضح لنا قيمة الجرائد والمجلات والمؤلفات فى بعث هذه المثليات وتجديدها . لأن الصحيفة التى ندأب فى بعث المشكلات العالمية أو الوطنية تحرك أذهان قرائها الى ضرورة الحل لهذه المشكلات . ولا بد من التشخيص قبل العلاج . فاذا لم تعرض هذه المشكلات فى شرح وإيضاح وتكرير حتى يتنبه الضمير الحامد ويستيقظ الذهن النائم فإن الشاب القارئ يبقى بلا مثليات . وهو عندئذ لا يجد الغذاء الروحى كما لا يجد المجتمع النشاط الذى ينتظر من أفرادهِ لإصلاح مفاسده .

وقد علمنا الحرب القائمة أن القوة الروحية أهم وأخطر من القوات المادية . فيجب ألا ننسى أن هذه القوة الروحية لها أيضا قيمتها وخطرها أيام السلم . وأن ما يغنوها هو المثليات يؤمن بها الشاب ويسعى لتحقيقها فيخدم المجتمع ويخدم نفسه معا .

فعل كل شاب أن يأخذ على عاتقه بعض الواجبات الاجتماعية يؤديها لكي يرقى بالمجتمع الذى يعيش فيه سواء بنشر التعليم أو إنشاء المستشفيات أو إيجاد الملاجئ كما عليه أن يبحث المذاهب السياسية والاجتماعية ويدرسها لكي يستنير بها ويعتمد عليها فى خطة البر والخير التى يتخذ . فان الرجل يجب أن يكون بصيرا بموقع بره على دراية بنتائج عمله . فهذا فوررد الثرى الأمريكى مثلا يرى أن البر ليس الاحسان على الأعرج والأعمى والأصم بل هو استخدام كل هؤلاء حتى يشمروا بكرامتهم . وقد يكون القرش الذى نعطيه جزانا للصبي المتكفف أسوأ الأعمال التى تؤثر أسوأ الأثر فى حياة هذا الصبي .

والبر صلة التى ترشدنا فى سلوكنا وتجعل بنا مفيدا بعيدا عن الضرر هى المثليات التى تصور بها لأنفسنا المجتمع الأمثل .

الصحافة والثقافة

تجربة أمريكية تستحق النظر

كان الامبراطور فيلهلم يكره الصحف ويحمل على الصحفيين . وكان يبدى عجبه إذ يرى أن جميع الحرف العالية كالطب أو المحاماة أو الهندسة لا يؤذن لأحد بممارستها الا بعد الحصول على شهادة جامعية ، أما الصحافة فتفتح لكل طارق أو واغل . وتبدو على هذا الرأى مسحة الصدق . ولكن عندما نذكر أن الصحافة تعالج جميع الشؤون الثقافية تتضح لنا سخافة هذا الرأى . ففى اللغة الانجليزية نحو عشرين صحيفة - بين جريدة ومجلة - تعالج البترول الطبيعى والكيمائى صناعة وتجارة . وهناك فى هذه اللغة أيضا مئات المجالات التى تعالج التصوير الفوتوغرافى . ومئات أخرى تعالج البقالة والصيدلة والبناء والبورصة . بل إن للزراعة من المجالات الاختصاصية ما يعد أيضا بالمئات . فمنها ما يتعلق باللبن ومشتقاته صناعة أو تجارة ، ومنها ما يتعلق بالقطن وحده أو بالغابات أو بالحدائق أو بالفواكه . وليس من المعقول أن نطالب كل من يكتب فى هذه الموضوعات بأن يحمل شهادة جامعية تشهد على أنه قد درس آداب الاغريق أو الكيمياء أو الميكانيكيات . لأن هذه العلوم لاتصل بما تعالجه الصحف . ولأن كثيرا من هذه الموضوعات لا تعرفه المدارس أو الجامعات إذ هو من ثقافة الشعب وإن انحصرت فى بيانات معينة .

والجريدة اليومية وإن كانت تلتفت للسياسة المحلية أو العالمية أكثر مما تلتفت الى أى موضوع آخر تحتاج الى جميع هذه "الاختصاصات" فى فنون مختلفة . وهى تعنى أو تهمل بعض الموضوعات وفقا للبيئة التى تنبت وتنمو فيها . ففى الأقطار الزراعية بل حتى فى الأقاليم الزراعية نجد الالتفات الكبير لشؤون الزراعة . كما نجد صحف البيئة الصناعية تطالب محرريها بمتابعة الرق العلمى الذى يحتاج اليه رقب الصناعات .

والواقع أن الصحافة ستبقى شعبية . وإيجاد أقسام صحفية فى بعض الجامعات لا يقصد منه إلا الى تنظيم الفرصة للتعليم . فإن الصحيفة تحتاج الى الكتابة الصحيحة . والمحرر الذى يغذو نفسه وينمى ثقافته يحتاج الى الوقوف على لغتين أو ثلاث لغات أجنبية . ولكن الصحافة أكبر بكثير من معرفة اللغات والكتابة الصحيحة . والجريدة أو المجلة الراقية هى التى تبعث فى قرائها روح النمو الذهنى . والمحرر العظيم ليس هو المحرر الذى اختبر الصحافة وعرف

الفنون الصحفية من حيث القدرة على الترويح والكسب . بل لعل هذه الميزات قد تكونت نقائص إذ هي تحيل الصحيفة إلى أداة للكسب فقط وتفقد بذلك رسالتها للتثوير والإرشاد والتعليم . ولذلك قد يكون المحرر العظيم الذى يرشد وينير هو أجهل الناس بالنواحي التجارية للصحيفة . وجهله لهذه النواحي لا ينقص من فضله وقيمه . والمثل على ذلك ليس بعيدا . فحين نرى فى مصر مجلات أسبوعية قد برع أصحابها فى ترويحها ووصلوا إلى أقصى الغايات فى الانتشار . ولكن المتأمل للون السائد فى تحرير هذه المجلات لا يسهه إلا الاعتراف بأنه لون سيئ . وأن متوسط الذكاء عند قراء هذه المجلات لا يمكن أن يزيد على المتوسط عند صبيان فى الثانية عشرة من أعمارهم . فالفن الصحفى هنا ليس ناقصا ولكن ما تحتاج إليه هذه المجلات هو المحرر الكبير الذى يرفض أن ينقاد إلى قرائه ويترل على مستواهم الفريزى . أى هو الذى يصّر على أن يرفعهم إلى المستوى العقلى وبيعهم على التفكير ولو أدى هذا إلى أن ينقص عدد قرائه .

والمحرر الكبير هو ذلك الذى لا ينقطع عن الدراسة أى دراسة المشكلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ويبحثها جميعها بروح العالم الاختصاصى ولكنه يشرحها بأسلوب الصحفى الذى يريد أن يصل إلى جمهوره . والصحافة الراقية هى التى تصل بين الاختصاص الثقافى وبين المعارف الشعبية . وكثيرا ما ينقطع الشاب عقب تخرجه من الجامعة أو المدرسة عن التحصيل المنظم . بل هذا هو الواقع فى جميع الشبان تقريبا ولا يبق عند هؤلاء من وسيلة للاستمرار فى ترقية أذهانهم وتغذية ثقافتهم غير الجريدة أو المجلة . فاذا كان الصحفى غير المسذير قد ركز ذهنه منذ سنوات فإنه بتفكيره وتحريره يؤخر جمهوره ويعمم القصور والجمود .

وفى هذا الصدد نذكر تجربة قامت بها جامعة هارفارد فى الولايات المتحدة الأمريكية . فقد مات أحد الصحفيين الأثرياء وأوصت أرملته بمبلغ كبير تتفق منه جامعة هارفارد على ترقية المحررين والمخبرين . وقد تركت هذه السيدة — ممر نيمان — حق الاختيار والتوجيه والأسلوب للجامعة .

وعندئذ عمدت هذه الجامعة فى سنة ١٩٣٧ إلى تسعة من الصحفيين : أربعة منهم مخبرون وخمسة محررون . ولم توضح الجامعة الأسس التى اختارت عليها هؤلاء التسعة . إنما يتضح من البيانات التى نشرت عنهم أن كلا منهم قد قضى إلى الأقل خمس سنوات فى الصحافة وكثير منهم قضى عشر سنوات . وواحد منهم قضى عشرين سنة فى الصحافة . ومن هؤلاء ستة قد حصلوا على شهادات جامعية . أما الأعمار فتتراوح بين ٢٥ و ٤٠ سنة ، وقد طلب إلى كل من يرشح نفسه أن يعين المواد التى يحتاج إلى درسها لكي يرق بها عمله الصحفى وتمهدت الجامعة زيادة على جعل التعليم بالمجان بأن تؤدى لكل من هؤلاء التسعة أجره

الصحفى الذى كان يتناوله من الجريدة أو المجلة التى كان يعمل فيها قبل انتقاله الى الجامعة والإقامة هو وعائلته فى حيا .

وقد رحل هؤلاء التسعة مع عائلاتهم إلى جامعة هارفارد وهناك قضوا سنة كاملة فى الدرس .

وقد اختار أحد هؤلاء درس التاريخ الأمريكى من ناحية العلاقات بين الولايات المتحدة وبين الأقطار اللاتينية أى أمريكا الجنوبية . واختار آخر التوسع العلمى بدرس الطبيعيات لأنه يتخصص فى نشر الأخبار العلمية وشرحها فى مقالات شعبية . أما السبعة الآخرون فقد جعلوا دراساتهم عامة محيطة بما يتصل بالشؤون الاقتصادية والسياسية والاجتماعية مثل الاقتصاديات والاقتصاديات الزراعية وإعانات المتعطلين والمسائل الخاصة بالأقاليم الجنوبية فى الولايات المتحدة .

هذه هى المسائل التى أراد هؤلاء الصحفيون أن يتخصصوا فيها . ولكن قاعات المحاضرات فى جميع الكليات فتحت لهم وأجيز حضورهم فيها لكى يزدوا ثقافتهم ولكى يجدوا الزهرة الذهبية التى تحب إليهم الثقافة . وقد رتبت لهم الجامعة عشاء أسبوعيا يتناوب الحضور فيه عدد من الأساتذة الذين ينفع الصحفيون بالتعرف إليهم والاسترشاد بأرائهم فى دراساتهم المختلفة . ومن هؤلاء الأساتذة الدكتور هنريش براوننج المستشار السابق فى ألمانيا سنة ١٩٣١ ، فإن جامعة هارفارد عقب الانقلاب الألمانى استقدمته للانتفاع بتدريسه .

وقد حضروا عشرات المحاضرات . ونضرب مثلا على ذلك بما فعله ذلك الصحفى الذى قلنا إنه يختص بتحرير المقالات العلمية وشرح العلوم بلغة يستطيع الجمهور فهمها . فإنه حضر المحاضرات فى الطبيعيات الذرية ، والفلك ، والفسولوجية . والبكتريولوجية . والطب الوقائى . والاثربولوجية ، وتاريخ العلوم . وكل هذه مسائل يحتاج هذا المحرر إلى تبسيطها لقرائه . ونعم هذا الجمهور الذى يقرأ لهذا المحرر المتعلم .

وهكذا الشأن فى سائر الصحفيين . فإنهم جميعهم اختاروا ألوانا من الثقافة العامة أو مما يتصل بعملهم الصحفى . وقد أكب أحدهم على دراسة التاريخ البيزنطى مثلا . ووجدوا جميعهم فى آلاف المجلدات التى تزخر بها مكتبات الجامعة ما بهت فيهم روح البحث . وعادوا بعد عام إلى صحفهم أكثر ثقافة وأعمق نظرا فى المشكلات العامة وأكثر نفعا لقرائهم .

في البيت

يحدث أحيانا أن نلاحظ على ربة البيت أنها ترسل الخادم في شراء اللحم والخضراوات ثم تعود وترسله لشراء ما قيمته مايم من المقدونس لأنها نسبت أن تنبهه الى شرائه . ويتكرر مثل هذا النسيان منها ومثل هذه المشاوير المتعبة لخدم أو الخادمة، بل يتكرر مثل هذا الوقت المضيع منها ومن الخادم . فان شراء قطعة من الجبن أو مقدار من الزيت أو الحلوى يحتاج الى جملة مشاوير متكررة يذهب فيها وقت الخادم الذي كان يجب أن ينفقه في تنظيف البيت أو في الطبخ أو في أى عمل مفيد آخر . وفي بعض البيوت لا يكاد الخادم يهدأ عن قطع المسافات بين البيت وبين السوق في شراء الثمن والتافه من المأكولات أو من لوازم البيت الأخرى .

وليس البيت متجرا حتى نطلب من ربته أن "تمسك دفترا" وإن كان كثير من البيوت الأوروبية والأمريكية يفعل ذلك الآن . ولكن كثيرا من الوقت والجهد العصبي والعضلي يمكن الاقتصاد فيه وتوفير الراحة والمتعة لجميع سكان البيت إذا عمدت ربة البيت في الصباح فكتبت في ورقة صغيرة جدولا بكل ما ستحتاج اليه طول النهار مما تنهيا به الوجبات الثلاث غير بعض اللوازم الأخرى . ثم بعد ذلك تناقش الخادم نحو ثلاث دقائق فيما يمكن شراؤه من هذا الجدول في شارع معين أو شارعين قريبين، وهي حين تفعل ذلك يتوافر لها عمل الخادم في البيت ويحول ذلك القلق الذي يبعثها على العجلة وعلى شراء "الموجود" مما قد لا يكون خيرا ما يجب شراؤه . ولكن إلحاح الساعة يجعلها تسامح .

إننا نرى أن كثيرا من السيدات الأجنبية في القاهرة يخرجن في الصباح الى دكاكين البقالة فيشترين خليطا متعدد الأصناف من اللحم والخضراوات والفواكه والخبز ويعدن بكل هذا وهو على ما يبدو من تعدد أصنافه يكفي استهلاك النهار كله . ويمكن سيداتنا أن يكتبن جميع حاجات البيت في ورقة في الصباح يشتريها الخادم جملة حتى لا يتكرر خروجه طول النهار .

ومما يجدر ذكره بشأن الخدم أننا نرى هندامهم على غير ما نحب . وتزيد هذه الظاهرة وضوحا عند ما يكون الخادم أو الخادمة من الفلاحين فأننا نسترخص أجورهم ونستكثر منهم ونأتي بهم صفارا لا تتجاوز أجرة الصبي أو الصبية ٣٠ أو أربعين قرشا وهم بالطبع يجهدون الخدمة ويحتاجون الى التعلم ويضيق صدر ربة البيت وأولادها في تعليم هؤلاء الصغار . ولذلك كثيرا ما يلجأ أحدهم الى الشتم والضرب . وهم معذرون ، كما أن الخدم أيضا معذرون . فإن مستوى النظافة الذي نشأ عليه الصبي الفلاح أو الصبية الفلاحية هو دون المستوى الذي

نظبه عائلة تعيش في القاهرة ، وليست النظافة مع ذلك كل ما يختلف عليه أعضاء العائلة مع خدمهم الفلاحين لأن سائر الأقيسة المدنية مختلفة . ومن هنا المواقف التي يستفز فيها الغضب فإن الأولاد يشتمون الخادم أو يضربونه . وهم زيادة على الأذى الذي يوقعونه به يؤذون أنفسهم بتعودهم العنف في المعاملة .

وخير لنا جميعاً أن نستغنى عن هؤلاء الخدم الصغار من الفلاحين . والخادمة الرشيدة المسنة هي زيادة على عرفانها ودربتها تتزع من أعضاء البيت احتراماً فيسود البيت جو من الهدوء يخلو من السباب والضرب وينشأ الأولاد على أسلوب من الأخلاق ينفعون به مدى حياتهم .

ومن أعظم الفروق التي ينفصل بها البيت المصري من البيت الأجنبي نظافة المطبخ . فإننا حين نلاحظ غرفة المطبخ في بيت أجنبي نجد ستارة رقيقة على الزجاج ونجد قصرية أو قصرية قد نضر فيها الزرع واشتعلت فيها ألوان الزهر ، ونجد الآنية من الألومنيوم الخفيف الذي لا يتحمل على الناول كما تنقل علينا آنية النحاس . والألومنيوم لا يحتاج إلى الميخض لكي يكسوه بالقصدير من وقت لآخر ، ونجد التوابل والمنبهات مهياً كل منها في علبة قد كتب عليها اسمها . أما مطبخنا فليس كذلك مع الأسف حتى الخزانات التي تحفظ فيها بعض الأطعمة ليست محكمة ولذلك تروح النصارير وتغدو عليها . وفضلات الطعام تترك لكي تأكل منها هذه الحشرات وتنمو وتتكاثر مع أن الحكومة قد وضعت لنا مستودعات للزباله .

ومن بعض العادات التي لا تزال تتفشى في جميع البيوت الفقيرة تقريب وفي بعض البيوت المتوسطة تربية الدجاج والأرانب والأوز والبطة حتى يستحيل البيت إلى "دوار" . وكثيراً ما مررت بنا ظروف رأينا أننا نستيقظ فيها في الصباح بصباح الديكة في منازل الجيران . وفي مدينة مكتظة بالسكان مثل القاهرة تعد تربية هذه الحيوانات خطراً على الصحة العامة لأن برازها يجذب الذباب ، ولأن تربتها تحتاج إلى توفير الطعام لها ، وهو في العادة مما يختلف من الطبخ . والبيت في الريف بما له من سعة وفناء معرض للشمس يتحمل مثل هذه التربية للدجاج وغيره . ولكن بيوت القاهرة تضيق بها . وزيادة على ما تحدته تربية الدجاج من إزعاج عام في الليل والنهار تكون سبباً لفضارة لا حد لها تعود بأسوأ النتائج على الصحة العامة . وبمسب ربة البيت أن تقنع بشراء ما ترغب من فراخ أو غيرها لاستهلاك اليوم فقط . وترك التربية لمن يستطيعون ذلك من الريفيين .

وجمال البيت في نظامه . ولا يمكن أن تؤدي الفوضى إلى راحة أو سعادة . ولذلك ليس من الحسن أن يستهان بالنظام . فإن الطعام مثلاً يجب ألا يؤكل إلا على المائدة . لأن كل شيء في غرفة المائدة مهياً لأن ينظف . فالكراسي كاسية بالجلد أو المشمع وكلاهما يسع بل يغسل بالصابون . فلا يؤثر عليه الطعام بدمسه . وكذلك المائدة تغطى بالمشمع أو

بالقمش وكلاهما ينظف. أما حين ينقل الطعام إلى غرفة النوم أو الجلوس فإنه يلوث الأثاث
تلويثاً لا يسهل تنظيفه منه . فإذا أصرت ربة البيت على ألا يوضع الطعام إلا على المائدة
وعلى ألا يأكل أحد إلا في غرفة المائدة فإن إصرارها هذا يعمم النظام في المنزل ويوفر النظافة
ويقي الأثاث من الابتذال .

وما دمنّا في صدد المائدة فإننا يجب أن نذكر ربة البيت بضرورة التطور في تهيئة الطعام
فإن طعامنا كثير السوائل التي لا تسهل معها نظافة التناول ورشاقته . وكيف يمكن مثلاً أن
نأكل الملوخية ونحرص مع ذلك على نظافة قماش المائدة ولا نقول نظافة ملابسنا والطهي
الأوروبي يمتاز هنا بميزات متعددة . فإنه قليل السوائل قليل الدسم قليل التوابل . نستطيع أن
متناوله في نظافة دون أن نرتبك . كما أن قلة دسمة تجعلنا نهض وننحن متخففين في نشاط
لا نحسه حين نأكل أطعمتنا الدسمة التي تثقلنا نحولاً بل نعاساً . ومن أسوأ ما نجد في مائدتنا
تلك الألوان التي يكثر فيها البصل والثوم ، مما يجعل الأنفاس كريهة بضع ساعات بعد تناول
الطعام . وليس من أخلاق المتمدنين أن تكون أنفاسهم كريهة بمثل هذه التوابل التي يمكن
الاستغناء عنها إلا أقلها .

والمائدة المصرية تعتمد على المطبخ المصري . وهو الذي يحتاج إلى الإصلاح من حيث
تغيير الطبخ . فإن الطبخ التركي لا يزال هو الطريقة العامة لتهيئة الطعام . وهو كثير الدسم
كثير اللحوم . وما يقدم للفرد عندنا وقت الغذاء من الطعام يكفي لثلاثة أو أربعة من
الانجليز أو الأمريكين الذين يقنعون بكسرة من الخبز وقطعة من اللحم مع السلطة ويقومون
خفافاً إلى العمل في حين نتكفى نحن بعد الغذاء إلى السرير لنقل ما تحمل من طعام
دسم كثير .

إننا نريد بيتاً متقدماً . ولا يمكن التقدم مع هذه الأحوال التي نعيش فيها من مطبخ قدر
إلى تربية للدجاج ، إلى استخدام صبيان الریف ، إلى حشد المائدة بألوان من الطعام الدسم
المسؤول .

الأمراض الوبائية

إرشادات تقدمها وزارة الصحة إلى الجمهور

الدفتريا :

وهي المرض الذي يسميه العامة (الخنّاق) .

الدفتريا من الأمراض الشديدة الخطر التي تصيب الأطفال . وقد بلغ عدد من أصيب بها في مدن وبنادر القطر المصري في سنة ١٩٢٧ : ٢٤٥٣ توفى منهم ١٠٥٧ وأكثر من ٨٠ في المائة من هذه الوفيات تحدث في الأطفال الذين يقل عمرهم عن عشر سنوات .

ويكثر انتشار هذا المرض في فصل الخريف والشتاء ، من شهر أكتوبر إلى شهر يناير .

أسباب مرض الدفتريا ومكان إصابته من الجسم :

ينشأ مرض الدفتريا من ميكروب دقيق يطلق عليه اسم باشيلس (كلبز - لوفلر)

ميكروب مرض الدفتريا :

وهذا الميكروب يوجد في الأشخاص المصابين بالدفتريا في الجزء الذي يتدنى فيه المرض (ويحصل ذلك غالبا في اللوزتين أو الغشاء الداخلي للفم أو الأنف أو الزور أو الحلق) ويوجد أيضا في زور بعض أشخاص غير مصابين بالمرض ويسمون (حامل عدوى الدفتريا) وهم ينقلونه إلى الأصحاء بدون أن تظهر عليهم أعراض المرض . والقسط قد تصاب بهذا المرض وقد تنقل عدواه .

كيف تنتقل عدوى الدفتريا :

لا تأتي عدوى الدفتريا إلا من شخص مصاب بها أو حامل لميكروبها ، وهو يوجد في إفرازات المرضى التي تنسرب من الأنف والفم أو أي غشاء مخاطي مصاب بالمرض وينقل من الشخص المصاب بها أو الحامل لميكروبها بالمخالطة — عند التقبيل مثلا — وفي الرذاذ الذي يتطاير منه عند العطس أو السعال . وهذا الرذاذ يحتوي عددا كبيرا من الميكروبات ، وهي تصيب الأشخاص المجاورين له ولذلك يزداد خطر انتقالها في الأماكن المزدحمة أو المدارس أو الملاهي (التيارات) فإن وجود شخص مصاب أو حامل للعدوى

في مثل هذه الأماكن يكون سببا في إصابة عدة أشخاص بهذا المرض الشديد الفتك . ولما كانت ذرات الرذاذ تتطاير في الهواء فإن الأشخاص المجاورين له إما أن يستنشقوها أو تقع على أيديهم وتسرّب منها إلى أفواههم .

وأحيانا تنتقل العدوى بواسطة الملابس أو المنروشات أو السجاجيد والستائر أو أقلام الرصاص أو اللعب الصغيرة أو الفواكه أو أواني الأكل أو أكواب الشرب أو ما أشبه ذلك من الأشياء التي يستعملها أو يتلهى بها الأطفال فيعلق بها الميكروب وإذا ما استعملها طفل سليم بعد ذلك أصيب بالمرض .

وفي بعض الأحيان تنتقل العدوى بواسطة اللبن إذا كان بين الأشخاص الذين يحلبون المواشي أو الذين يوزعون اللبن شخص حامل لعدوى المرض فيتمرب الميكروب الى الأصحاء عند استعماله . وبهذه الطريقة تنتقل العدوى الى عدة أشخاص في وقت واحد .

الدفتريا وأعراضها :

إذا تعرض شخص لعدوى الدفتريا فلا تظهر عليه أعراض المرض إلا بعد مضي مدة تتراوح بين يومين وسبعة أيام وتسمى هذه المدة مدة التفرّج .

ويبتدئ المرض عادة باحتقان الجزء المصاب ثم يظهر غشاء قاتم اللون في الجزء الذي به الميكروب وهو عادة (كما سبق القول) يكون في اللوزتين أو الغشاء الداخلي أو الأنف أو الحلق أو الزور . وفي هذا الغشاء ينمو الميكروب ويتكاثر وأثناء نموه يفرز مواد سامة يتصها الجسم ، وهي التي تسبب الأعراض التي تلاحظ على المريض وأحيانا تكون كافية لموت المصاب في مدة قصيرة . وينمو هذه الميكروبات يلتهب الجزء المصاب وترتفع حرارة المريض وتخور قواه وتهبط حركة قلبه وتنتهي حالته غالبا بالموت إذا لم يسعف بالعلاج السريع . وفي دفتريا الحلق — فضلا عن الأعراض السابقة — تفسد القصبة الهوائية (أى فتحة الهواء) فيتعسر التنفس حتى أن المريض قد يموت غمغما .

مضاعفات الدفتريا :

من أهم وأخطر المضاعفات التي تحدثها الدفتريا شال عضلات الحلق والقلب وقد تستمر هذه المضاعفات مدة طويلة بعد شفاء المريض .

العلاج :

العلاج الوحيد للدفتريا هو حقن المصاب بالمصل الواقى منها في أقرب وقت من ابتداء المرض . وكل تأخير في عمل الحقن يزيد في ضعف الأمل بشفاء المريض وكثرة حصول المضاعفات عند الناقهين .

ولكى نعلم مقدار تأثير المصل في علاج الدفتريا نذكر أنه قد كانت وفيات هذا المرض قبل اكتشاف هذا المصل بنسبة ١٠٠ لكل ١٠٠,٠٠٠ من السكان في إحدى المدن الكبيرة . وبعد اكتشافه انخفضت أقصى نسبة للوفيات في نفس هذه المدينة إلى ٢٧,٧ لكل ١٠٠,٠٠٠ من السكان .

فاذا لاحظت على طفلك أى عرض من أعراض الدفتريا فلا تتوان في عرضه على الطبيب في الحال فعليك وحده في هذه الحالة تتوقف حياة طفلك وفي يدك شفاؤه أو موته لأن شفاؤه يتوقف على المبادرة في الحال بمعالجته بالمصل الخاص .

كيفية الوقاية من الدفتريا :

(١) لا تسمح لأطفالك بالاختلاط بمريض بالدفتريا مطلقا .
(٢) إذا علمت بوجود مريض في منزلك أو بين جيرانك أو في المدرسة فكلف طبيبك الخاص بمحقن أطفالك بالطعم الواقي (أنا توكسين رامون) أو خذهم إلى أقرب مكتب من مكاتب الصحة لعمل هذا الحقن لهم مجاناً ، وهذا الطعم يعطى مناعة أكيدة لمدة سنين طويلة ويجب إعطاؤه لجميع الأطفال الذين قد بلغوا من العمر ستة أشهر فما فوق لغاية الثانية عشرة سنة .

وإن التفاعل الذى يحصل من هذا الطعم هو بسيط جدا . وكلما كان من الطفل المطعم صغيرا كان التفاعل أخف مع حدوث نفس المناعة . وقد ثبت بالتجارب العديدة أن كل طفل حقن بهذا الطعم ثلاث دفعات متتالية تحصل له مناعة عظيمة ضد مرض الدفتريا .

(٣) إذا لاحظت على أى طفل من أطفالك عرضا من أعراض الدفتريا فاسرع بعرضه على طبيب الصحة أو طبيبك الخاص ولا تعارض مطلقا في حقنه بالمصل الواقي مهما كانت أعراض المرض بسيطة .

(٤) لا تستعمل لبنا في المنزل إلا بعد غليه جيدا قبل تناوله مباشرة .

(٥) جميع الأطفال خصوصا الناقهين منهم من هذا المرض يجب أن يتعودوا عدم البصق على الأرض . وأن يغسلوا أيديهم كلما تلوثوا بالبصاق أو اللعاب ، وأن يستعملوا أواني للأكل والشرب و قوطا وبشاكير مخصصة لكل منهم . وألا يتبادلوا مع غيرهم من الأطفال اللعب أو الحاوى أو المضغفات التى يكونون قد وضعوها في أفواههم ويجب عليهم أيضا ألا يقبلوا غيرهم أو يستمعوا للتغير بتبيلهم صغارا كانوا أو كبارا .

(٦) اعتن بالنظافة دائما لأنها من أكبر الوسائل التى تنقل بها الأمراض فاحكم الحديث الشريف القائل بأن (النظافة من الإيمان) .

كيف تعنى بمريض بالدفتريا في المنزل :

(١) يجب عزل المريض في غرفة خاصة جيدة التهوية ويستحسن أن تكون في الدور العلوى من المنزل .

(٢) لا تسمح لأحد بالدخول في غرفة المريض غير الشخص الذى يقوم بالاعتناء به . ويجب منع الأطفال والحيوانات الأليفة من دخولها بتاتا .

(٣) يجب أن تكون غرفة المريض خالية من الأثاث والمفروشات والكتب واللعب والصور ويكفى بالأشياء الضرورية فقط .

(٤) يجب أن تكون الأدوات والأواني التى يستعملها المريض خاصة به وألا يستعملها أحد غيره ويجب غليها دائما قبل الاستعمال .

(٥) يجب أن تنظف إفرازات الأنف والفم والحلق بقطع من القطن أو خرقة قديمة وتغمر في محلول مطهر كمحلول حمض الفينيك بنسبة ١ - ٢٠ ثم تحرق بعد ذلك .

(٦) على من يقوم بخدمة المريض أن يغسل يديه بمحلول مطهر بعد ملامسة المريض وملامسة أى إفرازات وألا ياكل داخل غرفة المريض .

(٧) على من يقوم بالتريض أن يستعمل قوطة بيضاء نظيفة داخل غرفة المريض وألا يختلط بأحد من أهل المنزل . ويجب عليه خلع هذه القوطة وتركها بغرفة المريض قبل خروجه منها .

(٨) اللبن أو أى نوع من المأكولات الأخرى الذى يؤتى به الى غرفة المريض ولا يستعمل يجب عدم استعماله لأى شخص آخر وإلقاؤه مع المتخلفات بعد وضع مطهر عليه .

(٩) لا تسمح لأحد بالدخول في غرفة المريض بعد شفائه الا اذا طهرت الغرفة بواسطة وزارة الصحة التى تقوم بإجراء ذلك مجانا . وعند حضور عمال الصحة يجب إعطاؤهم جميع الملابس والمفروشات واللعب وخلافها التى كان يستعملها المريض أو التى كانت في غرفته أثناء مرضه . وحاذر من غسل هذه الأشياء في المنزل أو المفصل العمومى لأن عدوى المرض تبقى عالقة في هذه الأشياء مدة طويلة وتنقل أثناء الغسيل من أدوات المريض الى أدوات السليم .

(١٠) لا تسمح للمريض بالاختلاط بأحد قبل مضي ستة أسابيع من ابتداء المرض وقبل أن يتأكد الطبيب من خلوه من العدوى بواسطة فحص إفرازات الحلق مرتين على الأقل ولا تسمح للأطفال الموجودين بالمنزل أن يتوجهوا الى المدرسة أو يختلطوا بأطفال آخرين حتى يشفى المريض ويخلو زوره من ميكروب العدوى .

(١١) ونظرا لأن هذا المرض قد يترك تأثيرا في القلب أوشلا وقتيا أثناء دور النقاهة فنوجه نظركم لضرورة ملاحظة الأطفال الناقهين منه ، وعدم السماح لهم بالجرى أو القفز أو عمل حركات عنيفة بل يجب أن يوالوا الراحة التامة لمدة ثلاثة أو أربعة أسابيع عقب الشفاء خوفا من حصول هبوط في القلب أو شلل يتبعه غالبا عواقب سيئة .

صَفَرَاتُ إِجْتِمَاعِيَّة

أمراض النفس

أكثر أقطار العالم أمراضا نفسية هو الولايات المتحدة الأمريكية . فان نصف الأسرة في المستشفيات يحتلها مرضى لا يشكون علة جسمية ولكنهم يشكون طلا عقلية أو عصبية مختلفة .

والسبب لهذه الحال ان المباراة للإثراء أو للكسب كبيرة جدا في الولايات المتحدة . والرأى العام يؤيد هذه المباراة ويدعو اليها بشتى الوسائل في التربية المنزلية أو التعليم المدرسى أو الحياة الاجتماعية .

وهو ينظر الى التخلف والإهمال نظرة الاستصغار والاحتقار . ولذلك يحرص الشاب والكهل والشيخ على أن يتفوقوا في مضامير العمل وعلى أن ينشدوا النجاح ، وهو في جميع الأحيان نجاح مالى . فاذا لم يوفقوا اليه فإنهم يحسون هوانا عظيما يؤدي الى إصابات نفسية . والمباراة بطبيعتها توتر الأعصاب وتبقى الذهن يقظا بالهموم المختلفة المتوالية .

والاعتدال في الطموح حسن بل هو واجب . أما المبالغة فيه وقضاء الوقت والجهد في محاولة الوصول الى الثراء أو زيادة الكسب فيفتتان الأعصاب ويقلقان بل يقلقلان الذهن . ومن هنا وفرة الأمراض النفسية بين الأمريكيين . والشرقيون يجدون في القناعة فضيلة سامية ، وهم يطمثون الى الحياة الوادعة مع القليل من الكسب الذى يكفى الضروريات . والغربيون ينعون على الشرقيين هذه القناعة . ولكن عندما نعرف أن المبالغة في الطموح والامعان في المباراة قد أدى كلاهما الى وفرة الأمراض النفسية بين الأمريكيين يجب علينا ألا نستبين بفضيلة القناعة في الشرق .

سويسرا

لا تملك سويسرا مستعمرات وليس لها امبراطورية . ومع ذلك يبلغ متوسط الثروة للفرد فيها ٦٢٥ جنيتها . في حين أن متوسط الثروة للفرد في الولايات المتحدة الأمريكية لا يزيد على ٤١٩ جنيتها . والمشهور أن الولايات المتحدة أغنى أقطار العالم بالموارد الخام والزراعة والصناعة .

والسبب لهذا الثراء العظيم في سويسرا أن الشعب لا ينفق شيئا إلا القليل على القوات الحربية . فإن له جيشا صغيرا لا تزيد فيه رتبة الضباط على " كولونيل " فليس فيه " جنرال " أو " مارشال " ومعظم الأمم الكبيرة تستهلك القوات الحربية ميزانياتها . ولكن سويسرا تجاوزها أقطار كبيرة مثل ألمانيا وإيطاليا وفرنسا . وقد رأت أنها مهما تفعل فلن تستطيع مباراة هذه الدول في القوات الحربية ولذلك قنعت منها بالقليل الشكلي .

ومعظم الثروة في سويسرا يعود إلى استغلال جبالها في السياحة ، وإلى اتخاذ أبنائها للصناعات الدقيقة مثل الساعات والطوربين والموטר والمنسوجات الدقيقة والريون والأصباغ والخبز والشكولاته ، والذهن السويسري خصب في الاختراع . ففي الولايات المتحدة الأمريكية مثلا تمنح ١٦٠ رخصة اختراع لكل مليون من السكان . ولكن في سويسرا يبلغ المتوسط ٩٢٠ رخصة لكل مليون من السكان .

والسويسريون يعنون بالادخار . فإن في مصلحة البريد ٢,٨٠٠,٠٠٠ دفتر لادخار مع أن السكان لا يزيدون على أربعة ملايين . والحكومة تعنى كثيرا بدراسة الاقتصاد الأهلي . مثال ذلك أنه لما حدثت الأزمة العالمية سنة ١٩٣٠ أدت الحكومة إعانة لتصدير الساعات كما منعت إنشاء مصانع جديدة لها ، وكذلك منعت بناء فنادق جديدة لقلة السائحين .

مبادئ ديوى في التربية

جون ديوى هو أعظم الفلاسفة الأمريكيين . وهو الآن في الحادية والثمانين من عمره . وقد بلغت مؤلفاته نحو الخمسين أو تزيد . ومعظمها في التربية ، لأن الرجل معلم قبل أن يكون فيلسوفا . وقد دعت حكومتا تركيا والصين لتنظيم طرق التعليم عندهما . ومعظم التجديد الذي يميز إلى المدارس الناهضة في الولايات المتحدة وغيرها إنما يرجع إلى تفكيره الذي بسطه في مؤلفاته المختلفة .

ويرى ديوى أن التربية يجب أن تسترشد بأربعة مبادئ هي :

أولا — يجب أن تكون نموا مستمرا . وأحسن المدارس هي أقد رهن على تنمية التلميذ وعلى تعليمه كيف يستمر في النمو حتى بعد خروجه منها .

ثانيا — يجب أن يتعلم التلميذ بالاختبار ، أى يجب أن يختبر ما تعلمه كالسباحة يتعلمها الصبي بأن يزل في الماء وليس بالتلق من المعلم أو بدرس الكتاب . ومن هنا قيمة المشروعات التي يقوم بها التلاميذ ويتعلمون في غضونهم وهم يؤدون تفاصيلها .

ثالثا — كل تعليم يحتاج إلى الاهتمام والجهد . فلا يمكن أن نعلم تلميذا شيئا ما لم نبعث فيه الاهتمام ونجعله يجهد راضيا لأنه مهم . وكل تعلم يقسر عليه التلميذ وهو غير مهتم به إنما ينتهى بأن يصير تسخيرا لذهنه صرعا ما ينساه ويتفحسه عنه التلميذ .

رابعا — المدرسة هي حينئذ المجتمع . فيجب أن يعيش فيها التلميذ ويتعلم عن طريق المعيشة . ويجب الانفصال المدرسة من المجتمع . ولذلك يجب أن تنظم المدرسة بحيث يحس التلميذ فيها أنه عضو عامل في مجتمع ديمقراطى .

في مصانع فورد

من أحسن الكتب التى يجب أن يقرأها الشباب كتاب الفه فورد بعنوان "حياتى وعملى" فإن فورد يمثل أحسن ما فى النظام الاقتصادى الحاضر فى العالم كله . وهو يتبع قاعدة إعطاء العمال أكبر مقدار ممكن من الأجور مع خفض الائتمان للبضائع إلى أقل مقدار ممكن . وهو فى كل عام يخفض ثمن اتوموبيله . ويقول فى هذا الكتاب إن ٦٠ فى المائة من عماله ينالون اجرا يوميا قدره ٦ دولارات (الآن نحو ١٥٠ قرشا) وأن ٤٠ فى المائة من عماله ينالون أكثر من ذلك . وقد بلغ ما أنفقه من الأجور فى ١٩ سنة ألف مليون جنيه . وهو يستخدم الأعرج والاعمى والاصم بدلا من أن يقيم لهم الملاجئ . فان هناك أعمالا لا تحتاج الى بعض الحواس . وهو يستخدم هؤلاء المعجزة فيها ويشعرهم بكرامتهم بما يكسبون .

ومع ان فورد أعظم الرجال الصناعيين فى العالم فان هواه لا يزال عالقا بالزراعة . وهو يرى أن المجتمع الامثل يجب أن ينظم العمل الزراعى والصناعى بحيث يمكن كل حامل أن يقوم بهما معا . ففى الصيف يعمل العامل فى الزراعة حيث الهواء المطلق والدفء والصحو فينتفع صحة ورياضة ، وفى الشتاء يعمل فى المصانع لأن الزراعة فى هذا الفصل تبطؤ حركتها ولا تحتاج الا لأقل عدد من العمال . والصناعة تجرى داخل المصانع المدفأة .

و جميع مصانع فورد — وهى تنتشر فى أقطار شتى فى العالم — تجرى بالقوة الكهربائية وبأقل مجهود من العمال .

الكتب للجمهور

من العادات المألوفة فى تركيا أن تفتنى الفهوات العامة مكتبة صغيرة ليس بها المجلات والجرائد فقط ، بل تحوى أيضا بضع مئات من الكتب الشعبية التى يمكن القاعد الذى قد يطول به الانتظار فى الفهوة أن يتسلى بها ويستريح بها فيها اذا سئم الصحف . والمكتبة مع ذلك ليست كبيرة ، اذ هى خزنة صغيرة وايس بها مجلدات ضخمة للدرس وإنما بعض الكتب الصغيرة المسلية المنيرة .

وقد شاعت في إنجلترا مكتبات عامة يشترك فيها الجمهور . ولكن قيمة الاشتراك لا تزيد على ثمانية مليمات (بنسين) في الأسبوع ، ويمكن المشترك أن يستعير بهذا الاشتراك تابا قد يبلغ ثمنه نصف جنيه . وتحدث من وقت لآخر سرقات في هذه المكتبات ولكنها لا تبلغ واحدة في المائة . لأن المشتركين ينفعون بالقراءة ويعاملون مكتباتهم بالأمانة والثقة . ولو لم تربح هذه المكتبات لما عاشت . وبقاؤها وانتشارها برهان على الأمانة المتبادلة بينها وبين قرائها وبرهان على استنارة الشعب الانجليزي أيضا .

وهذه المكتبات هي بالطبع غير المكتبات البلدية المجانية وهي تعد بالمثلثات في إنجلترا وتنفق عليها المجالس البلدية وتحتوى على آلاف المجالات الضخمة سواء منها ما يقصد منه الى الإرشاد والتعليم أو الى التذلية والاستنارة العامة .

مدارس جيرى

مدارس جيرى Gary من المدارس "الناهضة" في الولايات المتحدة الأمريكية . وقد كثرت في ولاية أنديانا على الخصوص . وهي تتبع نظاما جديدا في التعليم يراد منه على الأخص زيادة الرابطة بين البيت والمدرسة لمصلحة التلاميذ والآباء . وكذلك إحالة المدرسة من مكان معين للتعليم فقط الى مكان للحياة الاجتماعية في الحى الذى تقوم فيه .

ففى المدرسة مكتبة يستعملها التلاميذ وآباؤهم . وفى الليل تقام الحفلات الساهرة فى القاعات الكبرى ، فتكسب المدرسة بذلك بعض نفقاتها . وهذه القاعات تؤجر مدة الدراسة ومدة الإجازة . وترتب اجتماعات بين المعلمين والآباء . كما ترتب بين التلاميذ وآبائهم حيث تلقى الخطب من التلاميذ أو تدرس بعض المسائل الخاصة أو العامة .

وللتلاميذ أن يبقوا بالمدرسة طول النهار . فالدراسة النظامية تنتهى مثلا عند الساعة الرابعة . ولكن يمكن التلاميذ أن يبقوا الى الساعة السابعة كأنهم فى ناد يلعبون أو يأتسون بالاجتماع . ويراد من هذا الترخيص للتلاميذ بالبقاء بالمدرسة بعد الانصراف وقيامهم من اللاب فى الشوارع أو التعرف الى خلائ السوء . ويشرف عليهم مدرسون يدرسونهم ويسلونهم فى هذه المدة .

وفى مدارس جيرى لا يلتزم التلميذ فصلا معينا . فقد يكون فى السنة الرابعة الابتدائية ولكنه اذا أحسن تحلقا فى الحساب أمكنه أن يقصد فى حصص الحساب الى فصل السنة الثالثة حتى يحضر الدروس التى يحس الضعف فيها .

التأمين في مصر

استنت شركة مصر لعموم التأمينات سنة جديدة هي كتابة نبذة كل يوم في جريدتين من جرائد القاهرة تشرح فيهما قيمة التأمين وتبين فوائده للجمهور . وهي حين تفعل ذلك تنير الجمهور في المسائل الاقتصادية العامة وتبث فيه التبصر والحذر وتحضه على الاقتصاد المنير وايس على الادخار الخلام وتبين له قيمة الحرص على سعادة الأطفال في المستقبل . وقد أخذت الحكومات المتقدمة على عاتقها مهمة التأمين للفقراء بل أحيانا للتوسطين ، ولكن شركات التأمين لا تزال قوية متعددة . وليس في الشركات التجارية ما هو أقرب الى الصلاح في الحياة الاجتماعية من شركة التأمين ، لأن من مصلحة شركات التأمين أن تعلم الجمهور الأخلاق الحسنة في التبصر والتدبر . كما تعلمة الصيانة الصحية وضرورة الاعتدال في الطعام والشراب والجهد والسلوك العام . ومن وقت لآخر نجد لهذا السبب نبذا تنشرها شركات التأمين في الولايات المتحدة الأمريكية كالإعلانات تبين فيها للجمهور الضرر الذي يعود من الانغماس في التدخين أو الإسراف في الطعام أو الإهمال للأمراض المبتدئة . لأن شركة التأمين تبيع بصحة الناس و بطول أعمارهم وتحسر بمرضهم وقصر أعمارهم .

والتأمينات كثيرة ومختلفة ، منها التأمين من الشيخوخة ، ومن المرض ، ومن الوفاة بل هناك تأمينات يقصد منها الى تربية الأطفال أو غير ذلك مما سوف يحتاج اليه المؤمن في المستقبل .

أشخاص الدراما

المسرح للتسلية ولكنه للتعليم أيضا ومن هنا قوته في التوجيه ، لأن الناس يقصدون اليه مختارين ويرون الآراء تلقى عليهم بل تنبث فيهم عن طريق القدوة أى قدوة الممثل الفنى الذى يبذل جهده لكي يتقن دوره ويحاول إقناع المتفرجين بعدالة موقفه . فإذا كان بطل الدراما شخصا سيئ اسيرة فإن من الضرر بالمتفرجين أن يروه ممثلا في صورة حسنة جذابة .

وفي طورنا الاجتماعى الراهن نحتاج الى الحذر . فقد رأينا درامات من أشخاصها خليلة أو بنى أو رجل فاسق وهى تمل على مسارحنا . وتبدو هذه الأشخاص فيها كأنها مظلومة أو عابثة أو لبقة في الحديث أو الحركة . ويمكن المتفرجين الأوربيين الذين ألفوا الثقافة المسرحية أن يسبعوا الفور في هذه الأخلاق ولا يقتنعوا بالظواهر السطحية . أما نحن فأننا لم نألف الثقافة المسرحية الى الآن ولذلك ليس من الحسن أن تعرض علينا هذه الأخلاق في صورة التسامح إن لم نقل في صورة الإغراء .

والمجتمع المصرى يحفل بمئات بل آلاف الشخصيات التى يمكن إبرازها على المسرح .
فالمؤلف أو المترجم لن يضيق بهذه الشخصيات . ولذلك لا يمكن الاعتذار بإيجاد بغيره أو خلية
أو عرض ألوان الفسق يتفرج برؤيتها نسأؤنا ورجالنا .

صناعاتنا الفنية

كانت لنا الى وقت قريب صناعات فنية محترمة يعجب بها الجمهور و يقضى مصنوعاتنا
كما يرتق بها الصناع الفنيون . وكانت تبدأ من الخط المزخرف وتنتهى الى البناء المزرق .
وفيا بين ذلك الخشب الملبس بالصدف أو المصفح بالنحاس الأصفر . والوسائد الكاسية
بالأدم المصبوغ . وحواجز المشربية . ومحو ذلك مما كان يقوم به النجار " الدق " الذى
نوشك أن نفقده إن لم تكن قد فقدناه بإقبالنا على المصنوعات الأوروبية أو برغبتنا فى الأطرزة
الأوروبية فى الأثاث والبناء واللباس .

ومن عجيب ما نرى فى بيوت القاهرة أن التزلاء الأجانب يقتنون مصنوعاتنا المصرية
الباقية ويعرضونها مفتخرين بها فى " صالوناتهم " التى يستقبلون فيها ضيوفهم . فهناك نجد
طقما من فناجين القهوة بظروف من النحاس . وتجد طستا وإبريقا كما نجد بعض المنسوجات
المصرية الصميعة التى تشتري من أسواقنا الوطنية . أما فى البيوت المصرية فلا نكاد نجد
شيئا من ذلك لأنها تستغنى عن هذه الطرف بالإقبال على الأثاث الأجنبي أو الطراز الأجنبي
حتى ولو كان الصانع مصرية .

ونعتقد أن صناعاتنا المصرية الفنية فى حاجة الى التشجيع . وذلك بأن نقنتها ولو على
اعتبار أنها طرف المصر الماضى الذى لا ينبغي أن ننساه ونلاشه . وقد أتيج لنا أن رأينا
مصنعا صغيرا اصنع الأدوات الزجاجية بالنفخ . ولم يكن العمال على مقدار عظيم من الفنون
المصرية ومع ذلك استطاعوا أن يخرجوا طستا وإبريقا من الزجاج الصافى على الطراز القديم .
وهما تحفة نادرة من البراعة والفن . ومن الابهاف العظيم للفنون أن تهمل هذه العصرية
سواء من الأمة أم الحكومة .